روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جداً !!

د. نبيل فاروق

بلا جسد

143



www.dvd4arab.com

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ التبت ..

تكاثفت السحب الداكنة ، ذات اللون الرمادى الكئيب ، فى سماء تلك المنطقة ، التى غمرتها الثلوج وانخفضت فيها درجات الحرارة ، إلى حد يصعب على البشر احتماله ، وبدت جبال (التبت)(*) العالية أشبه بعمالقة أشداء ، يحيطون بذلك المعبد القديم ، المستقر على قمة جبل متوسّط الارتفاع ، دون أن يبدو فيه مظهر واحد من مظاهر الحياة ، باستثناء الدخان الخفيف ، الذى يتصاعد من مدخنة بسيطة فى خلفيته ..

وعلى الرغم من أن العالم كان ـ حينذاك ـ يخوض أعوامه العشرة الأخيرة ، من القرن العشرين ، إلا أن

(★) التبت : ولاية كانت تتمتّع بالاستقلال الذاتى ، حتى عام (١٩٥٩ م) ، عندما احتلتها (الصين) وطردت زعيمها الدينى (الدالاى لاما) ، وأعلنت ضمها إليها .. عاصمتها (لاسا) ، وتدين بمذهب (اللامى) ، المستمد من أحد أشكال البوذية ، التى أخذتها (التبت) من (الصين) ، ثم عزلت نفسها معها عن العالم .

المكان ، بصمته وسكونه ، بدا أشبه بلوحة زيتية قديمة ، من لوحات القرن السادس عشر ..

حتى ظهرت فجأة تلك الهليكوبتر ..

ظهرت من بعيد ، من بين الجبال العالية ، التى تعد أكثر مناطق الأرض ارتفاعًا(*) ، وحلقت فوق الجليد ، الممتد على مدى البصر ، لتخترق اللوحة الصامتة الساكنة ، وتبعث فيها دويًا مزعجًا ، مع هدير مراوحها القوية ، وقائدها يقول فى شىء من الضجر :

ـ لست أدرى فى الواقع ، ما الذى يجذب انتباهك فى هذه المنطقة أيها السيد .. إنك لن تجد هنا سوى الثلوج ، والملل ، وتلك المعابد القديمة ، ورهبانها المتصلبين ، الذين يبدون أشبه بمهرجى السيرك القدامى ، فى الأفلام الهزلية الرخيصة .

أشاح راكب الهليكوبتر الوحيد بوجهه ، دون أن يجيب عبارة قائد الهليكوبتر ، الذى لم يمنعه هذا من أن يواصل فى إلحاح :

(*) حقيقة ، إذ يبلغ ارتفاع جبال (التبت) فى المتوسط ، حوالى (٤٥٧٥ مترًا) .

ـ إنك لاتبدو صحفيًا ، كما قد يوحى اهتمامك بالأمر ؛ فأنت لاتحمل أدوات تصوير ، أو أجهزة تسجيل .. بل ولاتحمل حتى حقيبة واحدة ، قد توحى بأن ....

استدار إليه الراكب ؛ ليقاطعه فجأة فى صرامة :

ـ لست أظننى قد طلبت مرافقًا ، أو متحدثًا لبقًا ، عندما استأجرت هذه الهليكوبتر ، ودفعت مبلغًا ضخمًا ، لتقلنى إلى هنا .

ارتبك قائد الهليكوبتر ، وهو يقول :

ـ الرحلة طويلة ، وكنت أتصور أن تجاذب أطراف الحديث قد ...

قاطعه الراكب مرة أخرى ، فى صرامة قاسية :

ـ احتفظ بتصوراتك لنفسك يا هذا ..

ثم عاد يشيح بوجهه ، ويعود إلى صمته الطويل ، الذى بدا أكثر برودة من الثلوج المحيطة بكل شىء ..

وفي حنق ساخط ، لاذ الطيّار بالصمت ، وهو يواصل انطلاقه ، نحو ذلك المعبد القديم ، في حين التقى حاجبا الراكب ، في اهتمام بالغ ، وهو يتطلّع إلى المكان ، وإلى الراهب البوذي النحيل ، الجالس وسط الثلوج ، والذي بدا مظهره مدهشًا بحق ..

وإلى حد كبير ..

فعلى الرغم من الجليد ، ومن درجات البرودة القارسة ، كان ذلك الراهب النحيل يجلس بجسده الضئيل ، على مسافة عشرة أمتار من مدخل المعبد القديم ، وهو عاري الصدر والساقين ، جامد كتمثال من الرخام ، كما لو أنه لايشعر بكل ما حوله .. حتى عندما هبطت الهيلكوبتر ، على مسافة أمتار قليلة منه ، لم يحرك ساكنًا ، أو يبدو عليه أنه قد شعر بهبوطها ، وهو يواصل جموده ، ونظرته المتحجرة ، التي تطلّ من عينيه الضيقتين ، اللتين تتطلعان إلى ما لا نهاية ،

وكأنه قد فارق عالمنا ، وانتقل إلى عالم آخر مجهول ، خارج الأبعاد الأربعة ، المعروفة في عالمنا(*) ..

ولثوان ، بعد هبوطه من الهليكوبتر ، ظلّ الراكب يتطلّع إلى الراهب الأصلع النحيل ، في صمت واهتمام ، قبل أن يتنحنح الطيّار ، قائلاً :

ـ هل سنقضي وقتًا طويلاً هنا ؟!

واصل الراكب صمته لبضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول ، في صرامة واقتضاب قاسيين :

ـ ارحل .

خيّل للطيّار أنه لم يسمعه ، أو لم يفهم كلمته ، فتساءل في حذر :

ـ ماذا ؟!

(*) قديمًا ، كان العلم يعتبر أن عالمنا ثلاثي الأبعاد ، باعتبار أن الثلاثة هي الطول ، والعرض ، والارتفاع ، ثم جاء (ألبرت أينشتين) بنظريته النسبية ، في عام (١٩٠٥ م) ، ليضيف الزمن كبعد رابع ، ليصبح عالمنا بعده رباعي الأبعاد .

ارتفع صوت الراكب ، وهو يقول ، فى صرامة أكثر :

ـ ارحل .. انصرف .. هل توجد كلمات أكثر وضوحًا ، لشرح ما أريده منك .

اتسعت عينا الطيّار فى دهشة بالغة ، وهو يتساءل :

ـ أرحل ؟! هل .. هل ستبقى هنا وحدك ؟!

أجابه بنفس الصرامة :

ـ أجل .

تطلّع الطيّار لما حوله فى حيرة ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ لست أدرى كيف سيمكنك هذا ؟!

قال الراكب فى قسوة :

ـ ليس هذا من شأنك .

وصمت لحظة ، ثم واصل ، دون أن يرفع عينيه عن الراهب الأصلع النحيل :

ـ لقد حصلت على أجرك كاملاً ، وحملى إلى هنا لا يتضمن فرض أى نوع من الوصاية علىّ .

ارتبك الطيّار ، وهو يقول :

ـ معذرة يا سيّدى .. إننى لم أقصد أن ...

قاطعه فى قسوة وصرامة :

ـ ما تقصده لا يعنينى .

أطلق الطيّار زفرة متوترة ، ودسّ كفيه فى جيبى سترته السميكة ، وعاد يتطلّع إلى الثلوج الممتدّة إلى ما لا نهاية ، والجبال العالية المحيطة بالمكان ، قبل أن يقول فى استسلام :

ـ فليكن يا سيّدى .. متى أعود لالتقاطك من هنا ؟! لاحظ أن الطيران فى الظلام ليس ...

قاطعه الراكب بمنتهى الصرامة :

ـ لا تعد .

حدّق فيه الطيّار هذه المرة فى ذهول ، قبل أن يهتف :

ـ ماذا تعنى ؟! هل ستبقى هنا ؟!

قال الراكب فى قسوة ، وهو يبدأ تحركه نحو الراهب الأصلع :

ـ ليس هذا من شأنك .

لوّح الطيّار بذراعيه ، وهو يهتف فى انزعاج :

ـ يبدو أنك لم تستوعب الموقف جيدًا أيها السيّد .. لسنا هنا فى ميدان عام ، أو شارع رئيسى فى مدينة كبرى .. بل ولسنا حتى فى زقاق ضيق ، من مدينة مهجورة .. إننا هنا وسط جبال وثلوج (التبت) ! هل يمكنك أن تستوعب هذا ؟!

استدار إليه الراكب بحركة حادة ، وهو يقول فى عنف وقسوة :

ـ قلت : ارحل ، ولا تعد .

امتقع وجه الطيّار بشدة ، مع تلك النظرة المخيفة ، التى أطلّت من عينى ذلك الراكب ، الذى بدا له ، فى تلك اللحظة ، أشبه بشيطان من الإنس ، يحمل فى

رأسه زوجًا من أعين الجحيم ، جعلتا الطيّار يتراجع بحركة مرتبكة ، وهو يحاول أن يقول شيئًا ..

أى شىء ..

ولكنه لم يستطع ..

حلقه الجاف ، والدماء التى ترتجف فى عروقه ، وتلك الحرارة التى يشعر بها فى رأسه ومخه ، على الرغم من البرودة القارسة من حوله ، كلها جعلته يطبق شفتيه ، عاجزًا عن نطق حرف واحد ، وهو يستدير إلى الهليكوبتر ، ويتخذ مقعد القيادة داخلها ، ويجذب ذراعها ، ويرتفع بها ..

وينطلق مبتعدًا ..

وبأقصى سرعة ..

وفى ثبات عجيب ، راقب الراكب ابتعاده ، حتى اختفى فى الأفق ، خلف جبال (التبت) الشامخة ، ثم استدار إلى الراهب ، وواصل سيره نحوه ، حتى توقّف على بعد مترين منه ، صامتًا ساكنًا مثله ..

وحتى مع هذا الاقتراب لم يحرك الراهب الأصلع ساكنًا ..

ظلّ على جموده وصمتـه ، ونظرتـه المتحجـرة الثابتة ، المنطلقة إلى مدى البصر ..

ولم يحاول الراكب إخراجه من صمته وسكونه ..

بل ، ولم ينطق بحرف واحد ..

كل ما فعله هو أن خلع معطفه الثقيل ، متحديًا البرودة القارسة المحيطة به ، ثم جلس إلى جوار الراهب الأصلع ..

جلس متخذًا الوضع نفسه ، ولائذًا بالصمت والسكون ذاتهما ..

ولأكثر من نصف الساعة ، ظل الاثنان على وضعهما ، أشبه بتمثالين قديمين أثريين ، يتناسبان مع المكان العريق ، قبل أن يلتفت الراهب إلى الرجل فى صمت ، ويدير إليه عينيه فى بطء ..

عندئذ .. وعندئذ فقط ، خرج الرجل عن صمته ، وقال فى هدوء ثابت ، وبلغة يفهمها الراهب جيدًا :

ـ أتيت لأتعلّم .

صمت الراهب بعض الوقت ، قبل أن يقول فى بطء :

ـ هل تؤمن بعقيدتنا ؟!

أجابه الرجل ، فى سرعة وحزم :

ـ كلاّ .

لم يبد أى تأثر على الراهب ، الذى ظلّ جامدًا بضع لحظات ، فتابع الرجل فى حسم :

ـ ولكننى أؤمن بقدرتكم المدهشة ، على تنمية ملكات العقل البشرى .

قال الراهب ، فى بطء شديد :

ـ لن يكون هذا سهلاً .

قال الرجل فى سرعة :

ـ ولن يكون مستحيلاً .

تأمله الراهب لعدة دقائق فى صمت ، قبل أن يقول بنفس البطء :

ـ الطريق طويل .

أجابه الرجل :

ـ سلاحى الإرادة والصبر .

قال الراهب :

ـ عشرات السنين .

صمت الرجل لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

ـ الهدف يستحق .

عاد الراهب يتأمله لدقيقة واحدة هذه المرة ، قبل أن يسأل ، فى بطء مستفز :

ـ وما الهدف ؟!

وبإرادة فولاذية ، منع الرجل تلك الابتسامة الساخرة ، التى نمت فى أعماقه ، من الصعود إلى شفتيه وملامحه ، أو الإعلان عن نفسها فى صوته ، الذى ظلّ حازمًا قويًا ، واثقًا ، وهو يجيب :

ـ السمو بالروح .

تأمله الراهب لدقيقة إضافية ، بدا خلالها وكأنه يسعى بنظراته الثاقبة ، لسبر أغواره ، والغوص فى أعماقه ، وكشف كينونته ، قبل أن يقول بنفس البطء :

ـ والقوة .

وبنفس الإرادة القوية ، والقدرة على كتمان روح السخرية فى أعماق الأعماق ، أجاب الرجل :

ـ السمو بالروح هو منتهى القوة .

ظلّ الراهب يتأمله فى صمت بلا مشاعر ، لما يقرب من عشر دقائق كاملة ، ظلّ الرجل خلالها جامدًا كتمثال من الحجر ، وعيناه شاخصتان إلى نقطة ثابتة مجهولة ، دون أن يطرف له جفن ، قبل أن يدير الراهب عينيه ووجهه ، ويعود إلى مجلسه القديم ، بنفس صمته وسكونه وجموده ..

وفى هذه المرة ، كان على الرجل أن يستنفر كل ذرة فى إرادته الفولاذية ، حتى يخفى فى أعماقه ذلك المزيج القوى ، من الظفر والسخرية ، وهو يواصل مجلسه

الجامد هذا مع الراهب ، لتعود اللوحة إلى ما كانت عليه ، من صمت وسكون ، بعد أن أضيف إليها شخص جديد ..

شخص سيكون له شأن رهيب في المستقبل ..

ويا له من مستقبل !

* * *



٢ ـ ابتزاز ..

على الرغم من أن ذلك اليوم ، من أيام القرن الحادى والعشرين ، قد أتى صحوًا مشرقًا ، بعد فترة من شتاء كئيب ، إلا أن رجل الأعمال الشهير (شريف صابر) قد بدا غاضبًا صارمًا كعادته ، وهو يصل إلى مقر شركته ، في قلب (القاهرة) الجديدة ، وارتفع صوته في ثورة لم يكن لها ما يبررها ، مع دخوله إلى مكتبه ، صائحًا :

ـ كل شيء يسير على نحو مختل .. الأرباح انخفضت هذا العام ، وشاشات البلازما ، من الجيل الجديد ، لم تحقق المتوقع منها ، والمصروفات بلغت حدًا ، لا يمكن السكوت عليه .

كان فريق من المديرين يتبعه في استسلام ، ووجوههم لا تعبّر عما يفترض ، مع كلمات رئيسهم العنيفة ، وكأنما اعتادوا هذه الثورة وهذا الصراخ ، في كل مرة يأتي فيها إلى مقر العمل ، باعتباره شخصًا يستحيل إرضاؤه ،

حتى ولو سارت الأمور على خير ما يرام ، وحققْت مجموعة شركاته أرباحًا خيالية ، تستحق إدراجها فى الإصدار الجديد ، لموسوعة (جينس) العالمية ..

وبنفس الغضب غير المفهوم ، جلس رجل الأعمال خلف مكتبه ، وواصل صياحه قائلاً :

ـ حتى المكتب لم يتم تنظيمه كما ينبغى ، والمقعد فى غير موضعه ، و ...

قاطعه فجأة رنين هاتف الفيديو المحمول فى جيبه ، فالتقطه بحركة عصبية ، وهو يقول فى حدة :

ـ تُرى من ذلك الأحمق ، الذى يتصل ، فى مثل هذا الوقت ؟!

ضغط زر الاتصال ، وهو يتطلّع إلى شاشة الهاتف ، التى لم تحو رقم الطالب كالمعتاد ، وانتظر أن تظهر صورته على شاشة الهاتف البلّورية الملوّنة ، إلا أن هذا لم يحدث ، فانعقد حاجباه ، وهو يجيب الاتصال ، قائلاً فى غضب :

ـ لو أن غياب صورتك هو نوع من المزاح ، فهو أسخف مزاح واجهته ، فى حياتى كلها ، و ...

قاطعه صوت آلى جاف ، يقول :

ـ اخرس أيها الأحمق ، واستمع إلىّ جيدًا .

صعقه القول ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، وخُيّل إليه أنه لم يستوعب العبارة جيدًا ، إلا أن ذلك الصوت الآلى لم يكن ينتظر رد فعله ، وهو يواصل :

ـ قل لى : كم تساوى حياتك الحقيرة ؟!

العبارة الأخيرة انتزعت (شريف) من دهشته ، فاحتقن وجهه غضبًا ، وصاح فى حدة :

ـ اسمع يا هذا ، لو أن ...

قاطعه ذلك الصوت الآلى الجاف ، وهو يقول فى قسوة :

ـ قلت لك : اخرس .. مادمت لاتجد الإجابة على الأسئلة ، فلتكتف بالاستماع فحسب .

كان بإمكان رجل الأعمال أن ينهى المحادثة فوراً ، حتى لايواصل صاحب ذلك الصوت الآلى حديثه المستفز ، إلا أن شيئاً ما جعله يواصل الاستماع ..

ربما هى رنة الثقة والقوة ، فى ذلك الصوت الآلى ..

أو هى عدم قدرة هاتفه المحمول ، الذى يعتبر أحدث صيحة فى هذا العالم ، عن التقاط رقم هاتف المتحدث أو صورة من يختفى خلف الصوت الآلى ، على الرغم من كل الاحتياطات والنظم الأمنية ، التى اتخذتها الدولة مؤخراً ؛ لمنع حدوث هذا ..

المهم أنه ـ ولسبب ما ـ واصل الاستماع إلى ذلك الصوت الآلى ، عبر هاتفه المحمول ، وهو يقول وبنفس القسوة:

ـ لو أردت رأيى ، فحياتك لا تساوى قرشاً واحداً ، وعلى الرغم من هذا ، فستدفع مليار جنيه ؛ للإبقاء عليها ، وإلا ...

ولم يكمل ذلك الصوت الآلى الجاف عبارته ..

لم يكملها ، ولكن رجل الأعمال فهم ما يعنيه ، فعاد وجهه يحتقن ، وهو يقول فى حدة غاضبة :

ـ هل تحاول ابتزازى يا هذا ؟!

أجابه الصوت الآلى الجاف فى قسوة :

ـ الابتزاز أمر تافه ، لايناسب إمكانياتى أيها الحقير .. إننى أقدم لك عرضاً ، إما أن تقبله ، وتفوز بحياتك ، أو ترفضه ، وتخسر كل شىء .. وبالمناسبة .. إنه عرض وحيد .. ونهائى .

ومع آخر كلمات ذلك الصوت الآلى ، انتهت المحادثة فجأة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد بقى (شريف صابر) مأخوذاً مذهولاً لدقيقة كاملة بعدها ، دون أن يخفض الهاتف عن أذنه ، قبل أن ينتفض فجأة ، ويلقى هاتفه على سطح مكتبه ، صائحاً :

ـ أى عبث سخيف هذا ؟!!

ثم التفت إلى مدير مكتبه ، مستطرداً فى عصبية بالغة :

ـ اتصل بالشرطة .. اتصل بهم فوراً .

وعاد وجهه يحتقن ، وهو يضيف فى حدة :

ـ أخبرهم أنها قضية ابتزاز .. ابتزاز حقير .

واتسعت عيون طاقم المديرين ، فى دهشة أقرب إلى الذهول ..

فجرائم الابتزاز هذه أمر لم يعد العالم يعرفه ، منذ زمن طويل ..

طويل جدًا ..

وهذا يعنى أنهم يشهدون تحوّرًا ، فى مجرى الزمن والأحداث ..

تحوّرًا خطيرًا ..

للغاية ..

* * *

« ياللعجب ! »

نطق مفتش الشرطة بالكلمة فى حيرة ، وهو يراجع التقارير الفنية ، الخاصة بمحاولة ابتزاز رجل الأعمال (شريف صابر) ، فى مكتب هذا الأخير ، الذى بدا أكثر عصبية من المعتاد ، وهو يهتف :

ـ ما العجب فى هذا ؟! صحيح أن جرائم الابتزاز المباشر لم تعد مألوفة ، فى هذه الحقبة من القرن الحادى والعشرين ، ولكن هذا لا يعنى أنها قد انقرضت تمامًا .

مطّ المفتش شفتيه ، قائلاً :

ـ تعجُّبى ليس بشأن الجريمة نفسها .

ثم دفع التقارير الإليكترونية نحوه ، مستطردًا فى صرامة :

ـ بل بشأن هذه .

التقط (شريف) التقارير الإليكترونية فى آلية ، وهو يقول فى حدة :

ـ وما هذه بالضبط ؟!

أجابه المفتش ، فى صرامة أكثر ، وكأنما يعلن غضبه واحتجاجه ، على أسلوبه السخيف فى الحوار :

ـ هذه هى التقارير الإليكترونية ، الخاصة بذلك الاتصال ، الذى تلقيته من المبتز فى البداية .. المفترض

أننا نستخدم أحدث وأذكى وسائل الأمن الرقمية ، القادرة على تحديد جهة الاتصال بمنتهى الدقة ، حتى لو حاول المتصل استخدام عمليات التكويد والتشفير الإليكترونية ، مهما بلغت جودتها ، وحتى لو أجرى اتصاله عبر شبكة غير محدودة ، أو عبر سلسلة من الاتصالات الفرعية غير المباشرة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد فشلت كل وسائلنا المتطورة هذه ، فى تحديد موقع الاتصال ، أو حتى رقم الهاتف الأصلى .

قال (شريف) ، فى عصبية شديدة :

ـ ربما تحتاجون إلى استخدام وسائل أحدث ..

هزّ المفتش رأسه ، وأشار إلى التقارير الإليكترونية ، قائلاً :

ـ كلاّ ياسيّد (شريف) .. الخبراء أكدوا أن وسائلنا هى الأحدث والأقوى بلا منازع ، ولكنهم يقولون فى الوقت ذاته : إن تحديد رقم وموقع ذلك الاتصال الابتزازى مستحيل تمامًا ، بكل المقاييس العلمية والعملية .

لوّح (شريف) بالتقارير الإلكترونية فى حدة ، وهو يهتف :

ـ ولماذا أيها العباقرة ؟!

انعقد حاجبا المفتش ، بمنتهى الشدة والحزم والصرامة ، وهو يتطلّع إليه مباشرة ، مجيبًا :

ـ لأن هذه المكالمة لم تتم أبدًا .

اتسعت عينا رجل الأعمال ، وهو يحدّق فيه بمنتهى الدهشة ، قبل أن يهتف فى حدة :

ـ ما الذى يعنيه هذا القول الأحمق بالضبط ؟!

صاح فيه المفتش ، وهو يشير إلى التقارير الإليكترونية فى غضب :

ـ هذا القول الأحمق هو ما انتهى إليه أبرع خبرائنا يارجل الاقتصاد العبقرى .. المكالمة التى حاولت ابتزازك لم تسجّل رقمها فى هاتفك فحسب ، ولكنها لم تترك أثرها فيه أيضًا .

حدّق فيه (شريف) ، هاتفًا :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه المفتش فى صرامة :

ـ أعنى أنها لم تُسجّل فى هاتفك ، الذى فحصه الخبراء بمنتهى الدقة ، وأيقنوا من أنه لا يعانى من أ أعطاب أو أعطال ، تمنعه من تسجيل المكالمة ، وتخزينها فى ذاكرته الرقمية .

ثم مال نحوه ، مضيفًا فى حدة :

ـ هذا لو أنك قد تلقيتها بالفعل .

انتفض جسد رجل الأعمال ، وهو يهتف مستنكرًا :

ـ ماذا تعنى يا رجل ؟! هل تتصوّر أننى قد افتعلت كل هذا ؟!

صاح فيه المفتش فى حنق :

ـ ولِمَ لا .. منذ حداثتى وأنا أعلم أن رجال الما الكبار ، لهم شطحاتهم العجيبة ، التى لا يمكن فهمـ أو تبريرها أبدًا .

هتف (شريف) فى غضب :

ـ ولماذا أقدم على عمل أخرق كهذا ؟!

لوّح المفتش بيده ، مجيبًا فى صرامة :

ـ ومن أدرانى ؟! ربما لتضاعف من أرباح شركاتك ، ومبيعاتها ، وتعاقداتها العديدة ، أو لتحصل على دعاية مجانية ، بعد أن نشرت كل الصحف خبر ذلك التهديد الذى تلقيته ، وتزاحم رجال الصحافة والإعلام ؛ لالتقاط صورتك ، ومعرفة ردود فعلك ، إزاء ذلك الابتزاز المزعوم ، والاطلاع على آخر أخبار القضية .

احتقن وجه رجل الأعمال فى شدة ، وهو يلوّح بسبابته فى وجه المفتش ، هاتفًا :

ـ إنك .. إنك ..

كانت الكلمات محتبسة فى حلقه ، حتى إنها لم تنجح فى تجاوز شفتيه ، مما أورثه شعورًا بالعجز ، كاد ينسف مخه كله ، لولا أن انبعث صوت أنثوى حازم فجأة ، يقول :

ـ بمناسبة الحديث عن رجال الصحافة والإعلام .. أظننا نرغب بالفعل فى سماع آخر أخبار الموقف هنا .

التفت الجميع إلى (مشيرة محفوظ) ، رئيسة تحرير جريدة (أنباء الفيديو) المرئية ، والتى تقدّمت إلى الداخل فى هدوء وثقة ، وخلفها مصوّر شاب ، راح يلتقط كل ما يحدث بالفعل ، على نحو جعل المفتش يهتف به فى غضب :

ـ أى عبث هذا ؟! من سمح لكما بالدخول إلى هنا ؟!

أجابته (مشيرة) فى حزم :

ـ ومن يمكن اعتراض مرآة الصحافة ، التى منحها التعديل الدستورى حق دخول كل المواقع ، وكشف كل أنواع القصور والإهمال ، و ...

قاطعها المفتش فى غضب صارم :

ـ هذا لا ينطبق على تحقيقات الشرطة أيتها المتحذلقة .

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ من قال هذا ؟!

ثم اتجهت إلى (شريف صابر) مباشرة ، متابعة ، وكأنما لا يعنيها سواه :

ـ قل لى يا سيّد (شريف) : هل حاول المبتز الاتصال بك مرة ثانية ؟!

احتقن وجه المفتش ، وهو يهتف :

ـ سيّدة (مشيرة) .. إننى أحذرك .

صاح رجل الأعمال فى غضب :

كلاّ يا سيّدتى .. المبتز لم يتصل ، ولم يحاول الاتصال ، وخبراء الشرطة يؤكدون أنه حتى اتصاله الأوّل لم يحدث أبدًا .

ألقى إليه المفتش هاتفه المحمول ، الذى أعاده خبراء الشرطة بعد فحصه ، وهو يقول فى حدة غاضبة :

ـ راجع ذاكرة هاتفك الرقمية بنفسك ، لو أنك تشك فى تقرير الخبراء .

التقط (شريف) الهاتف ، الذى ألقاه المفتش إليه ، ولم تكد أصابعه تلتف حوله ، حتى ارتفع رنينه فجأة ،

على نحو انتفض له الكل فى عنف ، وعلى رأسهم رجل الأعمال نفسه ، الذى أفلت الهاتف الصغير من بين أصابعه ، وهو يطلق شهقة ذعر ، ويتراجع بحركة حادة ، فسقط الهاتف ليرتطم بالأرض ، ويواصل رنينه المتصل ..

ولثوان ، ظلّ الكل يحدّق فى الهاتف ، الذى تواصل رنينه ، قبل أن تلتفت (مشيرة) إلى المصورّ الشاب المصاحب لها ، هاتفة فى حماسة وانفعال :

- هل التقطت هذا ؟! هل سجّلته ؟!

أجابها المصورّ الشاب ، فى حماسة أكثر :

- نعم .. نعم .. اطمئنى .

عبارته هذه انتزعت المفتش من توتره وجموده ، فاستدار إلى المصورّ بنظرة مقت شديدة ، قبل أن يقفز ليلتقط الهاتف ، ويلقى نظرة على شاشته ، هاتفًا فى حدة :

- لا أرقام .

ثم أدار وجهه ويده إلى رجل الأعمال ، مستطردًا فى صرامة :

- أجب المحادثة .

هزّ (شريف) رأسه نفيًا فى قوة ، هاتفًا فى ذعر :

- لا .. لا .. مستحيل !

ضغط المفتش زر الاتصال العام المسموع ، وهو يدفع إليه الهاتف فى صرامة ، قائلاً بلهجة آمرة قاسية :

- أجب .

التقط (شريف) الهاتف بأصابع مرتجفة ، وهو يقول بصوت أكثر ارتجافًا :

- من المتحدث ؟!

انتفض جسده مرة أخرى ، عندما ارتفع ذلك الصوت الآلى الجاف ، عبر سماعة الهاتف الخارجية القوية ، ليسمعه كل من بالحجرة فى وضوح ، وهو يقول :

- كنت أعلم أنك ستقدم على عمل أحمق أخرق أيها الحقير .

ارتجف صوت رجل الأعمال فى شدة ، وهو يقول :

- إننى لم أفعل شيئًا .

أجابه ذلك الصوت المخيف ، قائلاً :

- حقًا ؟! فقط أبلغت الشرطة ، وملأت الدنيا صراخًا وعويلاً .

ازدرد (شريف) لعابه فى توتر بلا حدود ، وهو يقول :

- كنت مضطرًا .

ازداد انعقاد حاجبى المفتش بشدة ، عندما أجابه ذلك الصوت الآلى :

- هل تصورت أن الشرطة يمكنها حمايتك منى ؟!

ارتبك (شريف) بشدة ، وهو يقول :

- الواقع أن .. أن ...

قاطعه الصوت الآلى الجاف فى قسوة :

- هل ترتبك لأنهم يحيطون بك جميعًا ، فى حجرة مكتبك ؟!

اتسعت عينا (مشيرة) فى دهشة ، مع هذا القول العجيب ، فى حين كاد حاجبا مفتش الشرطة يمتزجان ، من فرط انعقادهما ، وهو يتلفت حوله فى عصبية ، بحثًا عن أية أجهزة للمراقبة والتنصت ، و (شريف) يهتف فى ذعر :

- لا .. لا .. إنك مخطئ .. لا يوجد ...

قاطعه الصوت الآلى مرة أخرى ، فى قسوة أكثر :

- مفتش الشرطة إلى يمينك ، وصحفية (أنباء الفيديو) المتحذلقة فى مواجهتك ، ومصورها الشاب إلى اليسار قليلاً .. هل ترغب فى أن أكمل ، أم أن هذا يكفيك ، لتدرك أننى لا أعبث .

وهنا ، هتف المفتش فى غضب صارم :

- افحصوا المكان فورًا .. افحصوا كل شبر منه .

انبعث الصوت الآلى الجاف من سماعة الهاتف الخارجية ، وهو يقول :

- افحصوا وابحثوا ما شئتم .. لن تجدوا شيئًا ..
إننى لا أستخدم تلك التوافه ..

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف بقسوة مخيفة :

- إننى أستخدمكم أنتم .

جاءت عبارته الأخيرة أشبه بقنبلة ، انفجرت فى المكان كله ، فاتسعت لها عيون الجميع فى دهشة مستنكرة ، ورجل الأعمال يقول فى ارتياع :

- تستخدمنا نحن ؟!

أجابه الصوت الآلى فى صرامة مخيفة :

- نعم .. أستخدمكم أنتم .. أستخدم عقولكم ، وأفواهكم ، وآذانكم ، وعيونكم أيضًا .

ثم ارتفعت نبرته ، وهو يضيف بمنتهى القسوة :

- أستخدم عقولكم .

عند هذه النقطة بالذات ، ألقى رجل الأعمال الهاتف من يده ، وتراجع بحركة حادة مذعورة ، فى حين انطلق

الصوت الآلى يضحك ، على نحو مخيف مستفز ، جعل الكل يحدقون فيه بضع لحظات ، قبل أن يندفع رجل الأعمال نحوه ، ويضربه بقدمه بمنتهى العنف والغضب ، صارخًا :

- اخرس .. اخرس .

تحطمَّ الهاتف فى عنف ، وتناثرت أجزاؤه فى كل مكان ، فصاح المفتش فى غضب حانق :

- خطأ .. خطأ .. ينبغى أن يفحصه الخبراء أولاً .

صرخ (شريف) فى حدة :

- لا أريد خبراء .. لا أريد حتى رجال شرطة .. لا أحد سيمكنه حمايتى منه .. لا أحد .. لا أحد .

استدار إليه المفتش ، هاتفًا فى صرامة عصبية :

- لا تجعله يخدعك بهذا .. إنه يثير خوفك فحسب .

هزَّ (شريف) رأسه فى قوة ، صائحًا :

- لا .. لا .. إنه سيظفر بى حتمًا .. لن يحمينى أحد منه .

ثم تجمدت ملامحه فجأة ، وهو يضيف ، وقد شردت نظراته على نحو عجيب :

ـ لقد رفضت العرض .. الموت هو مصيرى الوحيد .

انعقد حاجبا (مشيرة) فى شدة ، وهى تسأل المصوّر الشاب :

ـ هل سجلت هذا ؟!

أجابها المصوّر فى انفعال ، وهو يتحرك بخفة ونشاط ، حتى لا تفوته شاردة أو واردة :

ـ نعم .. نعم .. اطمئنى ياسيدة (مشيرة) .. أنا أحرص منك على هذا .

أما المفتش ، فقد قال فى عصبية :

ـ ماذا أصابك ياسيد (شريف) ؟!

تراجع رجل الأعمال نحو نافذة مكتبه ، الذى يقع فى الطابق العشرين من مبناه التجارى ، وهو يردد فى آلية عجيبة :

ـ الموت هو المصير المحتوم .. الموت جزاء من يرفض العرض ..

هتف المفتش ، وقد خيّل إليه أنه قد أدرك غرضه :

ـ ابتعد عن النافذة ياسيد (شريف) .

ولكن رجل الأعمال استدار إلى النافذة ، واتجه نحوها مباشرة ، مواصلاً :

ـ الموت جزاء من يرفض العرض .

صرخت (مشيرة) فى فزع ، فى حين صاح المفتش ، فى اثنين من رجاله :

ـ أوقفوه .. أوقفوه بأى ثمن .

اندفع الرجلان نحو (شريف) ، الذى واصل سيره نحو النافذة ، فى حزم مخيف رهيب ، وأمسك كلاهما بأحد ذراعيه ، و ...

وفجأة ، طوّح (شريف) ذراعه اليمنى فى قوة ، فطار جسد الرجل الممسك بها ، وكأنه مجرد دمية



مع عبارته الأخيرة ، التى نطقها بصوت يماثل ذلك الصوت الآلى الجاف تمامًا ، قبل أن يثب فجأة بكل قوته .. عبر النافذة ..

في نفس اللحظة التي لطم فيها (شريف) الرجل الثاني، ثم حمله في خفة، وكأنما انعدم وزنه، وألقى به نحو المفتش، الذي صرخ :

ـ أوقفوه .

تراجعت (مشيرة) في رعب، عندما شاهدت جسد الرجل يطير في الهواء، كما لو أن دبابة ضخمة مسرعة قد ارتطمت بجسده، ثم يسقط فوق المفتش، ويهوى كلاهما أرضًا، و (شريف) يندفع نحو النافذة، صائحًا :

ـ لقد رفضت العرض، واستحق الموت .

ولم يكد يبلغها، حتى توقَّف عندها، والتفت إلى المصوِّر الشاب، مكررًا :

ـ الموت جزاء من يرفض العرض .

واتسعت العيون كلها في رعب ذاهل، مع عبارته الأخيرة، التي نطقها بصوت يماثل ذلك الصوت الآلي الجاف تمامًا، قبل أن يثب فجأة بكل قوته ..

عبر النافذة ..

ومع وثبته ، صرخ المفتش :

ـ لا .. لا ..

أما (مشيرة) ، فقد تجمدت الدماء فى عروقها ، وهى تحدق فى تلك المشهد الرهيب ، وتراجعت بحركة آلية مذعورة ، قبل أن تستعيد شيئًا من جأشها وتماسكها ، وتلتفت بوجه شاحب إلى المصور الشاب ، قائلة بصوت أكثر شحوبًا :

ـ هل التقطت هذا ؟! هل سجّلته ؟!

فما رأته يحدث أمامها ، وما سجلته عدسات آلة تصوير (أنباء الفيديو) ، كان مذهلاً :

مذهلاً ..

مذهلاً بحق ..

وبكل المقاييس .

* * *

٣ ـ السيطرة ..

« أأنت واثق من أن هذا ما حدث بالضبط ؟! » ..

ألقى الدكتور (جلال) ، مدير مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية المصرية ، السؤال فى اهتمام بالغ ، وهو يتطلّع إلى (أكرم) مباشرة ، فهزّ هذا الأخير رأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ تمام الثقة .. لقد وثبت عبر الزمن ، إلى نقطة يتواجد جسدى فيها(*) ، فوجدت بنفسى داخل ذلك الفراغ الزمنى ، الذى التقيت فيه بزميلنا (محمود)(**) .

هزّ الدكتور (جلال) رأسه فى حيرة ، مغمغمًا :

ـ أمر مدهش .

(*) راجع قصة (قراصنة الزمن) .. المغامرة رقم (١٤٠) .

(**) راجع قصة (التعاون) .. المغامرة رقم (١٤١) .

ثم استدار إلى (رمزى) ، مكملاً :

- وباعتبارك خبيرًا نفسيًا ، ترى أنه صادق فيما يقول .. أليس كذلك ؟!

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، قائلاً فى رصانة :

- لا أحد فى الوجود ، يمكنه أن يتيقَّن من صحة رواية (أكرم) ؛ لأنه لو كان قد وثب عبر الزمن ، لمنع حدوث تلك الغزو المستقبلى، القادر على تدمير وجودنا كله ، فسيحدث مع نجاحه تغيُّر حاسم فى مجرى الزمن والأحداث ، وستسير الأمور على نحو طبيعى تمامًا ، بحيث لا يمكننا أبدًا أن ندرك ما حدث ، ولكن دليلنا الوحيد على حدوثه هو اختفاء (أكرم) الغامض ، عندما حدث تواجده الزمنى المزدوج ، وعودته التى لاتقل عن اختفائه غموضًا وإثارة .

عاد الدكتور (جلال) يسأل فى إصرار :

- السؤال هو : هل روايته حقيقية ، أم أنها مجرد أوهام وهلاوس ، نشأت من وثبته الزمنية تلك ؟!

هزَّ (رمزى) كتفيه ، مجيبًا :

- إنه يؤمن تمامًا بحدوثها ، فى كل الأحوال ، فكل ما أستطيع حسمه ، بحكم خبراتى العملية والشخصية ، هو أنه لا يشك لحظة واحدة فيما حدث ، أما عن كونه حقيقة أم لا ، فـ ...

قاطعه (أكرم) ، فى صرامة غاضبة :

- كل ما رويته لكم حقيقى .. لقد التقيت بزميلكم (محمود) ، فى ذلك الفراغ الزمنى ، ولولا معاونته ، لما أمكننى العودة إلى عالمنا هذا .

سأله الدكتور (جلال) فجأة :

- وماذا عنه ؟!

استدار إليه (أكرم) بعينين حادتين متوترتين ، فتابع فى شىء من الصرامة :

- لماذا لم يستخدم معلوماته وخبرته بالزمن ، ليعود بنفسه إلى عالمنا هذا ؟!

عقد (أكرم) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى تحد :

ـ سله عندما تراه .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) فى غضب ، وبدا لحظة وكأن النقاش بينه وبين (أكرم) سيحتدم ، لولا أن تدخلت (نشوى) فجأة ، قائلة :

ـ مهلاً يا (أكرم) .. رويدك يادكتور (جلال) .. لسنا هنا لنتنازع ، بشأن صحة قصة (أكرم) من عدمها ، ولكننا أردنا فقط أن نبحث عن أية وسيلة ، لاستغلال ما حدث ، من أجل إيجاد سبيل لاستعادة (محمود) .

وأسرعت (سلوى) تضيف :

ـ لو أن هذا ممكن .

بدا التوتر على وجه (أكرم) ، وغمغم فى عصبية :

ـ لم أحتمل نبرة الشك هذه .

مطّ الدكتور (جلال) شفتيه لحظة ، ثم قال :

ـ لا بأس ..

ثم ربّت على كتف (أكرم) فى مودّة ، مستطردًا بابتسامة هادئة :

ـ الواقع أنه لم يكن شكًا فى روايتك يا (أكرم) ، ولكنها محاولة للتأكُّد من أنك قد أجدت وصف ما حدث ، فنحن سنستخدم معطياتك هذه لأغراض علمية ، وأنت بطبيعتك غير علـ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، وهو يتراجع فى حرج ، فأكمل (أكرم) فى حدة :

ـ غير علمى .. نعم .. أعلم هذا .

ثم لوّح بسبّابته ، مضيفًا فى حزم :

ـ ولكننى وصفت ما حدث بمنتهى الدقة .

وافقه الدكتور (جلال) بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

ـ فليكن .. سنكتفى بهذا .

سألته (سلوى) فى اهتمام :

ـ هل تعتقد أن هناك أملاً يادكتور (جلال) ؟!

مطّ الدكتور (جلال) شفتيه ، وهزّ رأسه ، قائلاً :

- لا توجد حدود للعلم ، سوى ما اختص به رب العالمين (عزّ وجلّ) من قدرات ، مما لن يبلغه البشر قط ، فى أى زمان أو مكان ، ومادام (أكرم) قد انتقل بالفعل عبر الزمن ، ثم سقط فى ذلك الفراغ الزمنى ، وعاد منه سالمًا ، فهذا يعنى أن هناك قواعد وقوانين علمية تحكم هذا ، وكل ما علينا هو البحث عن تلك القوانين ، ووضع النظريات الخاصة بها .

سأله (أكرم) فى لهفة :

- هل يحتاج هذا إلى زمن طويل ؟!

أجابته (نشوى) فى أسف :

- ربما عشرات السنين .

اتسعت عيناه فى ارتياع ، فأضاف الدكتور (جلال) فى سرعة :

- ربما عدة أيام .. لا أحد يدرى .

نقل (أكرم) نظره بينهما ، قبل أن يقول بصوت متهدّج ، من فرط التأثر :

- مهما حدث ، لا يمكننى أن أتركه وحده هناك .

ثم غلبه تأثره ، فهتف فى حدة :

- إنه يتعذّب من الوحدة .

تطلّع إليه الدكتور (جلال) فى تعاطف ، قبل أن يعاود التربيت على كتفه ، قائلاً فى خفوت مشفق :

- إنه على قيد الحياة على الأقل .

تنهّد (أكرم) فى عمق ، قبل أن يقول فى مرارة :

- من يدرى ، أهذا لصالحه أم لا .

أدرك الجميع ما يعنيه بقوله هذا ، وتبادلوا نظرة صامتة ، وعقل كل منهم يرسم صورة مخيفة لـ (محمود) ، السابح وحده فى فراغ زمنى أبدى ..

وارتجفوا ..

ارتجفت كل ذرة من كينوناتهم ، من هول ما رسمه خيالهم ..

وفى آن واحد تقريبًا ، اتسعت عيونهم جميعًا ، قبل أن يهزّ (رمزى) رأسه فى قوة ، وكأنما يطرد تلك الصورة الرهيبة من كيانه ، ثم يطلق زفرة ملتهبة ، مرددًا :

- يا إلهى ! هذا أبشع من جحيم (دانتى) (*) .

وهتفت (نشوى) :

- لابد أن نبذل كل ما بوسعنا لاستعادته .. لابد .

أجابها الدكتور (جلال) فى حزم :

- سنفعل إن شاء الله (عزّ وجلّ) ..

ثم تحرك فى حجرة الفريق ، مضيفًا فى حماسة :

- لدينا بالفعل فريق من العلماء ، يعكف منذ فترة على دراسة نظريات السفر عبر الزمن ، ويبحث تعديلات معادلات (آلبرت أينشتين) ، حول البعد الزمنى ، ولقد

(*) (دانتى أليجيرى) : (١٢٦٥ - ١٣٢١ م) : شاعر إيطالى ، بدأ حياته الأدبية بروايته الطويلة (الحياة الجديدة) ، ويعتبر أشهر شعراء (إيطاليا) ، ومن أعظم الشعراء فى العالم ، وأهم أعماله الأدبية (الكوميديا الإلهية) ، و (المأدبة) ، واشتهر بأفضل وصف بشرى لما تصوّر أنه الجحيم ..

حققَ هذا الفريق نتائج معقولة حتى الآن ، ولديه بالفعل بضع نظريات ومعادلات جديدة .. سأطرح على ذلك الفريق ما قاله (أكرم) ، عن الفراغ الزمنى المتعادل ، وأظن أن هذا سيساعدهم كثيرًا .

ولوّح بقبضته ، مكملاً فى حزم :

- وسنستعيد (محمود) بإذن الله .

نطقها بلهجة عجيبة ، بدت وكأنها تأكيد حاسم لما يقول ، حتى إن الكل تطلّع إليه فى تساؤل ، همّت معه (نشوى) بإلقاء سؤال ما ، لولا أن وصل (نور) فى تلك اللحظة ، وهتفت (سلوى) ، وهى تلتفت إليه :

- يا إلهى ! ما الذى كلفنا إياه القائد الأعلى هذه المرة يا (نور) ؟! إنك تبدو شديد الشحوب والتوتر ، على نحو لم أعهده بك من قبل .

ودون أن يجيب سؤالها ، ألقى (نور) جسده على أقرب مقعد إليه ، وهو يطلق زفرة حارة ، من أعمق أعماق قلبه ..

زفرة ، جعلتهم يدركون جميعًا أنهم أمام مهمة جديدة ، من طراز خاص ..

خاص جدًا ..

الطراز الوحيد ، القادر على وضع (نور) ، فى مثل هذه الحالة ..

الطراز البالغ الأهمية والخطورة ..

إلى أقصى حد ممكن ..

* * *

لم يستطع أفراد فريق (نور) أبدًا ، منع تلك الدهشة العارمة ، التى ارتسمت على وجوههم جميعًا ، وهم يشاهدون ذلك الفيلم ، الذى التقطه مصوِّر (أنباء الفيديو) ، لحادث انتحار رجل الأعمال (شريف صابر) ..

فعلى الرغم من أن (نور) قد لخَّص لهم الموقف كله تقريبًا ، قبل أن يشاهدوا الفيلم فعليًا ، إلا أن رؤية ما حدث فجَّرت فى أعماقهم دهشة وحيرة بلا حدود ..

وفى اضطراب واضح ، تساءلت (نشوى) :

ـ رباه !! أهذا ممكن بالفعل ؟!

أجابتها (سلوى) ، فى صوت متوتر :

ـ الرجل بدا بالفعل كالمأخوذ ، وهو يلقى بنفسه عبر النافذة .. من الواضح أنه كان تحت سيطرة عقلية كاملة .

كرَّرت (نشوى) ، وهى تلتفت إلى الجميع ، بنظرة ملؤها الذعر والارتياع :

ـ أهذا ممكن ؟!

أشار (نور) بيده ، وهو يقول فى حزم :

ـ لقد رأينا ما رآه الجميع ، فما رأيكم أنتم ؟!

قال (أكرم) فى حزم ، وهو يتطلَّع إلى (رمزى) :

ـ هذا يحتاج إلى رأى متخصص .

تنحنح (رمزى) فى توتر ، واعتدل فى مجلسه ، قائلاً :

ـ من الناحية العلمية ، لا يوجد دليل واحد ، على قدرة شخص ما ، فى السيطرة على عقول الآخرين ، ودفعهم إلى القيام بما يتجاوز ما يمكنهم فعله ، إذا

ماكانوا فى وعيهم ..حتى فى حالات التنويم المغنطيسى العميق ، عندما يسيطر المنوِّم على عقل المنوَّم تمامًا ، لا يمكن أن يدفعه إلى قتل نفسه ، أو حتى قتل الآخرين ، ما لم تكن لديه رغبة مسبقة ذاتية فى فعل هذا !(*) ، ولكن بعض المختصين يقولون : إنه من الممكن القيام بهذا ، عن طريق الخداع غير المباشر للعقل البشرى ، كإقناع الشخص الخاضع للسيطرة مثلاً بأنه يقف على حافة حوض سباحة رائع ، وليس على حافة سطح ناطحة سحاب ، بحيث يثب من الثانية ، متصورًا أنه يستمتع بالأول(**) ..

هتفت (نشوى) مذعورة :

- إذن فهذا ممكن .

أشار (رمزى) بسبابته ، مجيبًا فى حزم :

(*) حقيقة علمية .

(**) حقيقة تجريبية .

- ما رأيناه يختلف تمامًا عن هذا ، فالسيد (شريف) وثب من النافذة ، وهو يدرك تمامًا ما ينتظره ؛ فقد كان يردد أنه يستحق الموت ، وهذه حالة لا مثيل لها علميًا ..

بدا صوت (نور) صارمًا حازمًا ، وهو يقول :

- إنك لم تحسم شيئًا بعد .

هزَّ (رمزى) رأسه ، قائلاً :

- العقل البشرى مازال سرًا غامضًا يا (نور) ، على الرغم من كل ماتوصل إليه العلماء بشأنه ، ولا أحد يمكنه أن يدَّعى معرفته بحدود قدراته ، التى يؤكد البعض كونها لا نهائية ، وفى كل يوم نكتشف حقائق وقدرات مدهشة للعقل البشرى ، فقديمًا مثلاً ، كان العلم والطب يعتبران أن التنفس والعرق ، ونبضات القلب أفعال لا إرادية ، تتم طول الوقت ، دون أن يتدخل الإنسان فى حدودها أو معدلاتها ، ثم جاء ممارسو (اليوجا) ، ليثبتوا أن هذا غير صحيح ، إذ يمكنهم التحكم فى معدلات

النبض ، وسرعة التنفس ، وحتى فى عمليات الهضم والتمثيل الغذائى الداخلية (*) .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ وهل تعتقد أن هذا يمكن أن يمتد ، إلى التحكُّم فى عقول الآخرين ، والسيطرة عليها ؟!

هزَّ (رمزى) كتفيه ، قائلاً :

ـ بعض كهنة الهنود ، أو رهبان (التبت) ، يمكنهم تطوير قدراتهم العقلية إلى حدود مذهلة ، بحيث يحركون الأشياء دون لمسها ، ويقرءون أفكار البعض ، ولكن السيطرة على عقول الآخرين أمر لم يرد فى أى مرجع طب (**) .

تدخلت (سلوى) ، قائلة فى حزم :

ـ هناك أمر آخر ، أجده أنا شديد الخطورة ، بحكم تخصصى العلمى .. إنه تلك المحادثات الهاتفية ، التى تلقَّاها (شريف صابر) ، مرة أمام كافة مديرى شركاته ،

(*) حقيقة تجريبية .

(**) حقيقة تجريبية .

والمرة الثانية أمام عدسات التصوير ، وعلى الرغم من هذا ، فلا يوجد لها أدنى أثر ، فى الذاكرة الرقمية للهاتف نفسه ..

اعتدلت (نشوى) على مقعدها ، وهى تقول فى اهتمام :

ـ ولكن هذا مستحيل عمليًا .

اندفع (أكرم) يقول فى حماسة :

ـ إنه جاسوس .

التفت إليه الجميع فى تساؤل ، فتابع فى حزم :

ـ التفسير المنطقى الوحيد هو أن هناك جاسوسًا ، وسط رجال (شريف صابر) .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يدرس هذا الاحتمال الجديد ، فى حين تساءل (رمزى) فى حيرة :

ـ وما الذى يمكن أن يفعله ذلك الجاسوس المزعوم ؟!

أجابه (أكرم) ، فى حماسة شديدة :

ـ يفسد ذاكرة هاتف (شريف) الرقمية .

التفت (نور) إلى (سلوى) ، وسألها فى اهتمام :

ـ هل تعتقدين أنه من الممكن حدوث هذا عمليًا ؟!

ترددت لحظة ، قبل أن تجيب فى حذر :

ـ ربما لو تمت الاستعانة بخبير ، فقد ...

قاطعتها (نشوى) فى حزم :

ـ هذا مستحيل !

ثم نهضت واقفة ، وهى تتابع :

ـ أنا لست خبيرة اتصالات مثلك يا أمى ، ولكننى أدرك جيدًا كيفية برمجة الذاكرة الرقمية للهواتف المحمولة ، ولو أن أحدًا عمل على إفساد البرنامج ، على أى نحو كان ، لما أمكنه خداعى أبدًا ، ولكشفت ما فعله خلال دقائق قليلة ، والخبراء الذين فحصوا الهاتف لا يقلون خبرة ومهارة عنى ، ولن يخدعهم هذا أبدًا .

أومأ (نور) برأسه متفهمًا ، قبل أن يقول :

ـ ولكننا لن نخسر شيئًا ، إذا ما طلبنا أن نعيد فحص هاتف (شريف صابر) بأنفسنا .

أيدته (سلوى) ، قائلة :

ـ هذا أفضل بالتأكيد .

شملهم الصمت لحظة ، بعد أن نطقت عبارتها ، ثم قال (أكرم) فى أسف :

ـ مازلت عاجزًا عن نسيان مشهد ذلك المسكين ، وهو يلقى نفسه من النافذة ، مرددًا أنه يستحق هذا .. إنه مشهد بشع بحق .

وافقته (نشوى) ، قبل أن تلوِّح بيدها فى الهواء ، قائلة :

ـ أعتقد أن (مشيرة) تخالفك الرأى كالمعتاد ، فبالنسبة لها هذا سبق صحفى مذهل ، ولا ريب فى أنها تعتبر نفسها محظوظة ، لأنها كانت موجودة ، عندما حدث هذا .

تطلّع إليها (رمزى) بضع لحظات ، فى تفكير عميق ، قبل أن يقول فى بطء :

ـ أعتقد أنه لو لم تكن (مشيرة) هناك ، لما حدث هذا .

احتقن وجه (أكرم) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ هل تتهم زوجتى بالتواطؤ فى هذه الجريمة البشعة يا (رمزى) ؟!

أشار إليه (نور) فى صرامة ، قائلاً :

ـ مهلاً يا (أكرم) .. من الواضح أن (رمزى) لم يقصد ما جال بذهنك أبدًا .

أسرع (رمزى) يقول :

ـ هذا صحيح يا (أكرم) .. ما قصدته هو أن ذلك المجرم المجهول ، لم يكن يقصد بتهديده لرجل الأعمال عملية ابتزاز فعلية ، وأنه عندما طلب مليار جنيه دفعة واحدة ، كان يرمى إلى استفزاز (شريف صابر) ، ودفعه إلى

إبلاغ رجال الشرطة ، ولن أستبعد أن يكون هو من سرّب الخبر إلى (أنباء الفيديو) ، باعتبارها الصحيفة المرئية رقم واحد ، فى العالم كله .

التقى حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ أتعنى أنه قد اختار اللحظة التى يدفع فيها (شريف صابر) إلى الانتحار ، أمام عدسات (أنباء الفيديو) بالذات ؟!

أجابه (رمزى) فى سرعة وحزم :

ـ بالتأكيد ..

ثم لوّح بذراعيه فى حماسة ، متابعًا :

ـ تصوّر كم الدعاية التى سيحصل عليها ، بعد أن يشاهد ملايين البشر انتحار رجل الأعمال الشهير (شريف صابر) ، على شاشات (أنباء الفيديو) ، فى جميع أنحاء العالم .. من سيجرؤ بعدها على عصيان أوامره ، أو حتى إبلاغ الشرطة والمسئولين عن تهديداته أو طلباته ؟!

هتفت (سلوى) :

ـ يا إلهى ! إنه يستطيع أن يجنى المليارات ، من دعاية كهذه ..

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وهو يقول :

ـ ليت الأمر يقتصر على هذا .

سألته (نشوى) فى ارتياع :

ـ ماذا تقصد يا أبى ؟!

أجابها ، فى صرامة متوترة :

ـ أقصد أن كبار المسئولين ، والسياسيين ، وقادة الجيوش ، هم أيضًا بشر .

أدرك الجميع ما يقصده ، فاتسعت عيونهم فى ارتياع ، وغمغم (أكرم) فى انفعال جارف :

ـ إنه يسعى إلى السيطرة .

أضاف (نور) فى حزم :

ـ الكاملة .

تفجرت كلمته الأخيرة كقنبلة ، لها دوى صامت رهيب ، وأثر عنيف قاس ، فى نفس كل منهم ، وتبادل الكل نظرة ، حملت أبلغ ما يمكن أن تفصح عنه الكلمات ، قبل أن يقول (نور) فى صرامة شديدة :

ـ هل تعلمون ما الذى ينبغى أن نفعله الآن ، وفورًا .

أجابه (رمزى) ، فى سرعة وحزم :

ـ نمنع (مشيرة) من بث الفيلم .

التقى حاجبا (أكرم) ، وهو يقول فى توتر :

ـ هل تعتقدون أنها ستوافق على عدم بثه ؟!

أدار (نور) بصره فى عيونهم جميعًا ، قبل أن يجيب فى صرامة :

ـ ومن سينتظر موافقتها ؟!

حمل صوت (أكرم) كل توتر الدنيا ، وهو يقول فى حدة :

ـ اسمع يا (نور) .. صحيح أننا رجال مخابرات ، وأن الخلافات بينى وبين (مشيرة) قد بلغت أقصاها لو كانت ، إلا أنها لاتزال زوجتى ، ولن أسمح بإيذائها ، حتى ولو كان الثمن هو العالم كله .

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ على الرغم من أننى أخالفك تمامًا ، فى مبدأ تفضيل شخص واحد على العالم بأكمله ، إلا أننى لم أفكر لحظة واحدة ، فى إيذاء (مشيرة) ، بأى حال من الأحوال .

سأله فى حيرة :

ـ ماذا كنت تعنى إذن ، بأننا لسنا فى حاجة إلى موافقتها ؟!

شدّ (نور) قامته ، وهو يجيب بمنتهى الحزم :

ـ كنت أعنى أننا فريق مخابرات علمى .

ثم أدار عينيه فى وجوه باقى الرفاق ، مضيفًا :

ـ أليس كذلك ؟!

وفهم الجميع ما يعنيه ..

وتألقت العيون ..

كل العيون ..

* * *

« كل شىء جاهز للبث ، يا سيدة (مشيرة) .. »

نطق مدير ستوديوهات (أنباء الفيديو) العبارة فى حماسة ، وهو يراجع الفيلم ، الذى التقطته الشبكة ، لحادثة انتحار (شريف صابر) العجيبة ، على شاشة صغيرة أمامه ، فهتفت (مشيرة) ، وهى تتخذ موقعها ، أمام آلات البث المباشر :

ـ أنا مستعدة .

قال مدير التصوير فى انفعال حقيقى :

ـ هذا الفيلم قنبلة حقيقية ، وسيفوز حتمًا بجائزة أفضل تحقيق واقعى لهذا القرن .

ثم مط شفتيه ، مستطردًا فى أسف :

ـ ولكننى كنت أتمنى لو لم يحصل رجال الأمن على نسخة منه ، قبل أن تعرضه هنا .

هزت رأسها ، قائلة :

ـ كان هذا مستحيلاً ، مادام التصوير قد تم فى وجودهم ، وسجّل حالة أمنية غامضة ؛ فوفقًا للقانون ، يعتبر أحد الأدلة الجنائية ، التى يحق لهم الحصول عليها ..

تنهد ، قائلاً :

ـ أخشى أن يحاولوا منعنا من بثه .

ابتسمت فى ثقة ، قائلة :

ـ اطمئن .. لقد اتخذت الاحتياطات اللازمة ، حتى لا يمكنهم هذا أبدًا .

التفت إليها ، قائلاً فى توتر :

ـ أية احتياطات تلك التى يمكن أن تمنع رجال الأمن ، من تنفيذ ما يريدون ، وقتما يريدون ؟!

لوّحت بيدها ، قائلة :

ـ لماذا فى رأيك أردت بث الفيلم من هنا .. من ستوديوهات (أنباء الفيديو) القديمة ؟! ولماذا طلبت من رجال الأمن حراسة حجرة الطاقة الرئيسية ، وتوفير مصدر طاقة بديل ، يعمل يدويًا ، بوقود عادى ، إضافة إلى المولّد الاحتياطى ، الذى يعمل فى حال توقف المولّد الأصلى عن العمل ؟! بل ، ولماذا طلبت من الطاقم فصل أجهزة الكمبيوتر فى المكان ، عن الشبكات العامة ، وحتى عن شبكة الإنترنت الرئيسية ، والشبكة الفرعية أيضًا ؟!

والتقطت نفسًا عميقًا اتسعت بعده ابتسامتها الواثقة ، وهى تتابع فى حزم :

ـ كل هذا لأننى أردت ألا أمنحهم سبيلاً واحدًا ، لمنع بث الفيلم ، فى كل أنحاء الأرض .

بدأ يضغط بالفعل لأزرار البث الدولى ، وهو يقول :

ـ وماذا لو أدركوا ما فعلناه ، واقتحموا المكان عنوة ، ومنعونا من بث الفيلم بالقوة ؟!

انعقد حاجباها ، وهى تقول فى صرامة :

ـ سيكون هذا أحمق ما يمكنهم فعله .

ثم أشارت إلى أركان سقف المكان ، قائلة :

ـ انظر هناك .. لقد وضعت آلات تصوير فى كل الأركان ، وأوصلتها بنظم البث المباشرة ، فإذا ما أرادوا كسر القانون ، واقتحام المكان بالقوة ، سيشاهد العالم كله هذا ، وتصبح فضيحة عالمية .

تنهّد فى ارتياح ، قائلاً :

ـ عظيم .. من الواضح أنك قد اتخذت كل الاحتياطات بالفعل ..

ربّتت على كتفه فى قوة ، قائلة :

ـ اطمئن ، وابدأ البث يا رجل .. العالم ينبغى أن يعرف الحقيقة .. كل الحقيقة .

قال فى حزم وحماسة :

ـ نعم .. كل الحقيقة .

ثم صاح بكل حماسته وانفعاله ، عبر أجهزة الاتصال الصوتية المحدودة فى المكان :

ـ ابدأ البث .

قالها ، وضغط زر البث الدولى المباشر ، دون أن يدرك أن ما يفعله قد يصبح اللبنة الأولى فى منظومة السيطرة ..

السيطرة الوحشية التامة على العالم ..

كله ..

* * *



٤ـ بلا حــدود ..

« قدراتك العقلية بلغت حدًا مخيفًا » ..

نطق الراهب البوذى النحيل العبارة ، فى هدوء شديد ، على الرغم من الغضب الذى يعتمل فى نفسه ، فى ذلك الصباح الأخير ، من القرن العشرين ، وهو يجلس على مقعد مرتفع ، داخل المعبد القديم ، على جبال (التبت) ، فابتسم الرجل الواقف أمامه فى سخرية ، وهو يقول :

ـ أنصيحة هذه ، أم غيرة مكتومة ، من المستوى الذى بلغته ، فى هذا المضمار ؟

كظم الراهب الأصلع غيظه كعادته ، وهو يقول بنفس الهدوء :

ـ لقد بذلت جهدًا مضنيًا ، خلال الأعوام التسع الأخيرة ، ومن حقك أن تبلغ ما بلغته ، ثم إنه من الواضح

أن عقليتك متطوّرة للغاية ، ولديك موهبة حقيقية ، صقلتها إرادتك الفولاذية .

قال الرجل ، وقد تألّقت عيناه على نحو مخيف :

ـ هأنتذا تعترف بتفوّقى .

أجاب الراهب :

ـ ربما تكون قد بلغت شأوًا ملحوظًا ، ولكن هذا لايعنى التفوّق .. كل ما فى الأمر هو أنك تستمتع باختبار قوتك ، كل حين وآخر ، حتى ولو كان هذا على حساب حيوانات الجبل المسكينة ، التى لا تستحق ما تدفعه إليها دفعًا ، بسيطرتك على عقولها .

شدّ الرجل قامته ، وهو يقول فى صرامة :

ـ الضعف سبب كاف ، ليستحق أى مخلوق ذلك المصير ، الذى لا يملك مقاومته أو تغييره .

هزّ الراهب رأسه فى بطء ، قبل أن يقول :

ـ ليس من حق مخلوق التحكّم ، فى مصير مخلوق آخر ..

لوّح الرجل بقبضته ، قائلاً :

ـ القوى له حق السيطرة على الضعيف .

أجابه الراهب بنفس الهدوء :

ـ من يسعى للسيطرة على الآخرين ليس قويًا ، بل هنا تكمن نقطة ضعفه .

ابتسم الرجل مرة أخرى فى سخرية ، قائلاً :

ـ ضعفه .. يا للسخرية ! كيف تصبح القوة ضعفًا ؟!

أجابه الراهب :

ـ عندما لا تحكمها أية مبادئ بنّاءة .

صاح الرجل فجأة :

ـ خطأ أيها الراهب .. خطأ .. القوة هى القوة ، فى كل مكان وزمان ، ولاقيمة لها ، إلا لو كان المرء قادرًا على السيطرة على الآخرين .

صمت الراهب طويلاً هذه المرة ، قبل أن يسأله فى بطء شديد :

ـ أهذه هى القوة فى رأيك ؟!

لوّح بقبضته ، هاتفًا :

ـ دون أدنى شك .

ولم يجب الراهب الأصلع النحيل هذه المرة ..

كل ما فعله هو أن تطلّع إليه ..

فقط نظر فى عينيه مباشرة ..

وفى عناد ، شدّ الرجل قامته ، وتطلّع إليه ، فى تحدٍ سافر شديد ..

ولثوان ، طالت حتى بلغت الدقيقة الكاملة ، ظل كلاهما يتطلّع إلى عين الآخر ، فى صمت تام ..

ثم راح جسد الرجل يرتجف ..

كل ذرة من كيانه راحت ترتجف ، مع ذلك الثقل الرهيب ، الذى شعر به فى عقله ..

وجسده ..

وكيانه كله ..

كان يستخدم كل طاقته ، وقواه ، وقدراته العقلية ، التى وصفها الراهب بأنها قد بلغت حدًا مخيفًا .

إلا أنها لم تستطع حمايته ، من تلك الهيمنة الرهيبة ، التى يفرضها عقل ذلك الراهب الأصلع النحيل ، على وجوده بأكمله ..

وفى دهشة كاملة ، غمغم الرجل :

ـ مستحيل !

ثم قاوم ..

وقاوم ..

وقاوم ..

وفى النهاية ، وعلى الرغم من قدراته المدهشة ، انهارت مقاومته دفعة واحدة ..

وهوى ..

هوى على ركبتيه ، أمام الراهب الأصلع النحيل ..



إلا أنها لم تستطيع حمايته ، من تلك الهيمنة الرهيبة ، التى يفرضها عقل ذلك الراهب الأصلع النحيل

وسقط رأسه على صدره ..

وانهار كيانه كله ..

وبنفس الهدوء المثير ، قال الراهب :

ـ هل أدركت الآن ؟!

بذل الرجل جهدًا حقيقيًا ، للسيطرة على انهيار كيانه ، والتمتمة :

ـ نعم .. أدركت .

ولهث فترة ، شأن بذل من جهدًا خرافيًا ، قبل أن يضيف فى خفوت :

ـ أدركت أننى أحتاج إلى مزيد من التعلم .

سأله الراهب فى هدوء :

ـ ولماذا ؟!

لهث الرجل بضع لحظات أخرى ، وهو يستنفر طاقته ، للسيطرة على مشاعره وصوته ، وهو يقول :

ـ لتصفو روحى أكثر .

بدا الارتياح على الراهب ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

ـ نعم .. هذا ما ينبغى ..

وصمت طويلاً ، وهو يتطلّع إلى الرجل ، محاولاً استشفاف ما يدور فى أعماقه ..

لذا فقد قاوم الرجل باستماتة أكثر هذه المرة ..

وبأسلوب مختلف ..

مختلف تمامًا ..

لم يكن يقاوم للسيطرة على عقل خصمه ..

أو حتى لمنعه من السيطرة على عقله ..

فقط ليقيم أسوارًا حول مشاعره ..

ولمنع التسلّل إلى مخزن أهدافه الحقيقية ..

ومن الواضح أنه قد أفلح فى هذا ..

وانتصر فى معركته الأخيرة ..

فبنفس الهدوء ، قال الراهب الأصلع النحيل ، وهو ينهض من مكانه :

ـ ستتعلم أكثر ، كيف تسيطر على عقلك ، قبل أن يسيطر هو عليك .

وهنا ، هنا فقط ، أدرك أنه قد فاز بفرصة جديدة ..

فرصة ليصبح الأكثر قوة ..

وقدرة ..

وسيطرة ..

ولقد استعاد عقله تلك المواجهة القديمة ، وهو يجلس القرفصاء ، فى مكمنه السرى ، جامد الجسد والملامح ، كما لو أنه تمثال من الرخام البارد ، فى تلك السنوات بالغة التطور ، من القرن الحادى والعشرين ..

كان قد أطلق طاقته كلها ، مع بداية رحلة السيطرة ، التى ظل يحلم بها لفترة طويلة من الزمن ..

فترة أطول مما يكن أن يصبر أو يحتمل رجل عادى ..

ولكن إرادته كانت قوية بما ينبغى ..

والهدف أهم مما يمكن أن يحلم به بشرى ..

أى بشرى ..

لقد ضرب ضربته الأولى بقوة ..

وذكاء ..

وبراعة ..

وها هو ذا ينتظر رد الفعل البشرى التقليدى ..

رد الفعل الذى سيمنحه المزيد من القوة ..

ومن السيطرة ..

بلا حدود ..

* * *

اندفع الدكتور (جلال) ، فى انفعال واضح ، عبر ممرات مركز الأبحاث ، قبل أن يبلغ تلك ، التى يجرى

فيها فريق العلماء أبحاثه ، عن السفر عبر الزمن ، وما إن دلف إليها ، حتى هتف برئيس الفريق :

- أصحيح ما توصلتم إليه ؟!

استقبله رئيس فريق العلماء في هدوء ، محاولاً التخفيف من انفعاله ، وهو يقول :

- رويدك يا دكتور (جلال) .. إننا لم نتيقن بعد مما حدث ، ومازال فريق من العلماء يتابع الظاهرة ، ويحاول فهم ما تعنيه .

قال الدكتور (جلال) في حماسة :

- دعوني أتابع ماتوصلتم إليه حتى الآن على الأقل .

أشار إليه رئيس الفريق ، قائلاً :

- على الرحب والسعة يا سيدي .

وقاده نحو أحد أركان القاعة ، وهو يقول في رصانة :

- نظراً لصعوبة الأمر ، قمنا بتقسيم أنفسنا إلى عدة فرق بحثية منفصلة ، بحيث يقوم كل فريق منا

بدراسة جزء بعينه من الظاهرة ، ومن بين هذه الفرق ، كان هناك فريق مسئول عن دراسة الترددات الفائقة ، المتناهية الصغر ، والوصول بها إلى مستويات رقمية بالغة الدقة ، لم يتعامل العلم معها من قبل قط ، وبينما كان الفريق يواصل أبحاثه ، التقطت أجهزته الجديدة فجأة تلك الذبذبات .

قالها ، وهو يتوقف مع الدكتور (جلال) ، أمام شاشة كبيرة ، ارتسمت عليها موجات خاصة جداً ، تواصل حركتها طوال الوقت بلا توقف ، على نحو لا يشبه أية موجات عادية ، مما جعل رئيس مركز الأبحاث يهتف في انبهار :

- رباه ! إنه اتصال ما .

أجابه رئيس الفريق بنفس الرصانة :

- بالضبط .. هذه الأجهزة المتطورة جداً ، والمعدة لاستقبال ذبذبات لا مثيل لها ، ولا يمكن استخدامها من قبل أية جهة أخرى ، تستقبل اتصالاً ما ، من مكان ما .

حدّق الدكتور (جلال) فى الشاشة بضع لحظات أخرى ، قبل أن يتساءل فى قلق :

- أيمكن أن يعنى هذا أن أحدا غيرنـا ، قد توصّل إلى ما توصّلنا إليه ، قبل أن نفعل نحن ، وأنه يبث اتصالاً ما ، التقطته أجهزتنا الجديدة مصادفة ؟!

صمت رئيس الفريق بضع لحظـات ، وهو يدرس الاحتمال فى ذهنه ، ثم لم يلبث أن هـزّ رأسـه نفيًا ، وهو يقول :

- لا .. هذا غير محتمل ؛ فعلى الرغم من أننا لم نتبيّن طبيعة هذه الذبذبات الفائقة بعد ، إلا أنها لا تشبه تلك التى يمكن بثها ، من أية أجهزة رقمية .. إنها أشبه بـ .. بـ ...

صمت بضع لحظات أخرى ،وهو يبحث عن المصطلح المناسب ، قبل أن يرفع سبابته ، هاتفًا :

- بموجات المخ .

حدّق فيه الدكتور (جلال) فى دهشة بالغة ، وهـو يردد فى انبهار :

- موجات المخ ؟! المخ البشرى ؟!

مطّ الرجل شفتيه ، وهزّ كتفيه ، قائلاً :

- إنه مخ قادر على التفكير والتطوير ، على أية حال .

هتف به الدكتور (جلال) فى حدة :

- أى قول هذا ؟! أهى موجات مخ بشرى أم ماذا ؟!

أشار الرجل بسبابته مرة أخرى ، قائلاً فى حزم :

- هذا السؤال يمكن أن يلقيه أى رجل عادى ، وليس رئيس مركز الأبحاث العلمية .

تراجع الدكتور (جلال) فى دهشة ، مغمغمًا :

- ولِمَ لا ؟!

أجابه الرجل ، فى حزم أكثر :

- لأننا لو تحدثنا أمام أى شخص عادى ، عـن المخ العاقل ، لما خطر بباله سوى المخ البشرى ، أما لو نطقنا

المصطلح ، أمام عالم جليل مثلك ، فالمفترض أن يقفز ذهنه إلى ما يفوق هذا بكثير ، نظرًا لعلمه أن الكون لا يحوى البشر وأبناء آدم وحدهم ، من المخلوقات العاقلة المتطورة ، ولإدراكه أن الكون الشاسع المحيط بنا ، لم يخلق ليمتعنا برؤيته فحسب ، وإنما هو بحر من الحياة ، العاقلة وغير العاقلة ، وكلها تسبّح لله (سبحانه وتعالى) ، فى السموات والأرض .

قال الدكتور (جلال) فى حذر :

- أتعنى أن موجات المخ هذه ، تأتينا من كوكب آخر ؟!

أجابه الرجل فى سرعة :

- من كوكب آخر ، أو من عالم آخر .

واستدرك :

- ثم إننى لم أقل : إنها موجات مخ ، بل قلت : إنها تشبه موجات المخ .

هتف الدكتور (جلال) :

- وما الفارق ؟!

أجابه فى صرامة :

- فارق شاسع للغاية .

صمت الدكتور (جلال) لحظة ، ثم تمتم :

- أنت على حق .

ثم سأل فى اهتمام :

- ولكن ما خطتكم ، للتعامل مع تلك الموجات القلقة ؟!

أجابه رئيس الفريق :

- إننا نعمل على خفض طول الموجات والقدرة على استقبالها ، أكثر وأكثر ، بحيث يمكننا التعامل مع تلك الإشارات الواردة ، على نحو أدق ، قد يساعدنا على تفسيرها ، والتوصل إلى ما تعنيه ، و...

قاطعه فجأة أحد أفراد الفريق ، وهو يقول فى انفعال :

ـ سيدى .. لقد توصلنا إلى أمر مهم للغاية ، بشأن تلك الإشارات ، فائقة القصر .

هتف الدكتور (جلال) ورئيس الفريق ، فى آن واحد :

ـ حقًّا ؟!

أشار عالم آخر إلى الشاشة ، وهو يقول :

ـ مابدا لنا فى البداية ، وكأنه إشارات بالغة القصر والدقة ، إلى حد لم يتم استخدامه ، أو التعامل معه من قبل ، لم يكن فى الواقع كذلك ؟!

انعقد حاجبا رئيس الفريق فى شدة ، فى حين هتف الدكتور (جلال) مستنكرًا :

ـ لم يكن كذلك ؟! ماذا تعنى ؟!

أجابه الأول بنفس الانفعال :

ـ زميلى يقصد أنها ليست إشارة من مصدر واحد .

ثم ضغط أحد أزرار الجهاز الجديد ، مضيفًا :

ـ إنهما فى الواقع إشارتان مختلفتان ، من مصدر واحد .

مع ضغطة الزر ، انفصلت موجتان على الشاشة ، على نحو مدهش ، بحيث بدت كلتاهما مستقلة تمامًا ، فاندفع العالم الثانى يقول :

ـ كانا يبدوان كإشارة واحدة محيِّرة ، حتى نجحنا فى رفعنا قدرة جهازنا على الاستقبال الفائق أكثر ، وعندئذ ، انفصلت الإشارتان فى وضوح .

قال رئيس الفريق ، وهو يشير إلى إحدى الموجتين ، فى اهتمام بالغ :

ـ هذه إشارات مخ بشرى .

هتف الدكتور (جلال) :

ـ أأنت واثق هذه المرة ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ إنها واضحة للغاية ، بعد أن انفصلت عن الموجة الأخرى .

أسرع العالم الأول يقول :

ـ الكمبيوتر أيضًا أيّد الفكرة ، وأشار إلى تطابق تلك الإشارة الفائقة ، مع المنحنيات التى يصفها رسّام المخ الإليكترونى ، مع فارق جوهرى واحد .

سأله الدكتور (جلال) فى لهفة :

ـ وما هو ؟!

أجابه الآخر فى سرعة :

ـ طول الموجات نفسها .

أطلّ تساؤل ، من عينى الدكتور (جلال) فتابع الأول فى انفعال :

ـ موجات المخ الطبيعية يمكن التقاطها ، عبر رسّام المخ الإليكترونى ، وتسجيلها رقميًا أيضًا ، ولكنها لا تُبث فى الهواء ، بحيث يمكن استقبالها ، حتى ولو على هيئة موجات فائقة الصغر والدقة ، أما هذه ، فهى تبدو وكأنها تنطلق من عقل جبار .

هتف الدكتور (جلال) ، بكل دهشة الدنيا :

ـ عقل ماذا ؟!

أجابه الآخر ، والكلمات ترتجف على شفتيه :

ـ عقل جبار يا سيدى .. عقل يفوق بقوته ألف ألف عقل من عقولنا .. عقل مخيف .. للغاية .

وارتجفت كل ذرة فى كيان الدكتور (جلال) ..

ارتجفت كما لم ترتجف من قبل ..

قط ..

* * *

شملت الحماسة (مشيرة) ، على نحو لم يحدث من قبل ، عندما ضغط رفيقها زر البث العالمى الشامل ، ووجدت نفسها تهتف ، كمراهقة صغيرة ، حظيت بأول فوز فى حياتها :

ـ لقد فعلناها ..

وعلى شاشة (أنباء الفيديو) ، ظهرت صورتها ، مع ابتسامتها الكبيرة ، وحماستها المفرطة ، وهى تقول :

ـ سيداتى آنساتى سادتى ، فى سبق صحفى إعلامى ، هو الأول من نوعه ، سجلت عدسات أنباء الفيديو حادثة فريدة ، من المؤكد أنها ستثير خوفكم ودهشتكم معًا ، ودون أن أفسد المفاجأة ، يكفى أن أقول إن بطل فيلمنا الليلة هو رجل الأعمال الشهير الراحل (شريف صابر) ..

ثم تراجعت فى مقعدها ، وهى تشير بيدها ، مستطردة :

ـ ودون أن أضيع وقتكم .. شاهدوا معنا ما حدث ..

وعادت تميل إلى الأمام ، مكملة فى حزم :

ـ واندهشوا .

مع حركتها الأخيرة ، أشار مخرج البرنامج بيده ، هاتفًا ، من داخل حجرة المراقبة :

ـ اعرضوا الفيلم .. هيا .

سرت نشوة هائلة ، فى كيان (مشيرة) كله ، وهى تتراجع فى مقعدها ، وتتابع شاشة العرض أمامها ، فى انتظار بث فيلمها المدهش عالميًا ، و ...

ولكن شيئًا لم يحدث ..

أى شىء ..

الشاشة بقيت بيضاء ساكنة ، دون أن تعرض فيلمها ..

أو حتى أى فيلم آخر ..

وفى عصبية ، هتفت :

ـ ماذا يحدث هنا ؟! لماذا لم يتم عرض الفيلم ؟!

أجابها المخرج فى توتر ، من حجرة المراقبة :

ـ لست أدرى يا سيدة (مشيرة) .. لقد ضغطنا أزرار العرض بالفعل ، ولكن شيئًا لم يحدث .

هتف مسئول العرض بدوره :

ـ أجهزة العرض تجمدت تمامًا ، وكأنما تلفت برامجها الإليكترونية .

امتقع وجهها ، وهى تهب من مقعدها ، هاتفة :

ـ مستحيل ! لقد فصلت الأجهزة عن شبكة الاتصالات ، ومن المستحيل أن ...

قاطعها صوت (نور) الحازم ، وهو يقول :

ـ وماذا عن شبكة البث ؟!

استدار إليه الجميع فى آن واحد ، وهتفت (مشيرة) فى غضب :

ـ (نور) .. كيف دخلت إلى هنا ؟! المفترض ألا يسمح رجال الأمن بالدخول ، إلا لـ ...

قاطعها فى صرامة :

ـ أنا رجل مخابرات علمية يا (مشيرة) ، ولا أحد يمكنه منعى من دخول المكان .. رسميًا .

غمغم مدير ستوديوهات (أنباء الفيديو) ، فى مرارة متوترة :

ـ كنت أعلم أن هذا سيحدث .

احتقن وجه (مشيرة) فى غضب ، ولوحت بسبابتها فى وجه (نور) ، صائحة :

ـ اسمع يا (نور) .. لو أنك وراء فشل البث هـذا ، فسوف ..

قاطعها فى صرامة ، وهو يعقد ساعديه القويين أمام صدره :

ـ إنه أنا يا (مشيرة) .. أو على الأصح .. إنه فريقى .

وظهرت (نشوى) من خلفه ، وهى تحمل جهاز الكمبيوتر المحمول الصغير ، الخاص بها ، وهى تقول :

ـ معذرة يا (مشيرة) ، ولكن ضرورات الأمن أجبرتنا على إيقاف عمل جهاز البث مؤقتًا ؛ لمنع عرض هذا الفيلم ..

هزت (مشيرة) رأسها فى قوة ، صائحة :

ـ ولكن هذا مستحيل ! أجهزتنا لاتتصل بالشبكة الرئيسية ، ولايمكنكم التسلل إليها عبرها !

وافقتها (نشوى) بإيماءة من رأسها وهى تقول :

ـ هذا صحيح يا (مشيرة) ولقد كشفت مافعلت من المحاولة الأولى ، ولكن أجهزتكم لا يمكن عزلها تمامًا ..

سألتها (مشيرة) فى عصبية :

ـ وكيف هذا ؟!

أشارت (نشوى) بيدها ، مجيبة :

- فى كل الأحوال ، لابد لكم من توصيل أجهزتكم بشبكة البث ، وإلا لما استطعتم بث برامجكم عالميًا ، أو حتى محليًا ، لذا فقد اخترقت شبكة البث نفسها ، عبر القمر الصناعى الإعلامى الرئيسى ، و ...

لم يكن الأمر بحاجة إلى الكثير من الشرح والتفسير ، لذا فقد قاطعتها (مشيرة) ، هاتفة فى عصبية :

- ليس هذا من حقك .. ليس هذا من حقكم جميعًا .. الدستور والقانون يعتبران الصحافة سلطة مستقلة ، وحتى المخابرات العلمية ، بكل سلطاتها وهيلمانها ، لا تملك حق منعنا من عرض فيلم ، التقطناه فى وجود رجال القانون ، وعلى نحو علنى تمامًا .

أجابها (نور) فى صرامة :

- عرض هذا الفيلم يحقق أهداف المجرم يا (مشيرة) ، ولست أظن أن هذا ما يسعى إليه الإعلام ، فى أى زمان ومكان ..

صاحت (مشيرة) :

- أى مجرم يا (نور) ؟! (شريف صابر) انتحر ، أمام عيوننا جميعًا ، وأمام عدسات التصوير ، التى لا تخدع أو تجامل ..

أجابها فى صرامة حادة :

- العدسات لا تخدع ، ولكن المجرم يفعل .

لوحت بذراعها كله ، وهى تلقى نظرة على آلات التصوير الخفية ، فى أركان السقف ، لتتأكد من أنها تلتقط كل ما يدور فى المكان ، وصاحت :

- بل أنت من يحاول خداعى يا (نور) ، ومصادرة فيلمى ، و ...

قاطعها فجأة صوت المخرج ، وهو يهتف :

- رباه ! لقد بدأ البث .

استدار الكل فى آن واحد ، قبل حتى أن يكتمل هتافه ، وحدقوا فى الشاشة الكبيرة ، التى تنقل كل ما تبثه (أنباء الفيديو) ، وهتفت (نشوى) فى ارتياع :

- لا .. مستحيل !

كانت الشاشة تعرض ذلك الفيلم بالفعل ، على الرغم من الشلل الإليكترونى الرقمى ، الذى أصابت به (نشوى) أجهزة البث ..

وبكل توتر وصرامة الدنيا ، هتف (نور) :

ـ اقطعى شيئًا يا (نشوى) .. أوقفى هذا البث بأى ثمن ..

راحت (نشوى) تتعامل مع أزرار جهاز الكمبيوتر الصغير الخاص بها ، بأقصى سرعتها ومهارتها ، والأحداث تتوالى على الشاشة ، فى حين غمغم المخرج ، فى حيرة بالغة ، وهو يحدّق فيما يحدث :

ـ عجبًا ! كيف يتمّ هذا البث ؟! الأجهزة كلها متوقفة بالفعل !

استدارت إليه (مشيرة) فى حدة ، هاتفة :

ـ مستحيل ! لا يمكن أن يحدث هذا .

رفعت (نشوى) وجهها الشاحب ، عن جهاز الكمبيوتر الصغير ، وهى تقول ، فى اضطراب شديد :

ـ ولكنه حدث يا (مشيرة) ، وأنا أجهل كيف ؟!

استدار إليها (نور) ، هاتفًا فى توتر :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

أشارت فى يأس إلى المخرج ، وهى تجيب :

ـ يعنى أن ما سمعته من المخرج كان حقيقيًا يا أبى ، على الرغم من تعارضه ، مع أى منطق علمى وعملى فى الوجود .. البث يتم ، دون حتى أن تعمل الأجهزة ..

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يدير عينيه إلى الشاشة ، التى بدأت تنقل بالفعل مشهد (شريف صابر) وقد تجمدت عيناه ، وراح يردّد عبارته الجامدة المخيفة ، فى حين تابعت هى فى ذعر واضح :

ـ هناك شىء آخر يتحكّم فى عملية البث ، ويسيطر عليها تمامًا .. شىء يفوق إدراكنا .. ألف مرة .

وهنا تجلّت الحقيقة المخيفة ، أمام عقل (نور) ..

إنه يواجه مع فريقه قوة مخيفة ..

قوة بلا رحمة ..

وبلا حدود ..

على الإطلاق .

* * *



انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يدير عينيه إلى الشاشة ، التى بدأت تنقل بالفعل مشهد (شريف صابر) وقد تجمدت عيناه ..

٥ـ الجولة الثانية ..

« ما حدث هناك مذهل بحق يا سيِّدى .. » ..

نطق (نور) العبارة ، بصوت لم يفارقه التوتر بعد ، وهو يقف أمام القائد الأعلى للمخابرات العلمية الذى انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

ـ هل تعنى أن ذلك المجهول ، يمكنه التحكُّم فى الأجهزة الإليكترونية أيضًا يا (نور) ؟!

هزَّ (نور) رأسه ، قائلاً :

ـ بل الأمر يتجاوز هذه الحدود بكثير يا سيِّدى ، فالأجهزة لم تعمل قط ، وعلى الرغم من هذا ، تم بث الفيلم ، عبر شبكة الاتصالات الإعلامية الدولية ، على نحو لا يمكن إيجاد أى تفسير علمى له ، وفقًا للقوانين العلمية المعروفة ، فى زمننا هذا .

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى ، وهو يهز رأسه بدوره ، مغمغمًا :

ـ إنه أمر مذهل بالفعل .

ثم استطرد فى اهتمام :

ـ وماذا عن فريقك يا (نور) ؟! ما رأيهم كخبراء فيما حدث ؟!

أشار (نور) بيده ، مجيبًا :

ـ أنت تعلم أننى وفريقى لا نعرف المستحيل ياسيدى ، ولا نؤمن حتى بوجوده ، لذا فزوجتى (سلوى) وابنتى (نشوى) ، تعكفان الآن على إعادة فحص هاتف (شريف صابر) ، وأجهزة ستوديو (أنباء الفيديو) ، لعلهما تلتقطان طرف خيط ، يمكن أن يقودنا إلى أى شىء ، أما (رمزى) ، فيراجع السجلات النفسية والعقلية ، لكل الذين سجلوا قراءات غير طبيعية ، خلال السنوات الخمس الأخيرة ، فى حين يقوم (أكرم) حاليًا باستجواب كل العاملين فى الصحيفة المرئية ، وبخاصة مسئولى البث منهم .

هز الدكتور (جلال) رأسه نفيًا ، وهو يوليهما ظهره ، وقال فى عصبية واضحة :

ـ لن يفيد كل هذا .

التفت إليه الاثنان ، وقد انعقد حاجبا (نور) فى ضيق ، فى حين تساءل القائد الأعلى فى اهتمام قلق :

ـ ولماذا تتوقع هذا ؟!

استدار الدكتور (جلال) إليهما ، وهو يجيب فى توتر :

ـ لأن ما حدث .. لم يكن بحاجة إلى أية ماديات ، يمكن العثور عليها .

وأشار إلى رأسه ، مضيفًا فى حدة :

ـ لقد تم بالفعل .. بالعقل وحده .

ارتفع حاجبا القائد الأعلى فى دهشة ، فى حين قال (نور) ، فى شىء من الصرامة :

ـ الجزم بهذا أمر سابق لأوانه يا دكتور (جلال) .

قال الدكتور (جلال) فى عصبية :

ـ بل كل شىء يجزم بهذا منذ البداية يا (نور) ، ولكنك تكابر فحسب ؛ لأن الاستسلام للرأى الواضح الصريح ليس من شيمتك .. قل لى إذن : بم تفسّر المكالمات الهاتفية ، التى لم يسجلها أحدث هاتف محمول فى العالم ، وانتحار (شريف صابر) بهذا الأسلوب الذاهل المأخوذ ؟! بل بماذا تعلّل عملية بث الفيلم ، دون أن تعمل آلات وأجهزة البث الرقمية فعليًا ؟!

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وشدّ قامته فى اعتداد ، وهو يسأله :

ـ بم تفسّر أنت كل هذا يا سيّدى ؟!

لوّح الدكتور (جلال) بذراعه كلها فى الهواء ، صائحًا :

ـ السيطرة العقلية يا (نور) .. سيطرة العقل على المادة .. شىء أشبه بتحريك الأشياء عن بعد ، أو (السيكو كاينيزيس) ، كما يطلقون عليها علميًا .. إنها ظاهرة حقيقية ومسجّلة ، وتثبت أن العقل البشرى

يمكنه التحكّم فى المادة ، إذا ما بلغ شأنًا عظيمًا ، أو تدرّب لفترات طويلة ومكثّفة (*) .

قال (نور) فى حزم :

ـ إننا لا نتحدّث عن تحريك قلم حبر ، أو ثنى شوكة طعام يا دكتور (جلال) ، فالأمر يتجاوز هذه الحدود بكثير .. كثير جدًا .

عاد الرجل يلوّح بذراعه ، هاتفًا :

ـ وأنا أيضًا لا أتحدّث عن عقل عادى يا (نور) .. بل عن عقل جبار ، كما وصفه أحد علماء فريق البحث .. عقل يفوق بقوته مليون من عقولنا العادية .

قال (نور) فى صرامة :

ـ حتى هذا لم ينحسم بعد يا سيّدى .

قال الدكتور (جلال) فى حدة :

ـ بل انحسم تقريبًا يا (نور) .. لقد فصل علماؤنا الموجتين المتداخلتين ، على المستوى بالغ الصغر والدقة ،

(*) حقيقة .

باستخدام أجهزة بالغة التطور ، وأكد الكمبيوتر أن إحداهما تتطابق مع الموجات التى يتم تسجيلها ، بوساطة رسام المخ الإليكترونى ، ولكنها متناهية القوة ، كما لو أنها تنبعث من مخ بشرى ، بحجم مدينة كاملة ، و ...

قاطعه (نور) فى حزم :

- وماذا عن الموجة الثانية ؟!

بدا الاهتمام الشديد على وجه القائد الأعلى ، مع سؤال (نور) ، فى حين حدق فيه الدكتور (جلال) فى دهشة مستنكرة ، قبل أن يهتف بحدة :

- ماذا عنها ؟! وما شأنها بما نتحدث عنه ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

- ألم يخطر ببال أحد أفراد فريق العلماء ، أن تلك الموجة الثانية ، التى لم يتم تحديدها بعد ، ناشئة من الجهاز ، الذى يصنع الموجة المخية الأولى الـ ...

صمت لحظة ، قبل أن يضيف ، فى صرامة أكثر :

- الزائفة ؟!

تراجع الدكتور (جلال) كالمصعوق ، وهو يهتف فى استنكار :

- زائفة ؟!

أما القائد الأعلى ، فقد انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يدرس هذا الاحتمال فى ذهنه ، قبل أن يقول فجأة فى صرامة ، فى نفس اللحظة التى هم فيها الدكتور (جلال) ، بالرد على فرضية (نور) :

- جانبك الصواب هذه المرة يا (نور) .

استدار إليه (نور) فى احترام ، متسائلاً :

- ولماذا يا سيِّدى ؟!

صاح الدكتور (جلال) فى حدة :

- لقد جانبه الصواب بالفعل ، وأصبح يضع افتراضات سخيفة ..

أشار إليه القائد الأعلى بالصمت فى صرامة ، قبل أن يجيب (نور) ، قائلاً فى حزم واثق :

- لأنه من غير المنطقى أن يبذل شخص ما ، كل هذا الجهد ، وأن يمتلك كل هذه التكنولوجيا المتقدِّمة ، ليبث

موجات متناهية القصر ، ومتطابقة مع موجات المخ البشرى ، دون أن يكون لديه أدنى أمل ، فى أن يوجد جهاز صالح لالتقاطها .

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول بنفس الاحترام :

ـ معذرة أيها القائد الأعلى ، ولكن هذا غير دقيق .

هتف الدكتور (جلال) فى حدة :

ـ كيف تجرؤ أيها المغـ...

قاطعه القائد الأعلى مرة أخرى ، فى صرامة أكثر ، وهو يسأل (نور) فى اهتمام :

ـ لِمَ لا ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ لأن الفيلم الذى شاهدناه جميعًا ، لواقعة انتحار (شريف صابر) ، والذى اتفقنا على أنه تم بوساطة نوع من السيطرة العقلية الفائقة ، كان يحوى عبارة مهمة جدًا ، نطق بها (شريف) ، قبل أن يلقى نفسه عبر النافذة .

انتقل اهتمام القائد الأعلى إلى الدكتور (جلال) ، الذى سأل :

ـ أية عبارة تلك ؟!

أشار (نور) بسبابته ، مجيبًا :

ـ العبارة التى نطق بها (شريف) ، بذلك الصوت الآلى الجاف ، عندما قال : إنه يستخدم عيوننا وآذاننا وعقولنا .. لو اعتبرنا العبارة حقيقية ، فهذا يعنى أن خصمنا يمتلك قدرة فريدة ، على تجنيد أجسادنا وحواسنا لحسابه ، من خلال سيطرته على المراكز الحيوية فى عقولنا ، وفى حالة كهذه لن يكون من الصعب عليه أن يقرأ عقولنا ، ويعرف أفكارنا ومعادلاتنا ، ويصنع نفس الأجهزة التى نصنعها .

هتف الدكتور (جلال) :

ـ خطأ .. معرفته لأفكارنا ومعادلاتنا وحدها لا تكفى لصنع جهاز متطور للغاية ، يمكنه بث موجة زائفة ، بهذه الدقة المدهشة .. هذا يحتاج إلى تكنولوجيا متطورة أيضًا ، لا يمكن أن تتوافر لشخص عادى .

قال (نور) فى سرعة وحزم :

ـ ومن قال إن خصمنا مجرّد شخص عادى .

ثم عاد يشير بسبّابته ، وهو يستدرك :

ـ أو حتى مجرّد رجل واحد ..

سأله القائد الأعلى فى قلق :

ـ ماذا تعنى يا (نور) ؟!

أجابه فى حسم :

ـ أعنى أنـه من المحتمل أن تكون أمام محاولة اختراق كاملة ، من قبل جهاز مخابرات معاد ، عثر بالمصادفة على شخص موهوب ، يمتلك قدرات عقلية فريدة ..

بدا الاحتمال مفزعًا ، إلى حد جعل الدكتور (جلال) يردّد :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

أما القائد الأعلى ، فقال فى توتر :

ـ احتمال بالغ الخطورة يا (نور) .. إنك تفزعنى بحق .

تنهّد (نور) ، قائلاً :

ـ لم أقصد هذا فى الواقع يا سيّدى ، ولكن كل الاحتمالات واردة ، فى موقفنا هذا ، ولابد من دراستها جميعها ، حتى لا يباغتنا شىء لم نتوقّعه ، أو نتحسّب لحدوثه ..

قلب الدكتور (جلال) كفيه ، وهو يقول فى توتر :

ـ وما الذى يمكننا أن نفعله ، فى ظروف كهذه ، لو أن احتمالك صحيح ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ أن نحدّد طبيعة خصمنا ، وقدراته الحقيقية ، وليست تلك التى يحاول إيهامنا بها .

قال القائد الأعلى فى صرامة :

ـ ينبغى أن نعثر على طرف الخيط أوّلاً يا (نـور) ، فحتى هذه اللحظة ، لا نعرف حتى كيف يبدو خصمنا .. إننا نواجه مجرّد عقل .. عقل بلا جسد محدود المعالم .

هتف الدكتور (جلال) فى توتر شديد :

ـ آه لو أمكننا أن نعرف أين سيضرب ضربته القادمة ..

عاد حاجبا (نور) يلتقيان ، فى تفكير عميق ، إثر عبارة الدكتور (جلال) ، فى حين تابع هذا الأخير فى عصبية :

ـ لو علمنا من ضحيته التالية ، فربما ...

قاطعه (نور) ، وهو يقول فجأة :

ـ ربما ليس هذا بالأمر المستحيل .

نطقها ، وعيناه تتألقان ببريق عجيب ..

بريق يشى أن لديه خطة ما ..

خطة جديدة ..

وجريئة ..

للغاية ..

* * *

تراجع (أكرم) فى مقعده ببطء ، وهو يتطلع إلى رئيس طاقم أمن ستوديوهات (أنباء الفيديو) ، محاولاً أن يستشف مايدور فى ذهنه ، قبل أن يسأله فى صرامة :

ـ هل يمكنك أن تجزم ، أن نظام الأمن هنا محكم تماماً ، بحيث يستحيل تسلُّل أى مخلوق من الخارج ؟!

شدّ الرجل قامته ، مجيباً بلهجة عسكرية حازمة :

ـ نعم .. يمكننى الجزم بهذا يا سيدى .. إننى رجل أمن محترف ، عملت لبعض الوقت ضمن الحرس الخاص لرئيس الوزراء ، وحصلت على نوط الشجاعة ، بعد نجاحى فى منع محاولة غادرة لاغتياله ، وسجلى مشرف إلى أقصى حد ، بحيث يستحيل أن يتطرّق إليه الشك .

قال (أكرم) فى صرامة :

ـ الشك يمكن أن يتطرّق إلى أى مخلوق هنا .

كظم الرجل غيظه ، وهو يتظاهر بأنه لم يسمع عبارة (أكرم) ، مواصلاً :

ـ وأمس بالتحديد ، كانت السيدة (مشيرة) تتوقع محاولة ما ، لمنع بث وعرض ذلك الفيلم النادر ، الذى التقطته عدساتنا ، لذا فقد أمرت بتشديد نظم الأمن والحراسة ، إلى أقصى حد ممكن ، ولولا أننا نعرف سيادة المقدّم (نور) شخصيًا ، ونعلم أنه ، بحكم موقعه ومنصبه ، يستطيع دخول أى مكان ، وقتما يشاء ، فقد سمحنا له بالدخول ، مع السيدة (نشوى) .

مال (أكرم) إلى الأمام ، وهو يسأله :

ـ وماذا عن العاملين بالداخل ؟!

سأله الرجل ، فى شىء من الصرامة :

ـ ماذا عنهم ؟!

قال (أكرم) فى صرامة قاسية :

ـ هل راجعت ملفاتهم بنفسك ؟! هل يمكنك أن تتحمّل المسئولية ، إذا ما ثبت أن ...

« كفى ! » ..

انطلق هتاف (مشيرة) صارمًا غاضبًا ، مع اندفاعها داخل حجرة الأمن ، التى اتخذها (أكرم) مكتبًا مؤقتًا للتحقيقات ، فالتفت إليها هذا الأخير فى عصبية ، وهى تتابع فى حدة :

ـ أى صلف وسخافة هذه ، التى تتعامل بها مع موظفى الجريدة ، ومع طاقم أمنها ؟! وجّه أسئلتك لى لو أردت ، أما هؤلاء ، فأنا أقرّ بأنهم جميعًا فوق مستوى الشبهات ، على مسئوليتى الخاصة .

نهض (أكرم) يواجهها ، قائلاً فى صرامة عصبية :

ـ (مشيرة) .. إننى أحرص دومًا على عدم التدخّل فى شئونك ، فلا تتدخلى فى عملى .

صاحت فى سخط :

ـ عملك يسىء إلى عملى هذه المرة ، يا زوجى العزيز ، ثم إننى أتعامل معك من منطق مسئوليتى عن المكان والعاملين به ، وليس باعتبارى زوجتك .

صاح بها بدوره :

ـ إننا أمام جريمة غامضة ، ولابد لنا من استجواب الجميع بمنتهى الدقة .

بدت ثائرة للغاية ، وهى تهتف :

ـ الدقة شىء ، والعجرفة شىء آخر يا سيد (أكرم) .. العقل والمنطق والقانون يقولون : إن المتهم برىء ، حتى تثبت إدانته ، ولكنك تتعامل مع الكل باعتبارهم متهمين ، حتى تثبت براءتهم ، وهذا ليس من حقك .

صاح بها :

ـ ربما لا يروق لك أسلوبى ، يا أميرة الرقة والدلال ، ولكنه الوسيلة التى أجيد بها عملى .

صرخت فيه :

ـ ليس هذا من حقك .

ثم تراجعت بحركة حادة ، وعقدت ساعديها أمام صدرها فى تحدٍ ، مضيفة :

ـ ثم إننى ، وكل العاملين هنا ، لن نجيب سؤالاً واحدًا ، قبل حضور طاقم الشئون القانونية بأكمله .

احتقن وجه (أكرم) بشدة ، وهو يلوّح بسبابته فى وجهها ، قائلاً :

ـ (مشيرة) .. تعقيد الأمور على هذا النحو ، لن يفيد سوى خصمنا فحسب ، وكل دقيقة نربحها قد تعنى حياة شخص ما .

قالت فى إصرار وعناد :

ـ اتبع الأسلوب الصحيح إذن ، وسيسير كل شىء على ما يرام .

قال فى حدة :

ـ وهل تعدين بالتعاون ، لو فعلت هذا ؟!

أجابته بنفس الحدة :

ـ بكل تأكيد .

« لن يفيد هذا .. » ..

انبعث الصوت بغتة ، بتلك النبرة الآلية الجافة ، داخل حجرة التحقيقات ، فانتفض جسد (مشيرة) فى عنف ،

واستدارت مع (أكرم) إلى مصدره ، ليرتطم بصراهما بابتسامة كبيرة ..

ابتسامة واسعة مخيفة ، ارتسمت على شفتى رئيس طاقم الأمن ، الذى نقل عينيه الزائغتين بينهما ، وهو يواصل ، بنفس الصوت الآلى الجاف ، الذى لم يبد متناسبًا أبدًا مع هيئته أو ملامحه :

- كل السخف الذى تفعلونه ، لن يوصلكم إلى شىء ؛ لأنكم ، وبكل بساطة ، تسيرون فى اتجاه خاطئ .

ارتجفت كل خلية فى جسد (مشيرة) ، وهى تتعلق بذراع زوجها ، قائلة فى رعب هائل :

- رباه ! (أكرم) لقد سيطر على عقل الرجل .

ردد (أكرم) فى آلية ، ويده تتجه فى حذر نحو مسدسه المعلق فى حزامه :

- مستحيل !

لم يكد ينطقها ، حتى أطلق الرجل ضحكة عالية مجلجلة ، لها ذلك الرنين الآلى المخيف ، ثم عاد يتطلع إليهما بنظرة قاسية ، قائلاً :

- لا يوجد مستحيل ! قدرات العقل البشرى تتجاوز كل ما تصوره العلم من حدود .

وأشار إلى يد (أكرم) ، مستطردًا :

- وبالمناسبة ! أبعد يدك عن مسدسك العتيق هذا ، فلو لمسته أصابعك ، ستدفع ثمنًا غاليًا ، لن يمكنك قط أن تتصوره .. أو حتى تحتمله .

هتفت (مشيرة) فى رعب :

- إنه يرانا يا (أكرم) .

ثم تلفتت حولها ، مضيفة فى ارتياع :

- لقد زرع أجهزة تنصت ومراقبة هنا حتمًا .

أطلق الرجل ، الذى بدا مأخوذًا مسلوب الإرادة ، ضحكة أخرى مخيفة ، قبل أن يقول فى سخرية ، حملها ذلك الصوت الآلى الجاف الرهيب :

- أجهزة مراقبة وتنصت ؟! ومن يحتاج إلى هذا السخف ..

وتألقت العينان الشاردتان ، وهو يتابع :

ـ من الواضح أنكم لم تستوعبوا الأمر بعد .

ومال برأسه نحوهما ، مضيفا بلهجة مخيفة للغاية :

ـ إننى لا أحتاج إلى أية أجهزة ، أو حتى أسلحة .. أنتم أجهزتى وأسلحتى .. عيونكم هى آلات مراقبتى .. آذانكم أجهزة تنصتى .. عقولكم هى محركاتى .. أجسادكم أسلحتى .. إنكم مجرد قطع فى لوحة الشطرنج ، التى أديرها أنا بإرادتى الخاصة .

صاح (أكرم) فى صرامة ، عندما التصقت به (مشيرة) فى رعب :

ـ هراء .

ثم سحب مسدسه بحركة سريعة ، وصوبه إلى رأس الرجل ، مستطردا فى صرامة محتدة :

ـ كل أسلحتك هذه يمكن أن تنتهى ، برصاصة واحدة فى الرأس .

هتفت (مشيرة) مذعورة :

ـ رويدك يا (أكرم) .. إنك تصوب مسدسك إلى رأس رجل ، يتحكم عقل آخر فى تصرفاته .

أطلق الرجل ضحكة ثالثة عالية ، بنفس الصوت الآلى الجاف ، قبل أن يقول فى سخرية مستفزة :

ـ لا تستخدمى لغة العقل ، مع شخص همجى مثله يا سيدتى .. إنه بطبيعته ، لا يؤمن إلا بمنطق القوة .

سحب (أكرم) إبرة مسدسه ، وهو يقول فى غضب :

ـ ما رأيك لو اختبرنا منطق القوة الآن ؟!

أجابه الرجل ، فى سخرية وحشية رهيبة :

ـ وما رأيك لو اختبرنا قدرات العقل ؟!

لم يكد ينطقها ، حتى تجمدت عينا (مشيرة) ، وامتدت يدها تقبض على معصم (أكرم) ، وهى تقول ، بنفس الصوت الآلى الجاف :

ـ اترك هذا المسدس .

استدار إليها (أكرم) بحركة حادة ، وحدّق فى وجهها بذهول مرتاع ، وهو يردد ، بصوت اختنق فى حلقه الجاف :

ـ مستحيل !!

شعر بأصابعها تنغرس فى معصمه ، كقطع من الفولاذ ، وهى تقول مأخوذة :

ـ والآن ماذا ؟! هل ستقتلنى أنا أيضًا ؟!

كان هذا يفوق قدرة (أكرم) بكثير ، لذا فقد استغرق بضع ثوان ، محدقًا فى وجه زوجته ، التى انقلبت سحنتها على نحو مخيف ، وزاغت عيناها بشكل مفزع ..

ولكنها كانت ثوان خطيرة ..

جدًا ..

فجأة ، انقضّ عليه رئيس طاقم الأمن ، هاتفًا بذلك الصوت المخيف :

ـ والآن من يربح ؟!

شعر بأصابعها تنغرس فى معصمه ، كقطع من الفولاذ ، وهى تقول مأخوذة : ـ والآن ماذا ؟! هل ستقتلنى أنا أيضًا ؟!

ثم هوى على فكه بلكمة كالقنبلة ، وهو ينتزع المسدس من يده ، مضيفًا :

ـ العقل أم القوة ؟!

ولو أن اللكمة كانت قوية فحسب ، لما تزحزحت قدما (أكرم) من مكانهما ، ولردّ الصاع صاعين ، بكل قوته وسرعته ..

ولكنها كانت لكمة هائلة بحق ..

لكمة انتزعته من مكانه ، ودفعته ثلاثة أمتار كاملة إلى الخلف ، ليسقط على ظهره فى عنف ..

لكمة لا يمكن أن يلكمها رجل عادى ..

أو حتى رجل قوى ..

ولثوان ، ظلّ (أكرم) راقدًا على ظهره أرضًا ، والدنيا كلها تدور من حوله ، وعنقه وفكه يعانيان آلامًا رهيبة ، تفوق حتى قدرته على الاحتمال ، وهو الذى ظلّ يتباهى طيلة عمره ، بأنه قد نشأ فى بيئة عنيفة ، واكتسب منها قدرة مدهشة على المقاومة والاحتمال ، و ...

وقبل حتى أن يسترد شعوره بما حوله ، شعر بقبضتى الرجل تنتزعانه من مكانه ، وتجبرانه على الوقوف على قدميه ، بنفس القوة الهائلة ، ثم فوجئ بعينيه تتطلعان إليه مباشرة ، وبصوته الآلى الجاف ، على بعد سنتيمترات قليلة منه ، وهو يقول ساخرًا :

ـ أراهن على أنك تتساءل الآن : من أين جاءت هذه القوة الرهيبة ؟!

نطقها الرجل بصوته المخيف ، ثم حمله بقوة مدهشة ، وضرب به الجدار فى عنف شديد ، حتى لقد شعر وكأن ظهره قد تحطم ، وذلك الصوت الآلى يتابع :

ـ من الواضح أنكم تجهلون الكثير ، عن قدرات العقل البشرى ..

وتجهلون أكثر ، قدرات الجسد البشرى ..

عاد يرفعه عاليًا ، مع نهاية كلماته ، ثم ألقاه عبر الحجرة ، كما لو أنه مجرد دمية صغيرة ، ليرتطم بالجدار المقابل بمنتهى العنف ، ثم يسقط على وجهه أرضًا ..

ودارت الدنيا فى رأس (أكرم) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وصرخت كل ذرة فى كيانه ألمًا وعذابًا ..

أما الرجل ، فقد اتجه نحوه فى هدوء عجيب ، مواصلاً :

ـ عندما أسيطر على عقل شخص ما ، أهيمن على كل خلية منه .. حتى تلك الأجزاء ، التى يصفونها بأنها صامتة ، أو لا إرادية .. وعندئذ ، أطلق كل الطاقة الكامنة فيه .. فى العقل .. وفى الجسد أيضًا ..

حمله مرة أخرى ، فى خفة مدهشة ، ثم ضرب به الجدار مرة ثانية ، بكل عنف وقوة الدنيا ، متابعًا :

ـ ولو علمت أن الجسد البشرى ، مهما تباهى بقوته ، لايستخدم أكثر من عشرة فى المائة ، من طاقاته وقدراته الحقيقية ، لأدركت مدى ما يمكن أن يبلغه ، إذا انطلقت كل طاقته الكامنة .

لم يشعر (أكرم) ، فى حياته كلها ، بالألم والعذاب والهوان ، مثلما شعر بها فى هذه اللحظة ..

كان يشعر وكأنه لايواجه رجلاً ، وإنما آلة معدنية رهيبة ..

آلة للقتل ..

والقتل وحده ..

وعلى الرغم من كل الألم ، الذى يشعر به ، فى كيانه كله ، إلا أن أكثر ما يعذّبه كان موقف زوجته (مشيرة) ..

لقد وقفت جامدة صامتة ، تراقب ما يحدث فى سكون ، وكأنه لا يعنيها ..

تراقب آلة القتل المخيفة ، التى يسيطر عليها عقل شرير جبار ، وهى تقتل زوجها بمنتهى القسوة ..

ومنتهى البرود ..

ومن يدرى ؟! ربما كان مقتله هو البداية فحسب ..

وبعدها يأتى دورها هى ..

دور زوجته ..

(مشيرة) ..

ولم تكد الفكرة تثب إلى ذهنه ، حتى انتفضت كل ذرة فى كيانه ..

وحدث تمامًا ما أشار إليه ذلك المسيطر ..

تفجّرت طاقات هائلة فى جسده ، لتبعث فيه قوة مفاجئة ، جعلته يثب واقفًا على قدميه ، وهو يهتف فى صرامة :

ـ الأمور ليست بالسهولة التى تتصورها أيها الوغد .

ثم انقضّ على رئيس طاقم الأمن ، صارخًا :

ـ لو أردت حياتى ، فعليك أن تدفع ثمنًا غاليًا .

ارتطم جسده بالرجل ، وسقط كلاهما أرضًا ، وكال له (أكرم) لكمة أودعها كل قوته ، هاتفًا :

ـ غاليًا جدًا .

كان كل غضبه وقوته قد تجمّعا فى قبضته ، وهو يهوى بها على فك الرجل ..

ولقد سمع صوت فرقعة عجيبة ، مع ارتطامها بفكه ..

ولكن ملامح الرجل لم يبد عليها أدنى تأثُّر ..

لقد استقبل اللكمة ، دون أى شعور أو انفعال ، ثم أمسك قبضة (أكرم) فى قوة ، وهو يقول بلهجة عجيبة :

ـ قبضتك قوية بالفعل .

ثم نهض بحركة حادة ، على نحو أفقد (أكرم) توازنه ، وهو يتابع :

ـ ولكنها لن تهزمنى .

لحظتها .. ولحظتها فقط ، أدرك (أكرم) ، لماذا تبدو لهجة الرجل عجيبة ..

لقد حطّمت قبضته فك الرجل ، فتدلّى نصفه السفلى على نحو عجيب ، دون أن يبدو عليه أنه قد شعر حتى بهذا ..

وعلى الرغم من دهشته البالغة ، وتوتره الذى بلغ أقصاه ، والآلام التى تعربد فى كل ذرة من جسده ، اتخذ (أكرم) وقفة قتالية متحفزة ، فى انتظار جولته الثانية مع خصمه ..

ولكن الرجل تجاهله تماما ..

واتجه نحو المسدس الملقى أرضًا ..

وفى استماتة ، انقضّ (أكرم) عليه ، محاولاً منعه من التقاط المسدس ، إلا أن الرجل لطمه لطمة قوية ، أعادته إلى الوراء فى عنف ، ليصطدم مجددًا بالجدار ..

وفى هدوء عجيب ، انحنى الرجل يلتقط المسدس ، وهو يقول ، بذلك الصوت الآلى المخيف :

ـ قلت لك : إنك ستدفع ثمن التحدى غاليًا .

استنفر (أكرم) ما تبقى من قواه ، وهو ينهض ، قائلاً فى حدة :

ـ لو أنك تتصور أننى سأنهار ، خوفًا على حياتى ، فأنت مخطئ .

أجابه الرجل باستخفاف :

ـ ومن تحدّث عن حياتك ؟!

ثم أدار فوهة المسدس نحو رأس (مشيرة) ، التى ظلت ساكنة جامدة ، وكأنما الأمر لا يعنيها ، فصرخ (أكرم) ، وهو يحاول الاندفاع إلى الأمام :

ـ لا .. ليس (مشيرة) .

ودوت الرصاصة .

بعنف .

* * *



٦ ـ القوة ..

مطّ رئيس فريق العلماء ، فى مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية شفتيه ، فى اعتراض واضح ، وهو يقول لـ (نور) فى ضيق :

ـ لست أدرى ما الحكمة فى أن يتولى فريقك أمر الأجهزة الجديدة القادرة على التقاط الموجات متناهية الصغر ، أيها المقدّم (نور) .. إننا فريق من أفضل علماء (مصر) ، فى هذا المضمار ، ولن أبالغ قط ، إذا قلت : إنه من بيننا من يعتبرون الأفضل ، على مستوى العالم كله .

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ إننى أعرف هذا بالتأكيد يا سيّدى ، وأقدّره حق قدره ، وأخشى أنك لم تستوعب مطلبى جيّدًا ، فلم أطالب أبدًا أن يتم استبدال فريقى بفريق علمائكم ، وإنما طلبت منح فريقى فرصة الانضمام إليكم ، وقيادة الموقف لبعض الوقت فحسب .

هتف الرجل فى حدة :

ـ وما الحكمة فى هذا ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ ما يحدث فى الواقع هو أننا لسنا أمام تحد علمى فحسب يا سيّدى ، ولكننا أمام عملية إجرامية ، ترتبط بالنتائج العلمية ، التى توصّل إليها فريقك ، وفى هذا المجال ، يتفوق فريقى على نحو ما ، إذ إنهم مدرّبون على التعامل مع الجرائم العلمية ، والسعى خلف مرتكبيها وهذا يمنحهم نقطة تفوّق ، فى هذه اللحظات الحرجة ، التى نحتاج إلى كل ثانية منها ، قبل سقوط المزيد من الضحايا .

التقى حاجبا الرجل ، وهو يقول فى توتر وانزعاج :

ـ جريمة ، وضحايا ؟! هل تعتقد أن أجهزتنا قد تورّطت فى جريمة ما ، دون أن ندرى ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- بل أجهزتكم كشفت ، وربما بالمصادفة البحتة ، الموجات العقلية الفائقة ، التى يستخدمها مجرم فوق العادة ، للسيطرة على عقول الآخرين ، وتجنيدها بالكامل لحسابه ، وحساب أغراضه السلطوية الشريرة .

اتسعت عينا الرجل ، وهو يغمغم مبهوراً :

- حقًا ؟!

ثم هزّ رأسه ، لينفض عنها دهشته وانبهاره ، وهو يقول فى حزم :

- ولكن ما الذى يمكن أن يفعله فريقك ، مما نعجز نحن عن فعله ؟!

ابتسم (نور) فى هدوء ، وهو يستدير إلى زوجته وابنته ، اللتين وقفتا صامتتين منذ البداية ، قائلاً :

- دعنى أقدمهما لك أولاً .. هذه زوجتى (سلوى) .. خبيرة فى الاتصالات والتتبّع ولديها بعض الابتكارات المدهشة ، فى هذا المجال .

غمغم الرجل ، وهو يصافح (سلوى) فى شىء من التوتر :

- اتصالات وتتبّع ؟! وما صلة هذا بالموجات المخية الفائقة ، التى التقطناها ؟!

أجابته (سلوى) فى هدوء رصين :

- كل موجات فى الوجود يمكن تتبُّعها ، إذا ما كانت لدينا الأدوات المناسبة ، والخبرة الكافية .

غمغم الرجل ، وكأنما لم يرق له جوابها :

- بالتأكيد .. بالتأكيد .

انعقد حاجباها فى ضيق واضح ، ولكن (نور) أشار إليها بتجاوز الأمر ، وهو يقدّم ابنته ، قائلاً :

- أما ابنتى (نشوى) ، فهى خبيرة الكمبيوتر الأولى فى الإدارة ، و ...

لم يكن قد أتم عبارته بعد ، عندما انتفض جسد الرجل ، وهتف فى انبهار :

ـ خبيرة الكمبيوتر الأولى ؟! أنت السيّدة (نشوى نور الدين) شخصيًا ؟!

تضرّج وجه (نشوى) بحمرة الخجل ، وهى تغمغم :

ـ هذا صحيح !

تهللت أسارير الرجل ، وهو يصافحها بحرارة زائدة ، هاتفًا :

ـ يا إلهى ! إنه لشرف لى أن أقابلك شخصيًا يا سيّدة (نشوى) .. إنك لا تتصورين كم نحمل لك من احترام وتقدير هنا ؛ فعبقريتك المدهشة كان لها فضل كبير بعد الله (سبحانه وتعالى) ، فى تطوير وتحديث نظم الكمبيوتر العلمية ، التى نستخدمها فى كل أبحاثنا .. أفراد فريقى لن يصدقوا أنك هنا .

تطلّعت إليه (سلوى) فى دهشة ، لم تلبث أن تحولت إلى ابتسامة كبيرة ، وهى تتطلع إلى ابنتها فى فخر ، فى حين بدت (نشوى) شديدة الحياء ، وهى تقول فى ارتباك :

ـ إنما أؤدّى واجبى فحسب .

هتف الرجل فى حماسة عجيبة :

ـ هذا شأننا جميعًا يا سيّدتى .

ثم استدار إلى فريق العلماء ، مستطردًا فى سعادة :

ـ هل تعرفون من هنا يا رفاق ؟!

ابتسم (نور) فى مزيج من السعادة والفخر ، عندما تزاحم العلماء ، لمصافحة ابنته فى احترام وتقدير ، وسالت الدموع من عينى (سلوى) ، وهى تقول فى فرح :

ـ يا إلهى ! لم أتصوّر أبدًا أن ابنتنا تحظى بكل هذا الاحترام والتقدير يا (نور) .. إننى أشعر بسعادة جمة .. لقد كانوا صادقين ، عندما قالوا : إن الشخص الوحيد فى الحياة ، الذى تسعد بتفوقه عليك ، هو ابنك .

غمغم (نور) :

ـ هذا صحيح .

اتجه رئيس فريق العلماء نحوهما ، وهو يقول فى حماسة :

ـ أجهزتنا كلها رهن إشارتكم أيها المقدّم ، والجميع هنا مستعدون للتعاون ، على أى نحو ترونه مناسبًا .

ابتسمت (سلوى) متمتمة :

ـ يا له من تحوّل مدهش !

ربّت (نور) على كتفها ، وهو يقول فى حزم :

ـ فلنحاول استغلاله ، والاستفادة منه ، إلى أقصى حد .. أريد أن تستخدمى كل خبراتك ، فى التوصّل إلى المصدر ، الذى تنبعث منه تلك الموجات شبه المخيفة المقلقة .. أريد تحديد موقعها بدقة ، وإيجاد صيغة لتتبعها طوال الوقت .

سألته فى اهتمام :

ـ أما زلت تشك فى أنها مجرّد خدعة ؟!

أجابها بنفس الحزم :

ـ لا ينبغى إهمال أية تفاصيل .

مع آخر حروف كلماته ، انطلق أزيز جهاز الاتصال الخاص به ، فالتقطه بحركة سريعة ، ورفعه إلى أذنه ، قائلاً :

ـ المقدّم (نور الدين) .

ولم يكد يسمع ما نطق به محدّثه ، حتى انعقد حاجباه فى شدة ، وانقلبت سحنته ، على نحو يوحى بخطورة الأمر ، حتى إن (سلوى) هتفت به :

ـ ماذا هناك يا (نور) ؟! ماذا حدث ؟!

ولكن (نور) لم يجب ..

بل وربما حتى لم يسمعها ..

فقد استغرق كيانه كله فيما يسمعه ، عبر جهاز الاتصال الرقمى الدقيق ..

والواقع أن الأمر كان خطيرًا ..

خطيرًا ومخيفًا ..

بحق ..

* * *

لم يشعر (أكرم) فى حياته كلها بـالقهر والعجز ، مثلما شعر بهما فى تلك اللحظة القاسية الرهيبة ..

كان جسده قد انهار تمامًا ..

وطاقته كلها استنفدت ..

ورئيس طاقم الأمن ، المغيَّب العقل ، والواقع تحت السيطرة التامة لخصم مجهول ، يصوِّب مسدسه إلى رأس زوجته ..

وبكل كيانه ، حاول أن يدفع جسده إلى الأمام ..

أن يقاوم ..

ويقاتل ..

ويذود عن زوجته ، التى وقفت صامتة جامدة ، وكأنما انفصلت تمامًا عن عالمنا ، وغابت فى عالم آخر ، مجهول الهوية والمعالم ..

ولكن جسده أبى أن يطيعه ..

على الرغم من كل إرادته وإصراره ، فشل فى أن ينقضَّ على خصمه ..

وفى سخرية شامتة ، تطلَّع إليه الرجل ، وهو يقول بذلك الصوت الآلى الجاف المخيف :

- ليس بوسعك أن تنقذها .. أليس كذلك ؟!

هتف (أكرم) فى مرارة :

- أيها الوغد الحقير .

أطلق الرجل ضحكة ساخرة عالية ، لها ذلك الرنين المرعب ، قبل أن تتألق عيناه على نحو رهيب ، ويقول :

- الآن وعيت الدرس .

ثم أدار فوهة المسدس إلى رأسه هو ، مضيفًا :

- فما زلت بحاجة إلى الإعلام ، فى هذه المرحلة .

وضغط زناد المسدس ..

ودوت الرصاصة ..

بمنتهى العنف ..

دوت ، وهى تنطلق من فوهة المسدس ، لتخترق رأس رئيس طاقم الأمن ، وتنسفه فى عنف ، فى مشهد لم ير (أكرم) أسوأ منه ، فى حياته كلها ..

وتفجرت الدماء من الرأس المحطم ..

وتناثرت في قوة ..

وارتطمت بعض قطرات الدم بوجه (أكرم) ، فأداره في حدة ، وهو يطلق صرخة قوية ، أفرغ فيها انفعاله الجارف ..

وهوى رئيس طاقم الأمن جثة هامدة ، محطمة الرأس ، والدماء تنزف منها في عنف ، لتغرق كل ما حولها ..

وبقيت (مشيرة) جامدة ..

بقيت ساكنة ، ثابتة كالتمثال ، على الرغم من دوى الرصاصة ، وتناثر الدماء ..

وحتى عندما اقتحم باقي أفراد طاقم الأمن المكان ، وهم يصوبون أسلحتهم إلى (أكرم) ، الذي هتف في عصبية :

ـ قائدكم قتل نفسه .

أطلّ مزيج من الهلع والارتياع والشك ، من عيون الرجال ، وهم ينقلون أبصارهم ، بين (أكرم) ـ والدماء تتناثر على وجهه ـ وجثة رئيسهم ، المحطمة الرأس ، والملقاة على مسافة أمتار منه ، ومديرتهم التي تقف جامدة ذاهلة شاردة ، لا تشعر بما يدور من حولها ، فنهض (أكرم) في بطء ، قائلاً في صرامة ، لم تخل من التوتر :

ـ أنا رجل أمن .. تذكروا هذا جيدًا .

انعقد حاجبا أكبر الرجال رتبة ، وهو يلقى نظرة على مسدس (أكرم) ، في قبضة رئيسه ، هاتفًا :

ـ ولكن لماذا ؟! لماذا يقتل نفسه ؟!

أجابه (أكرم) في عصبية :

ـ إنه لم يفعلها بإرادته .

غمغم أحد أفراد الطاقم ، في شك واضح :

ـ انتحر دون إرادته ؟! أي قول هذا ؟!

زفر (أكرم) فى عصبية بالغة ، وهو يغمغم :

ـ ليتنى أعلم .

عاد أكبرهم رتبة يتطلع إلى المسدس ، فى يد رئيسه ، قبل أن يهتف فى صرامة آمرة :

ـ اخفضوا أسلحتكم .

أطاعه الرجال جميعهم ، وإن تساءل أحدهم فى قلق :

ـ وماذا عن السيدة (مشيرة) ؟!

أشار إليه (أكرم) ، قائلاً فى صرامة :

ـ إنها زوجتى ، وأظننى صاحب الحق الوحيد هنا ، فى تحديد مصيرها .

قالها ، وهو يتجه نحو (مشيرة) مباشرة ، واستطرد فى انفعال :

ـ أعلم أنها لن تغفر لى هذا أبدًا .

ومع آخر حروف كلماته ، هوى على فك زوجته فجأة بلكمة قوية ، شهقت لها (مشيرة) فى ارتياع ، ثم حدقت

فيه ذاهلة لثانية واحدة ، قبل أن تهوى بين ذراعيه فاقدة الوعى ..

وفى حدة ، عاد أكبرهم رتبة يصوب إليه سلاحه ، هاتفًا فى غضب مستهجن :

ـ ماذا فعلت أيها التعس ؟!

حمل (أكرم) (مشيرة) الفاقدة الوعى ، وهو يجيب فى صرامة عصبية :

ـ لست مستعدًا للانتظار ، حتى أراها تقتل نفسها أمام عينىّ ، كما فعل هذا المسكين .

ثم هتف بأقرب الرجال إليه :

ـ أعطنى القيود الفولاذية التى تحملها .. أريد ضمان أنها لن تتمكّن من فعل هذا .

قال الرجل فى حدة :

ـ هل ستقيّد المديرة ؟!

صاح (أكرم) فى غضب :

- قلت : أعطنى القيود .

ناوله الرجل قيوده الفولاذية فى توتر ، فأرقد (أكرم) زوجته أرضًا ، وهو يقول فى مرارة :

- سامحينى يا (مشيرة) .. إننى مضطر .

أحاط معصميها بالقيد الفولاذى أمام جسدها ، وهو يقاوم دموعه فى شدة ، وما إن اطمأن إلى أن القيود محكمة ، حتى نهض قائلاً فى توتر :

- أبلغوا إدارة المخابرات العلمية بما حدث .. اطلبوا حضور المقدّم (نور) فورًا .. أخبروه أننا يجب أن نتحرك بأقصى سرعة ، قبل أن تتدهور الأمور أكثر .

اندفع أكبر الرجال رتبة لتنفيذ الأمر ، وهو يقول فى انفعال :

- سأفعل فورًا .

وفى الوقت ذاته ، تساءل رجل آخر فى توتر :

- ما الذى نواجهه بالضبط يا سيّد (أكرم) ؟!

هزّ (أكرم) رأسه فى قوة ، وهو ينحنى ليحمل زوجته مرة أخرى ، قائلاً :

- لست أدرى يا رجل .. حقيقة لست أدرى .

ونهض حاملاً (مشيرة) الفاقدة الوعى ، المقيّدة المعصمين ، وهو يضيف فى مرارة :

- ولكن من المؤكّد أن خصمنا يمتلك قدرة مذهلة ، على السيطرة على عقول الآخرين ، ودفعهم إلى أقصى مدى ممكن ، حتى لو تنافى هذا مع طبيعتهم الأصلية .

قال رجل آخر فى عصبية :

- أتعنى أنه هو الذى دفع رئيسنا إلى الانتحار ؟!

أجابه (أكرم) ، وهو يشق طريقه بينهم :

- أجل ، ويمكنه أن يدفع أى شخص منكم إلى المصير نفسه ، لو أراد هذا .

اتسعت عينا الرجل فى ارتياع ، فاستدرك فى حزم :

ـ ما لم نظفر به أولاً ..

تساءل أحد الرجال فى ذعر :

ـ أهذا ممكن ؟!

أجابه (أكرم) بمنتهى الحزم :

ـ كل شىء ممكن ، ولا أحد يمكنه الإفلات من قبضة العدالة ، مهما بلغت قوته ، أو بلغت قدراته ، و ..

« من الواضح أنك لا تتعلم أبدًا .. » ..

انطلقت العبارة تقاطعه بغتة ، بذلك الصوت الآلى الجاف ، وتلك اللهجة القاسية الساخرة ..

وانتفض جسد (أكرم) فى عنف ..

واتسعت عيناه فى ارتياع ..

وتراجع رجال الأمن كلهم فى ذعر ..

فذلك الصوت المخيف قد انبعث هذه المرة ، من بين شفتى مديرتهم ..

شفتى (مشيرة) ..

وقبل أن يستوعب الجميع ما حدث ، كانت تضم قبضتيها ، على الرغم من القيد الفولاذى حول معصميها ، وتهوى بهما معًا على فك (أكرم) ، بقوة لم يعهدها فيها من قبل قط .. ومع تراجع جسد (أكرم) ، من عنف الضربة ، أفلت جسدها من بين ذراعيه ، فهبطت على قدميها فى رشاقة مذهلة ، والتفتت إلى رجال الأمن ، والتمعت عيناها على نحو مخيف ، وهى تواجههم قائلة فى صرامة :

ـ اتركونا وحدنا .

صوتها الآلى الجاف أثار رعدة عجيبة فى أوصالها ، جعلت عددًا منهم يتراجع فى خوف ، فى حين رفع الباقون أسلحتهم نحوها بحركة غريزية ، فصرخت بصوت رهيب :

ـ قلت : اتركونا وحدنا .

بدا التحفز فى عيون الرجال ، الذين قرروا المقاومة ، فصاح بهم (أكرم) فى توتر صارم عنيف :

ـ ألم تسمعوا ؟!

سأله أحدهم فى عصبية :

ـ هل نقترح أن نتركك وحدك ، مع .. مع .. معها ؟!

كان (أكرم) يدرك تمامًا أن زوجته ليست فى وعيها ، وأن ذلك العدو الغامض قد سيطر على عقلها تمامًا ..

بل ويدرك أنها قد تسعى لقتله ، دون أن تدرى ..

وعلى الرغم من هذا ، لم يكن مستعدًا لمنح رجال الأمن أى مبرّر للتدخل ، حتى لا يتطوّر هذا إلى ما يؤذيها ..

إلى ما يؤذى زوجته ..

كان يُفضّل ألف مرة أن يموت على يديها ، من أن يصيبها أدنى أذى بسببه ..

لذا ، فقد صرخ مرة أخرى ، فى غضب شديد :

ـ اتركونا وحدنا .

ارتبك الرجال بشدة ، أمام هذا الموقف الرهيب ، وحاروا بين ما يحتمه عليهم واجبهم ، من ضرورة حماية (أكرم) ، وأوامره الصارمة بتركه وحده مع زوجته ، التى بدت أشبه بالوحش الكاسر ، وهى تواجهه بكل شراسة الدنيا ..

ثم لم تلبث روح الطاعة أن تغلبت ، فتراجعوا فى سرعة ، وأغلقوا باب الحجرة خلفهم ، وأحدهم يهتف بالباقين :

ـ لابد من إبلاغ سيادة المقدّم (نور) .. فورًا .

فى نفس اللحظة ، كان (أكرم) يشير بيده إلى زوجته ، قائلاً فى حذر متوتر :

ـ (مشيرة) .. استيقظى .. قاومى تلك القوة ، التى تسيطر على عقلك .. قاومى بكل إرادتك .

انطلقت من بين شفتيها ضحكة ساخرة عالية ، لها ذلك الرنين المخيف ، قبل أن ينبعث ذلك الصوت الرهيب من بين شفتيها ، قائلاً :

- أية إرادة يا رجل ؟! بل أية مقاومة ؟! هذا العقل ، الذى يتصور نفسه عبقرية إعلامية لامثيل لها ، أضعف ألف مرة من أن يتصدى لقوتى .

أشار (أكرم) بيده ، قائلاً :

- فليكن .. يمكننى أن أعترف بقوتك وقدراتك ، وأن أتجاهل حقارتك وقذارتك أيضًا ، ما دامت زوجتى بخير .. اترك عقلها ، وابحث عن أى عقل آخر .

قالت ، بنفس الصوت المخيف :

- ولكن هذا العقل يروق لى .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت فى صرامة :

- إلا أنه لن يمنعنى من إفناء الجسد نفسه ، لو اقتضى الأمر ..

احتقن وجه (أكرم) فى غضب ، وهو يلوّح بسبّابته فى وجه زوجته ، صائحًا :

- لن يمكنك أن تفعل أيها الوغد .. لن يمكنك أن تقتل زوجتى ، كما فعلت بذلك المسكين ، الذى دفعته إلى نسف رأسه بنفسه .

ارتفع حاجباها بدهشة ساخرة ، وهى تقول :

- لن يمكننى ؟!

ثم انطلقت من حلقها ضحكة ساخرة عالية أخرى ، بدا رنينها شديد البغض والمقت هذه المرة ، قبل أن تستطرد :

- إنك بالفعل لاتتعلّم أبدًا .. هل تصوّرت أن هذه القيود المعدنية يمكن أن تمنعنى من هذا ؟! يا للسخافة ! من الواضح أنك لا تفهم مدى سيطرة العقل على الجسد يا رجل .. هناك ألف وسيلة ووسيلة للموت ، ما دام العقل يهيمن تمامًا على الجسد ، بشقيه الإرادى واللاإرادى .. إيقاف نبضات القلب مثلاً ، أو حتى تسارعها إلى حد لايمكن أن يحتمله الجسد .. أو منع الرئة من التنفس ، أو إيقاف عمل الكلى .. هناك أيضًا منع الدم من الوصول إلى المخ .. هل أواصل ، أم أن هذا يكفى ؟!

هتف (أكرم) فى غضب :

ـ أنت وغد حقير .

تابعت ، وكأنها لم تسمعه :

ـ ماذا أيضًا عن ضرب الرأس بالجدار ، بقوة تكفى لشجها إلى نصفين ، أو تحطيم العنق على أى بروز حاد .

ثم رفعت معصميها أمام وجهها ، وهى تبتسم فى سخرية ، قائلة بذلك الصوت الآلى الجاف :

ـ هناك وسيلة أكثر بساطة ومباشرة .

ـ جذبت ساعديها إلى الجانبين ، بحركة واحدة ، قوية ومفاجئة ، فتحطمت السلسلة التى تربط حلقتى القيد الفولاذى ، على نحو اتسعت له عينا (أكرم) فى ذهول ، وهو يحدق فى زوجته ، التى يثق تمام الثقة بأنها لاتمتلك مثل هذه القوة بطبيعتها ، فى حين تحركت هى نحوه ، متابعة :

ـ ما دمت حرة اليدين .

انحنت فى هدوء ، تنتزع المسدس من قبضة جثة رئيس طاقم الأمن الصريع ، قبل أن تعتدل ، وتواصل طريقها نحوه ، مستطردة :

ـ والآن ماذا ستفعل ؟! هل ستقتلنى ؟!

شعر (أكرم) بالمرارة ، مع الموقف الرهيب الذى يواجهه ، فقال فى توتر بالغ :

ـ قاومى يا (مشيرة) .

هزت كتفيها ، قائلة ، بذلك الصوت الرهيب :

ـ وماذا لو لم أفعل ؟!

صاح :

ـ قاومى .. قاومى .

توقفت لحظة ، وعيناها تتطلعان إليه مباشرة ، فخيّل إليه أن كلماته قد وجدت صدى فى أعماقها ، وصاح :

ـ هيا .. قاومى .



ثم لم يلبث أن شدّ قامته ، واعتدل فى وقفته ، وألقى المسدس بعيداً ..

هزت رأسها فى بطء شديد ، وهى تقول :

ـ كلاً .

ثم ألقت إليه المسدس بغتة ، مستطردة بصوت خصمها الآلى الجاف :

ـ قاوم أنت .

وعادت تتقدم نحوه ، مضيفة .

ـ اقتلنى ، قبل أن أقتلك أنا .

التقط (أكرم) المسدس ، وتطلّع إلى عينيها المتألقتين ، بتلك البريق الوحشى المخيف ، ثم لم يلبث أن شدّ قامته ، واعتدل فى وقفته ، وألقى المسدس بعيدًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ كلاً أيها الوغد .. لو أن قدرنا أن يقتل أحدنا الآخر ، على الرغم منه ، فالأفضل أن أكون أنا الضحية لا القاتل .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف ، فى توتر بالغ :

ـ مادمت الطرف ، الذى مازال يتمتع بقواه العقلية كاملة .

التمعت عينا (مشيرة) ببريق مخيف ، وهي تقول ، بذلك الصوت الآلي الرهيب :

- فليكن .. أنت اخترت هذا .

واقتربت منه أكثر وأكثر ، وهي تضم قبضتها في قوة وتتراجع به في تحفز ..

ومع تلك القوة الرهيبة ، التي اكتسبتها من إطلاق طاقات جسدها الكامنة ، أدرك (أكرم) أن هذه الضربة ستحطم صدره ، وتمزق قلبه ورئتيه حتمًا ..

وبكل قوته ، أغلق عينيه ، وتلا الشهادتين في أعماقه ، واستعد لتلقي مصيره ..

مصيره الرهيب .

* * *



٧ - موجات الشر ..

« هل تعتقدين بالفعل أن هذا ممكن ياسيدتي ؟! »

ألقى العالم المسئول عن الاتصالات السؤال ، على مسامع (سلوى) ، وهي منهمكة في عملها ، أمام جهاز استقبال الموجات متناهية الصغر ، فأجابته في حسم دون أن تتوقف عن عملها :

- مادام جهازكم يلتقط تلك الموجات ، الشبيهة بالموجات المخية ، فهذا يعني أن تتبعها أمر ممكن ، وكل ما أفعله الآن هو تطوير أجهزتي الخاصة ؛ لتتوافق مع قدرات أجهزتكم الفائقة ..

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف في توتر :

- وأتعشم أن يفلح هذا ..

سألها رئيس طاقم العلماء في اهتمام :

- هل تعتقدين أن الاتصال ، الذي تلقاه المقدم (نور) ،

يتعلّق بهذه الموجات شبه المخية أيضًا ؟! لقد انصرف فى سرعة ، والتوتر يملأ كل ملامحه !!

مطّت شفتيها ، قائلة :

ـ لا أحد يمكنه أن يتنبأ بما يدور فى عقل (نور) ، وما دام لم يخبرنا بفحوى الاتصال ، أو بسبب انصرافه المسرع ، فهذا يعنى أنه أمر لايمكن شرحه .. فى الوقت الحالى على الأقل ..

أومأ رئيس الطاقم برأسه متفهمًا ، فى حين أشار عالم الاتصالات إلى شاشة الجهاز ، متسائلاً :

ـ هل لاحظت يا سيّدة (سلوى) ، أن هذه الموجات شبه المخية ، شديدة الوضوح ، منذ بعض الوقت ؟!

غمغمت ، وهى تواصل تعديل برامج جهاز التتبّع الخاص بها :

ـ هذا من حسن حظنا ..

توقّفت (نشوى) عن عملها فى هذه اللحظة ، وهى تلتفت إليهم ، قائلة :

ـ لدى اعتراض علمى ، على عبارة الموجات شبه المخية هذه ..

التفت الثلاثة إليها ، وقال رئيس فريق العلماء فى اهتمام :

ـ كلنا آذان مصغية .

أشارت إلى شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، قائلة :

ـ لقد راجعت تلك الموجات ، على مائة ألف حالة مسجّلة ، لتموجات مخية فعلية ، وتوصّلت إلى نتيجة حاسمة .

سألتها (سلوى) فى اهتمام :

ـ وما هى ؟!

أجابتها (نشوى) فى سرعة :

ـ هذه ليست موجات شبه مخية .

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف فى حزم وحسم :

ـ إنها موجات مخية فعلية .

بدا الانبهار على وجوه ثلاثتهم ، قبل أن يهتف عالم الاتصالات :

ـ حقًا ؟!

أجابت فى ثقة حاسمة :

ـ برنامج المقارنة هذا دقيق للغاية ، ولقد شاركت بنفسى فى إعداده ، ونسبة الخطأ فيه لا تتجاوز الواحد فى كل مائة مليون ، ولقد أكد ، بنسبة تسعة وتسعين فى المائة ، أن هذه موجات مخية صحيحة ، ولكنها متناهية الصغر ، على نحو لا يمكن حدوثه ، بأية صورة طبيعية مسجلة .

سألتها (سلوى) ، فى اهتمام شديد :

ـ ألا تعتقدين أنه من الممكن بثها ، من جهاز ما ، بأية صورة من الصور ؟!

هزت رأسها نفيًا فى حزم ، وهى تجيب :

ـ مستحيل !

عاد الجميع يتطلعون إلى التموجات المرسومة على شاشة الجهاز المتطور ، قبل أن يغمغم رئيس الطاقم :

ـ رباه ! هناك مخ بشرى إذن ، قادر على بث هذه الموجات !

تنهدت (نشوى) ، قائلة :

ـ يبدو أن هذا أمر صحيح ، على الرغم مما يثيره فى نفسى من مخاوف مبهمة .

ثم استدركت فى اهتمام ، وهى تشير إلى الشاشة :

ـ ولكننى أعتقد أن الحل كله قد يكمن فى حزمة الموجات المجهولة الثانية ، التى لا تشبه أية موجات أخرى معروفة .. لابد وأن نعمل على دراستها أيضًا ، فقد تقودنا إلى أمر أكثر أهمية وخطورة .

قال عالم الاتصالات فى حماسة :

ـ سنعمل على هذا فورًا :

مع آخر حروف كلماته ، انطلقت تنهيدة حارة ، من أعماق صدر (سلوى) ، وهى تهتف فى ارتياح :

ـ أخيرًا .

سألتها (نشوى) فى لهفة :

ـ هل نجحت التعديلات ؟!

أجابتها (سلوى) فى سرعة ، وهى توصل جهازها للتتبُّع ، بالجهاز المتطوِّر الجديد :

ـ نعم .. أعتقد أننا نستطيع الآن تتبُّع هذه الموجات الفائقة .

ضغطت أزرار جهازها فى سرعة ، فارتسمت على شاشته خريطة واضحة لمدينة (القاهرة) الجديدة ، وراح جزء منها يقترب فى سرعة ، ليملأ الشاشة كلها ، فهتف رئيس الطاقم مبهورًا :

ـ رباه ! إنه يتعقَّب مصدرها بسرعة مدهشة .

لم تسمع (سلوى) عبارته ، وكيانها كله يتابع حركة الخريطة على الشاشة ، و ..

وفجأة ، اصطبغت الشاشة كلها بلون أحمر باهت ، ثم انطلق من الجهاز أزيز متصل ، جعل عالم الاتصالات يهتف فى حيرة :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟!

وانعقد حاجبا (سلوى) فى شدة ، دون أن تجيب تساؤله ..

فما يحدث على الشاشة ، وما يعلنه جهاز التتبُّع الفائق ، كان أمرًا مدهشًا وفريدًا ، و ..

ومخيفًا ..

* * *

بريق رهيب ، ذلك الذى أطلّ من عينى (مشيرة) ، وهى تضمّ قبضتها ، استعدادًا لسحق صدر زوجها ..

كانت هناك قوة رهيبة ، تسيطر على عقلها ، وترسم فى ذهنها صورة لما ينبغى لقبضتها أن تفعله ..

لابد أن تنقضّ على صدر (أكرم) ، وتخترق ضلوعه ، ثم تقبض بأصابع فولاذية على قلبه ، و ..

وتنتزعه ..

ولم تكن لديها القدرة على المقاومة ..

أو حتى التفكير ..

كان عليها أن تنفذ الأمر ..

فقط تنفذه ..

بمنتهى الدقة ..

ومنتهى القسوة ..

والوحشية ..

والشر ..

و ..

وفجأة ، اقتحم (نور) المكان ..

اقتحمه فى قوة وعنف ، وهو يسحب مسدسه الليزرى ، هاتفًا فى صرامة :

ـ كفى .

توقفت قبضتها فى منتصف الطريق ، قبل أن تخترق صدر (أكرم) ، الذى فتح عينيه عن آخرهما ، وهتف فى مزيج من الدهشة واللهفة :

ـ (نور) ؟!

سأله (نور) فى توتر ، وهو ما زال يصوب مسدسه إلى (مشيرة) فى تحفز :

ـ أأنت بخير ؟!

أومأ (أكرم) برأسه فى قوة ، وهو يشير إلى (مشيرة) ، قائلاً فى انفعال جارف :

ـ إنه يسيطر على عقلها .. ذلك الوغد يسيطر على كيانها كله .

ألقى (نور) نظرة سريعة ، على جثة رئيس طاقم الأمن ، قبل أن يقول فى حزم متوتر :

ـ أعلم هذا .. لقد أبلغونى الأمر هاتفيًا ، فأتيت بأقصى سرعة .

وانعقد حاجباه ، وهو يضيف :

ـ وأظننى وصلت فى الوقت المناسب .

استدارت إليه (مشيرة) فى بطء وانخفضت قبضتها إلى جوارها ، وهى تقول فى سخرية ، بنفس الصوت الآلى الجاف :

- وماذا تنوى أن تفعل ، بعد أن وصلت في اللحظة المناسبة أيها المتحذلق ؟! هل ستطلق النار على زوجة صديقك أمام عينيه ؟!

قال (نور) ، وهو يصوّب مسدسه إليها في إحكام :

- القتل ليس الوسيلة الوحيدة ، لإيقاف خصم ما .

قالت بنفس الصوت واللهجة :

- أتقصد أنك يمكن أن تصوّب على الساقين مثلاً ؟! وهل ستحتمل إصابة الزوجة بعجز دائم .

هتف (أكرم) في توتر :

- إياك يا (نور) .. إياك أن تمس شعرة واحدة من رأس (مشيرة) .

قال (نور) في صرامة :

- هناك عقل شرير يسيطر عليها يا (أكرم) .. عقل يدفعها إلى قتلك بلا رحمة .

أجابه (أكرم) في عصبية :

- إنني أفضّل الموت ألف مرة ، على أن تصاب هي بأدنى سوء ، أو حتى ..

قاطعته (مشيرة) ، وهي تعقد ساعديها أمام صدرها ، قائلة بذلك الصوت الآلي الرهيب :

- وهل تعتقد أن باستطاعته أن يصيبني بأدنى سوء ؟!

وضاقت عيناها ، مع استطرادتها الساخرة :

- إنه ليس استثناءً .. إنه يمتلك عقلاً كباقي عقول البشر .

قالتها ، ثم انطلقت من حلقها تلك الضحكة الرنّانة الساخرة ..

وانتفض جسد (نور) في قوة ..

شيء ما اقتحم عقله بعنف ، وراح يتغلغل في ثناياه ، وتلافيفه ، وخلاياه ، بسرعة الصاروخ ..

شيء ثقيل ..

رهيب ..

مهيمن ..

وحاول (نور) ألا يستسلم ..

واستنفر كل قواه ..

وقاوم ..

وقاوم ..

وقاوم ..

واتسعت عينا (أكرم) فى دهشة مذعورة ، عندما شاهده يخفض مسدسه ، فى استسلام عجيب ، فهتف :

ـ لا .. ليس (نور) .

أطلقت (مشيرة) ضحكة أخرى ساخرة ، بذلك الصوت الرهيب ، وتألقت عيناها على نحو عجيب ..

وهتف (أكرم) مرة أخرى فى مرارة ، أورثه إياها شعوره المقيت بالعجز والهوان .

ـ ماذا ستفعل به أيها الوغد ؟!

أجابته (مشيرة) ، بذلك الصوت المخيف :

ـ بل قل : ماذا سيفعل هو بك ؟!

مع قولها ، رفع (نور) مسدسه الليزرى مرة أخرى .

ولكنه لم يصوبه إليها ..

بل إليه هو ..

إلى (أكرم) ..

وبكل ذهوله ، تمتم (أكرم) ، الذى اتسعت عيناه عن آخرهما :

ـ لا .. مستحيل !

فلسبب ما ، وعلى الرغم من إدراكه أن خصمه يمتلك قوة رهيبة ، لا قبل لبشرى بها ، كان يتصور أنه قادر على السيطرة على كل العقول ..

إلا عقل (نور) ..

لم يتخيل لحظة واحدة ، أن مثله الأعلى ، فى القوة والذكاء والإرادة ، يمكن أن يسقط أسير عقل آخر ..

مهما بلغت قوته ..

ومهما تعالت قدرته ..

وانطلقت (مشيرة) ضحكة جديدة ساخرة، وهى تنقل بصرها بينهما ..

وأدرك (أكرم) أنها النهاية ..

النهاية بلا ريب ..

* * *

فرك (رمزى) عينيه، فى إرهاق شديد، وهو يتراجع فى مقعده، أمام شاشة الكمبيوتر الرئيسى، فى إدارة السجلات الطبية، مغمغمًا :

ـ يا لها من مهمة ! يخيّل إلىّ أن العالم أجمع لديه تحورات غير طبيعية، فى موجاته المخية .

كان قد انهمك فى مراجعة آلاف السجلات الطبية، التى تم حفظها، فى السنوات الخمس الأخيرة، لكل من تجاوز رسم موجاته المخية الحدود المألوفة .

ولقد راجع كل ملف بمنتهى الدقة ..

ومنتهى الاهتمام ..

وأصابته من هذا حالة من الإرهاق الشديد، جعلته يتثاءب فى قوة، مضيفًا :

ـ أراهن على أنهم لو رسموا موجات مخى الآن، لسجلت انحرافًا عنيفًا، يفوق كل ما راجعته اليوم ..

تثاءب مرة أخرى، ثم نهض يتحرك فى الحجرة بعض الوقت؛ فى محاولة لتنشيط دورته الدموية، وبث بعض الحيوية فى جسده وعضلاته، دون أن يتوقّف عقله عن التفكير لحظة واحدة ..

لقد راجع كل الحالات المسجّلة، فى السنوات الخمس الأخيرة، دون أن يتوصّل إلى أية نتيجة إيجابية مقبولة ..

وهذا يشير إلى احتمالين فحسب، لا ثالث لهما ..

إما أن الحالة التى تواجههم لم يتم تسجيلها أبدًا ..

أو أنها قد سُجِّلتْ قبل خمس سنوات ..

راح ذهنه يدرس الاحتمالين فى اهتمام، وهو يعود إلى الجلوس أمام الكمبيوتر، ويتطلّع إلى شاشته فى شرود ..

لو أن الحالة لم تُسجّل رسميًا ، فمن المستحيل عمليًا أن يتوصّل إليها ..

وهذا يعني أنه ليس أمامه سوى احتمال واحد ..

البحث في مدى أوسع ..

ربما قبل عشر سنوات ..

أو خمس عشرة سنة ..

من يدري ؟!

تطلّع مرة أخرى إلى شاشة الكمبيوتر ، وهو يتمتم :

ـ قد يحتاج إلى أيام من العمل ، لمراجعة ملفّات كل هذه الفترة الزمنية .

عاد إلى صمته ، وترك ذهنه يسعى خلف حل منطقي ، يساعده على سرعة البحث ..

لماذا يراجع كل الملفات ؟!

إنه بصدد البحث عن حالة من النشاط العقلي الفائق ..

فليبحث إذن عن الحالات ، التي تجاوزت المعدلات المتوسطة ، بدرجة ملحوظة ..

الحالات الفائقة ..

بثّت الفكرة حماسة منقطعة النظير ، في كيانه كله ، فاستعادت أصابعه نشاطها ، وراحت تقفز على أزرار الكمبيوتر ، لتلقينه المعطيات المطلوبة ، قبل أن يضغط زرًا أخيرًا ، هاتفًا في حماسة :

ـ انطلق ..

تراصت على الشاشة قائمة صغيرة ، من ثلاثة أسماء فحسب ، تحمل عدة تواريخ ، خلال فترة البحث المحدودة ، التي تبلغ خمسة عشر عامًا فحسب ..

وفي ارتياح غامر ، تمتم (رمزي) :

ـ رائع .. كانت فكرة عبقرية بحق .

وبضغطة زر أخرى ، فرد الكمبيوتر أمامه الملفات الكاملة ، لكل من الحالات الثلاث ، فراح يراجعها بمنتهى الدقة والعناية ، قبل أن يتمتم ، في شيء من الإحباط :

- تسرعت يا (رمزى) .. اثنتان منها توفيتا بنزيف فى المخ، والثالثة مازالت محتجزة، فى مصحة للأمراض النفسية .

تنهّد فى يأس، وتراجع فى مقعده، وهو يتثاءب مرة أخرى، متمتمًا :

- فليكن .. كان حلمًا أجمل من أن يتحقّق .

مطّ شفتيه فى شىء من الضيق، ونهض من مقعده، وراودته فكرة لململة أوراقه، والرحيل من المكان، و..

وفجأة، توقّف هاتفًا :

- ولماذا خمسة عشر عامًا فحسب ؟!

ثم عاد إلى مقعده، وعادت أصابعه تتقافز على أزرار الكمبيوتر، وهو يتابع :

- صحيح أنه احتمال ضئيل، ولكن من يدرى ؟!

وضغط الزر الأخير، قبل أن يتراجع، مضيفًا فى حزم :

- إننا لن نخسر شيئًا، بمراجعة كل الحالات المخية الفائقة، المسجّلة هنا، عبر كل السنوات .

انطلق الكمبيوتر يعمل بسرعته الفائقة، قبل أن يضيف خمسة أسماء أخرى إلى القائمة .

أربعة أسماء منها كانت تحمل إلى جوارها كلمة محبطة ..

كلمة (توفّى) .

أما الاسم الخامس، فكان مثيرًا للغاية ..

فإلى جواره، كانت هناك عبارة مدهشة ..

عبارة تقول : « ملف خال .. تم محو كل البيانات » ..

واختلج قلب (رمزى) فى شدة، وهو يحدّق فى العبارة، قبل أن يهتف، بكل ذرة من كيانه :

- إنه هو .

لم يكد ينطقها، حتى توهّجت شاشة الكمبيوتر الرئيسى فجأة، على نحو جعله يثب من مقعده مبتعدًا، بحركة غريزية تلقائية، و..

وفى اللحظة نفسها ، انفجرت شاشة الكمبيوتر .

ثم اشتعلت فيها النيران ..

وتراجع (رمزى) بحركة حادة ، عندما امتدت النيران بسرعة مدهشة ، إلى كل ما يحيط بالشاشة ..

وفى مثل هذه الظروف ، ونظرًا لإجراءات التأمين المتبعة ، كان ينبغى أن تعمل أجهزة مقاومة الحريق الإليكترونية فورًا ..

وأن تغمر المادة الرغوية المكان ..

وتطفئ النيران ..

إلا أن هذا لم يحدث ..

قوة رهيبة غير منظورة ، سيطرت على نظام إنذار الحريق كله ..

فلم تنطلق المادة الرغوية ..

بل ولم ينطلق إنذار الحريق ذاته ..

وهتف (رمزى) فى ارتياع :

- رباه ! إنه هو .. إنه هو !

استدار فى سرعة ، محاولاً الاندفاع خارج الحجرة ، قبل أن تبلغه النيران ، ولكن باب الحجرة المعدنى تحرك فى اللحظة ذاتها ، فى طريقه إلى مستقره .

ووثب (رمزى) بكل قوته إلى الأمام ..

وثب ، محاولاً إنقاذ نفسه ، والهروب من ذلك المصير البشع الرهيب ..

إلا أن الباب كان يتحرك فى سرعة ، تفوق سرعته الطبيعية ، قبل أن يرتطم بإطاره ، فى صوت قوى مخيف ..

واتسعت عينا (رمزى) عن آخرهما ، وهو يحدق فى الباب المغلق ، قبل أن يلتفت إلى ألسنة اللهب فى رعب هائل ..

ألسنة اللهب ، التى تنتشر فى المكان كله ، انتشار النار فى الهشيم ، وتحاصره على نحو لا فكاك منه ..

واتسعت عينا (رمزى) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

فالميتة الرهيبة التى تنتظره ، داخل حجرة السجلات الطبية المغلقة ، كانت أبشع من كل ما تصوّره فى حياته ..

أبشع ألف مرة .

* * *



٨ ـ وفجأة ..

انعقد حاجبا (سلوى) ، فى توتر شديد ، مع تلك العبارة المحبطة ، التى ارتسمت على شاشة جهازها ، قبل أن تكتمل عملية التتبّع ..

العبارة التى تقول : إن الموجات متناهية القصر ، التى كان الجهاز يعمل على تتبّعها ، قد توقّفت فجأة ..

وفى اللحظة نفسها ، هتف عالم الاتصالات ، وهو يحدّق فى شاشة الجهاز المتطوّر الجديد :

ـ رباه ! لقد اختفت الموجات المخية .

التقى حاجبا (سلوى) فى توتر ، وهى تقول ، فى شىء من العصبية :

ـ لقد أوقفها .

سألها رئيس فريق البحث فى حيرة :

ـ من أوقف ماذا ؟!

تراجعت فى مقعدها ، مجيبة :

ـ الشخص المسئول عن بث تلك الموجات ، والذى استقبل جهازكم المتطوّر نشاطه العقلى الفائق ، أوقف هذا النشاط فجأة ، ودون سابق إنذار .

سألها عالم الاتصال فى حيرة أكثر :

ـ ولماذا يفعل ؟!

زفرت فى مرارة ، مجيبة :

ـ لقد كشف ما نفعله .

هتف رئيس الفريق :

ـ كشف ماذا ؟!

أجابته (نشوى) هذه المرة ، وعقلها يفكّر فى عمق :

ـ كشف محاولتنا لتعقُّب موجاته المخية الفائقة .

تبادل رئيس الفريق نظرة ذاهلة ، مع عالم الاتصالات ، قبل أن يقول الأخير فى توتر :

ـ ولكن هذا مستحيل يا سيّدتى ! ربما كان هناك شخص ما ، يمتلك قوة عقلية فائقة ، إلى حد بث موجاته ، على هذا النحو المدهش ، ولكن عقله لن يتحوّل أيضًا إلى جهاز استقبال فائق ، خاصة وأن جهاز التتبع الذى تستخدمه السيّدة (سلوى) ، قد تم تعديله ببراعة ، ليتوافق مع الموجات متناهية القصر ، التى يستحيل أن يسمعها ، أو يشعر بها ، أى كائن حى .

قالت (سلوى) فى حزم :

ـ تتحدّث عن الكائنات الحية الطبيعية ، أما ما نواجهه ، فهو كائن حى غير طبيعى أبدًا .

ران الصمت التام على المكان ، إثر عبارتها الأخيرة ، وازداد انعقاد حاجبى (نشوى) ، وهى تتطلّع إلى الموجة الثانية المجهولة ، التى ظلّت وحدها ، على شاشة الجهاز الجديد ، قبل أن تعتدل ، قائلة فى حزم :

ـ فليكن .. ربما استطاع رصد موجات التتبع ، ولكن تلك الموجة الثانية لم تختف ، مع توقّفه عن البث ، ومازلت أعتقد أن معرفتها ستصنع فارقًا كبيرًا .

التفتت إليها (سلوى) ، تسألها فى اهتمام :

ـ هل تعتقدين هذا حقًا ؟!

أجابتها فى سرعة :

ـ ليس لدى أى تعليل علمى لما أقوله ، ولكن شيئًا ما فى أعماقى ، يوحى لى بأن هذه الموجة الثانية ستقودنا إلى نتيجة مدهشة .

سألها عالم الاتصالات فى لهفة :

ـ أهى حاسة الأنثى ؟!

صمتت لحظة ، قبل أن تجيب فى حسم :

ـ فلنفترض هذا .

اعتدلت (سلوى) على مقعدها ، وهى تقول :

ـ هذا يكفينى .

ثم انطلقت أصابعها تتعامل مع جهازها مرة أخرى ، مستطردة :

ـ سنتعامل مع الموجة الثانية .

بدأت عملها بالفعل ، دون أن تشير إلى أنها تتفق تمامًا مع ابنتها ، فى شىء مشترك بينهما ، لا يمكن أن يشاركهما فيه الآخرون ..

الحاسة ..

حاسة الأنثى ..

* * *

كل شىء كان يوحى بأن النهاية آتية لا ريب ..

كل شىء بلا استثناء ..

عينا (نور) الجامدتان ..

مسدسه الليزرى ، المصوب إلى رأس (أكرم) ..

ذلك البريق الوحشى ، المطلّ من عينى (مشيرة) ..

وابتسامتها الساخرة الواثقة ..

وتراجع (أكرم) ، بكل توتر الدنيا ..

تراجع متصورًا أنه لا أمل ..

أدنى أمل ..

ولكن فجأة ، انتفض جسد (مشيرة) ، على نحو عجيب ، وانعقد حاجباها فى شدة ، مع تلاشى ابتسامتها الساخرة ، وخبو ذلك البريق الوحشى فى عينيها ..

ولثوان ، تجمدت فى مكانها تمامًا ..

ثم انتفض جسدها مرة أخرى ..

وبمنتهى العنف ..

انتفض انتفاضة متوافقة بمنتهى الدقة ، مع انتفاضة مثيلة ، فى جسد (نور) الذى انعقد حاجباه فى شدة ، عندما انتبه إلى أنه يصوّب مسدسه إلى رأس رفيقه ، وهتف :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

أما (مشيرة) ، فقد امتلأت ملامحها بارتياع لا حدود له ، وهى تنقل بصرها بينهما ، قبل أن تُحدّق فى جثة رئيس طاقم الأمن ، ثم تطلق شهقة مذعورة ، وتهوى ..

هوت فاقدة الوعى ، شاحبة الوجه ، فوثب (أكرم) يلتقطها بين ذراعيه ، وهو يهتف :

ـ (مشيرة) .. يا إلهى ! (مشيرة) .

واستدار إلى (نور) ، وهو يحملها فى لهفة وذعر ، مستطردًا :

ـ ماذا حدث يا (نور) ؟! ماذا حدث ؟!

غمغم (نور) بكل توتر الدنيا ، وهو يخفض مسدسه :

ـ ليتنى أعلم يا صديقى .. ليتنى أعلم .

حدّق فيه (أكرم) ، وكأنما لم يفهم ما يعنيه ، ثم لم يلبث أن اندفع بزوجته خارج المكان ، وهو يهتف :

ـ إسعاف .. استدعوا الإسعاف الطائر فورًا .. زوجتى فى خطر .

أما (نور) فقد ظلّ واقفًا ، يدير عينيه فى الحجرة فى صمت ، وقد انعقد حاجباه فى شدة ، ثم لم يلبث

ان تطلع إلى جثة رئيس طاقم الأمن ، مغمغمًا بكل توتر الدنيا :

ـ لماذا تركت عقولنا يا هذا ؟!

لست أظنك بما يكفى من الكرم ، لتتخلى عن رغبتك الدموية المجنونة بلا سبب ! لماذا فعلتها ؟! لماذا ؟!

كان هناك ألف سؤال وسؤال ، تعربد فى ذهنه ، وتلتهم مشاعره بلا هوادة ..

لقد واجه من قبل عشرات الأحداث والمواقف الغامضة ..

واجه عمالقة ، ووحوشًا ، وسحرة ..

وفى كل مرة ، كان يجد تفسيرًا علميًا منطقيًا لما يواجهه ..

إلا فى هذه المرة ..

إنه ، ولأول مرة فى حياته ، يواجه عقلاً فحسب ..

عقلاً بلا جسد ..

يواجه خصمًا لا يراه ، أو يعرفه ..

خصمًا غامضًا ..

مخيفًا ..

رهيبًا ..

خصمًا كاد يدفعه إلى قتل زميله ورفيق كفاحه (أكرم) ..

بل كاد يدفع (مشيرة) إلى قتل زوجها ..

ومن يدرى ما الذى يمكن أن يفعله فيما بعد !

وإلى أى مدى يمكن أن يصل !!

ربما يدفعه هو أيضًا إلى قتل زوجته ..

أو ابنته ..

ويا للبشاعة !

إنه لايحتمل حتى مجرد التفكير فى هذا الاحتمال الرهيب ..

لابد وأن يجد وسيلة ما لمقاومة هذا الأمر المخيف ..

لابد ..

لابد ..

ولكن السؤال هو كيف ؟!

كيف يواجه خصمًا يجهله ، وقوة لا قبل له بها ؟!

كيف ؟!

الخطوة الأولى إذن ، هى أن يعرف جواب السؤال ..

أن يعرف هوية خصمه ..

وسر قوته ..

عندئذ .. وعندئذ فقط قد يمكنه مواجهته ..

قد !

أغلق عينيه فى قوة ، محاولاً استرجاع كل ما حدث ..

كل الأحداث ..

والتفاصيل ..

والأهوال ..

كان يبحث عن طرف خيط ..

أى طرف خيط ، يمكن أن يقوده إليه ..

إلى خصمه الغامض المجهول ..

أى طرف خيط ..

ثم فجأة ، وعلى الرغم منه وجد ذهنه كله يتجه إلى السؤال الأول ..

لماذا تخلّى عن سيطرته عليهم فجأة ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

ولكن السؤال ظلّ حائرًا فى ذهنه ، وفى أعصابه وكيانه ..

حائرًا بلا جواب أو تفسير ..

أى تفسير ..

* * *



تراجع (رمزى) ، بكل ذعر الدنيا ، حتى التصق ظهره بالباب الفولاذى السميك للمكان ، وهو يحدّق فى النيران ..

تراجع (رمزى) ، بكل ذعر الدنيا ، حتى التصق ظهره بالباب الفولاذى السميك للمكان ، وهو يحدّق فى النيران ، التى انتشرت فى حجرة السجلات الطبية الرئيسية ، وراحت تلتهم كل شىء بلا رحمة .

وتتجه إليه مباشرة ..

وخفق قلبه على نحو لم يحدث أبدًا من قبل ..

النار ..

ما من مخلوف حىّ لا يخشاها ، ولا يخاف منها حتى النخاع ..

لحكمة الخالق (عزّ وجلّ) ، زرع فى قلب كل مخلوقات الكون رعبًا لا حدود له ، تجاه النار ..

والنار بالذات ..

ولقد ملأ ذلك الرعب كيان (رمزى) كله ..

وعلى الرغم من معرفته أن باب الحجرة وجدرانها عازلة للصوت ، فقد استدار يدق الباب بقبضتيه ، بكل ما أوتى من قوة ، وهو يصرخ :

- النجدة .. النجدة .. أخرجونى من هنا .. أخرجونى بالله عليكم ، قبل تلتهمنى النيران ..

تسلل الدخان الكثيف إلى أنفه ورئتيه ، فراح يسعل فى قوة ، وهو يواصل صرخاته المنهارة :

- أخرجونى من هنا بالله عليكم .

وسعل أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم شعر باختناق شديد ، جعله يسقط على ركبتيه ، هاتفًا فى تهالك :

- أخرجونى من هنا ..

تعاظمت النيران على نحو رهيب ، داخل الحجرة المغلقة ، وراحت تلتهم الأكسجين بسرعة مخيفة ، وانتشرت سحب الدخان لتغمر كل شىء ، وراح (رمزى) يسعل ..

ويسعل ..

ويسعل ..

ثم انهار جسده كله دفعة واحدة ..

وسقط ..

سقط فاقد الوعى ، أمام الباب الفولاذى ، ووسط الدخان الكثيف ، و ..

وفجأة ، انطلقت صفارات الإنذار فى كل مكان ، معلنة وجود الحريق ..

وانطلقت المادة الرغوية فى كثافة ، من أجهزة الإطفاء الإليكترونية ، لتغمر كل شىء .

كل شىء بلا استثناء ..

الكمبيوتر المحترق ..

السجلات ..

الأثاث ..

وجسد (رمزى) أيضًا ..

ومع انطلاق صفارات الإنذار ، حدّد كمبيوتر الأمن موقع الحريق بالضبط ، فأسرع رجال أمن المكان إلى

حجرة السجلات الطبية الرئيسية ، واقتحموها بالقوة ، وهتف أحدهم بكل دهشته :

ـ رباه ! كيف التهم الحريق كل هذا ، دون أن يعلن جهاز الإنذار حدوثه .

فى حين أسرع آخر يفحص (رمزى) هاتفًا :

ـ هذا الرجل يلفظ أنفاسه الأخيرة .. استدعوا رجال الإسعاف فورًا .

وقف أكبرهم رتبة يدير عينيه فى المكان ، وألف سؤال تعربد فى رأسه ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ أريد فحصًا شاملاً لكمبيوتر الأمن ، ونظام الإنذار والإطفاء الإليكترونى ، فى المبنى كله ، وليتم استدعاء الفنيين والخبراء ، لتحديد سبب الحريق ، ونقطة اندلاعه ، وبأقصى سرعة ممكنة .

وصل المسعفون فى تلك اللحظة ، وراحوا يحملون جسد (رمزى) ، بعيدًا عن الدخان ، الذى لم يتلاش بعد ،

على الرغم من انطفاء ألسنة اللهب ، بفعل المادة الرغوية الكثيفة ، وكبير رجال الأمن يغمغم فى توتر بالغ :

ـ أريد أن أعرف ماذا حدث هنا ؟! ماذا ؟!

نطقها بكل الحيرة ، والتوتر ، والقلق ..

والغضب أيضًا ..

الغضب بلا حدود ..

* * *

انتفض جسد (مشيرة) فجأة ، دون سابق إنذار ، وانطلقت من حلقها شهقة قوية ، وهى تهتف :

ـ لا .. ليس (أكرم) .

اندفع جسدها ، فى محاولة منها للجلوس ، فوق المحفة الصغيرة ، التى أرقدوا جسدها عليها ، داخل هليكوبتر الإسعاف ، التى تنطلق فى طريقها إلى أقرب مستشفى ، ولكن زوجها (أكرم) تلقاها بين ذراعيه ، فى حنان جارف ، وهو يقول :

- أنا هنا يا عزيزتى .. كل شىء انتهى .. اطمئنى .. كل شىء انتهى .

تراجعت قليلاً ، لتحدّق فى وجهه برعب ، قبل أن تهتف بكلمات مرتجفة مذعورة :

- (أكرم) .. يا إلهى ! يا إلهى ! لقد كان كابوسًا رهيبًا يا (أكرم) ..

لقد رأيت نفسى .. رأيت نفسى .. يا إلهى !

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يضمّها إلى صدره ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين اعتدل (نور) ، الجالس خلفه ، ليسألها فى اهتمام :

- رأيت ماذا يا (مشيرة) ؟!

حدّقت فيه (مشيرة) بذعر غير مبرّر ، فى حين قال (أكرم) فى خشونة :

- دعها وشأنها يا (نور) .

تجاهله (نور) تمامًا ، وهو يكرّر سؤاله فى حزم :

- ماذا رأيت فى كابوسك يا (مشيرة) ؟!

أطلّ الغضب من ملامح (أكرم) ، وهمّ بقول شىء ما ، لولا أن أمسك (نور) كتفه بقوة مكررًا فى صرامة :

- ماذا رأيت ؟!

حدّقت فيه (مشيرة) مرة أخرى فى رعب ، ثم هزّت رأسها ، وأغلقت عينيها ، مجيبة :

- رأيت أننى أحاول قتل (أكرم) .

ثم دفعت نفسها ، بعيدًا عن صدر زوجها ، ودفنت وجهها فى كفيها ، وهى تنتحب ، مستطردة فى مرارة :

- كان كابوسًا بشعًا بحق .

همّ (أكرم) أن يخبرها أنه لم يكن كابوسًا ، إلا أن أصابع (نور) الفولاذية انغرست فى كتفه أكثر ، وهذا الأخير يسأل :

- ماذا رأيت أيضًا يا (مشيرة) ؟ أعنى قبل هذا ..

رفعت وجهها عن كفيها ، وبدت حائرة ذاهلة ، وهى تنقل بصرها بينهما ، على نحو خفق له قلب (أكرم) ، قبل أن تجيب فى بطء :

- كان هناك شخص ما ..

ترددت طويلاً ، فقال (نور) فى حزم :

- شخص يجلس القرفصاء ، ويحيط به ظلام دامس .

اتسعت عيناها فى دهشة مذعورة ، وهى تهتف :

- بالضبط .. كيف عرفت هذا ؟!

استدار إليه (أكرم) بدهشة بالغة ، وهمّ بإلقاء السؤال ذاته ، لولا أن تذكّر فجأة أن (نور) أيضًا قد وقع تحت سيطرة ذلك الشخص ، لفترة قصيرة من الزمن ..

وأنه ربما رأى نفس ما رأته (مشيرة) ..

وسرت فى جسده قشعريرة باردة كالثلج ، عندما سمع (نور) يسأل (مشيرة) :

- هل يمكنك وصفه أكثر ؟! هل يمكنك وصف ملامحه ؟!

بدت مذعورة مرتاعة ، على نحو مثير للشفقة ، وهى تهز رأسها ، قائلة :

- لا .. لا .. لست أريد هذا .

مال (نور) نحوها ، وهو يقول فى حزم :

- حاولى يا (مشيرة) .. حاولى .. أنا أيضًا رأيت ذلك الوغد ، ولكننى لم أحظ بالفترة الكافية ، لوصفه على نحو دقيق ، أو لتحديد ملامحه .. كان جسده غارقًا فى ظلام عجيب ، كما لو أن الضوء يأتى من خلفه ، فيبدو كظل مخيف .

هتفت فى ارتياع :

- نعم .. نعم .. كان كذلك ..

سألها فى سرعة :

- وهل اتضحت ملامحه بعدها ؟!

تضاعف الذعر والفزع فى وجهها وملامحها ، فصاح (أكرم) فى غضب :

- (نور) .. (مشيرة) استعادت وعيها على الفور ، وهاأنتذا تضغط على أعصابها بشدة ، دون رحمة أو شفقة ..

أجابه (نور) فى صرامة :

- ألا يمكنك أن تدرك خطورة ما نواجهه يا (أكرم) ؟! ألا يمكنك أن تتخلّى لحظة عن ارتياعك الشديد ، على مشاعر زوجتك المرهفة ، وتفكّر فى الصالح العام للعالم أجمع ؟! ألا تدرك لماذا دفع ذلك الوغد رئيس طاقم أمن (أنباء الفيديو) إلى قتل نفسه ، بهذه الوسيلة البشعة ؟! لقد فعلها ليمحو من خلفه كل دليل على وجوده .. على هويته ، التى قد تقودنا إليه .. وأراهن على أن المصير نفسه كان ينتظرنا ، (مشيرة) وأنا ، لولا أن أجبره شىء ما ، على التخلّى عنا ، وإبعاد سيطرته عن عقلينا .

امتقع وجهها ، وهى تتعلّق بذراع زوجها ، مردّدة :

- يا إلهى ! يا إلهى !

ثم تفجّرت الدموع من عينيها ، وهى تضيف فى رعب :

- لو أنه يعلم أن لدينا دليلاً ضده ، فلن يتركنا حتمًا على قيد الحياة يا (نور) .

هتف (أكرم) ، محاولاً تهدئتها :

- لا يا عزيزتى .. لا تتصوّرى أن ..

ولكن (نور) قاطعه ، فى حزم وصرامة :

- هذا صحيح يا (مشيرة) .

اتسعت عيناها ، بكل رعب الدنيا فتابع فى سرعة :

- والأمل الوحيد ، فى نجاتنا منه ، هو أن نتوصّل إليه ، قبل أن يتوصّل هو إلينا .

هتف (أكرم) فى حدة :

- (نور) .. كفى .. أرجوك .

ولكن (نور) واصل فى إصرار :

- من الواضح أن سيطرته على عقولنا ، تحتاج إلى حدوث نوع من الاتصال العقلى الفائق ، بيننا وبينه ، مما يتيح لعقولنا النفاذ إلى جزء من عقله .. جزء يتيح لنا معرفة الشىء اليسير عنه ، وكلما زادت فترة سيطرته على عقولنا ، تضاعفت مساحة ذلك الجزء ، الذى ينكشف لنا .

قالت (مشيرة) فى ذعر :

ـ ولكنه كان غارقًا فى الظلام دومًا .

هزّ رأسه ، قائلاً :

ـ نظريتى تقول إنه ليس ظلامًا فعليًا يا (مشيرة) .. إنها قدرته العقلية ، على إحاطة هويته بظلام عقلى فائق ، وهذا الظلام ينكشف رويدًا رويدًا ، كلما طالت فترة الاتصال والسيطرة ، حتى تأتى لحظة ، تصبح فيها ملامحه متاحة ، على نحو كاف .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ لذا فهو يسعى لمحو الضحية ، التى بلغت هذا الحد من التوغّل ، فى ثنايا عقله الفائق .

شحب وجه (مشيرة) أكثر ، وهى تردّد :

ـ يا إلهى ؟ يا إلهى !

وانعقد حاجبا (أكرم) ، فى غضب بالغ ، إلا أن هذا لم يوقف (نور) ، الذى تابع فى صرامة قاسية ، تخالف طبيعته المعتادة :

ـ عقلك رآه يا (مشيرة) .. حاولى ، وسيمكنك وصفه لنا .

ومال نحوها أكثر ، وهو يكرّر :

ـ أنت أملنا الوحيد .

حدّقت فى وجه (نور) بذعر أكثر ، جعل (أكرم) يقول فى حدة :

ـ اسمعى يا (مشيرة) .. لو أنك لا ..

قاطعته بإشارة من يدها ، فأطبق شفتيه فى توتر ، فى حين تطلّع إليها (نور) فى اهتمام ، وقد أدرك أنها تعتصر ذهنها بالفعل ، محاولة استعادة ملامح خصمهم القاسى الرهيب ..

ولقد بذلت هى جهدًا خارقًا بحق ..

واعتصرت ذهنها ..

اعتصرته بكل قوتها ..

وكل إرادتها ..

اعتصرته ..

واعتصرته ..

واعتصرته ..

وفى بطء ، راح الظلام ينقشع ، من ملامح ذلك الخصم ..

وراحت ملامحه تتضح ..

وتتضح ..

وتتضح ..

وخفق قلب (مشيرة) ..

خفق بمنتهى العنف ..

واعتصرت مخها أكثر وأكثر ، و...

وفجأة بدت تلك الملامح الرهيبة واضحة ..

وانتفض جسد (مشيرة) بمنتهى العنف والارتياع ..

واتسعت عيناها عن آخرهما ..

ثم انطلقت من حلقها صرخة رعب هائلة ..

صرخة ، ارتجت لها هليكوبتر الإسعاف كلها ، قبل أن تهوى هى بين ذراعى زوجها (أكرم) مرة أخرى ، فاقدة الوعى ..

فما رأته عبر ثنايا عقلها ، كان مشهدًا رهيبًا ..

رهيبًا إلى أقصى حد ممكن .

* * *



٩ ـ الخصم ..

« لقد خدعتنى .. » ..

نطقها ذلك الراهب البوذى الأصلع النحيل ، وهو يجلس على مقعده ، داخل المعبد العريق ، على جبال (التبت) ، فى أحد الأيام المتقدّمة ، فى القرن الحادى والعشرين ، وحمل صوته رنة غضب غير مألوفة ، وهو يضيف :

ـ صنعت بقدرتك الفائقة أسوارًا مظلمة حول عقلك ؛ لتمنعنى من كشف نواياك الحقيقية ، ورحت تنهل من العلم والمعرفة ، فى نهم لم أر مثيلاً له قط ، حتى نمت موهبتك ، وتطوّرت قواك العقلية ، إلى حد لم أشهد مثله من قبل ، ولم تسجّله حتى وثائق الأوائل .

وصمت بضع لحظات ، قبل أن يستطرد :

ـ وكل هذا لخدمة نواياك وأغراضك الشريرة .

شدّ الرجل قامته فى اعتدال ، وهو يقول :

ـ أليس هذا دليلاً على تفوقى وبراعتى ؟!

أجابه الراهب فى سرعة :

ـ فى مجال الشر وحده .

ابتسم الرجل فى سخرية ، قائلاً :

ـ لا فارق أيها المأفون .. التفوّق هو التفوّق ، والحياة لها قانون واحد قانون القوة .. إما أن تسيطر عليهم ، أو يسيطروا هم عليك .

قال الراهب فى حزم :

ـ قانون حقير .

هتف الرجل ، وهو يلوّح بقبضته :

ـ ولكنه القانون السائد .

وتألّقت عيناه على نحو مخيف ، وهو يضيف :

- عندما كنت ضعيفًا ، غير قادر على مواجهتهم ، فعلوا بى الكثير .. أهانونى أذلوا ناصيتى .. حقّروا من شأنى ، وفى النهاية ، وعندما عجزوا عن فهم واستيعاب قدراتى العقلية المتطورة ، اتهمونى بالجنون .

قال الراهب فى بطء :

- لم يكونوا مخطئين .

التقى حاجبا الرجل فى غضب ، وهو يقول :

- أهذا رأيك ؟!

قال الراهب فى رصانة :

- ما من شخص عاقل ، فى الوجود كله ، يمكن أن يبذل كل هذا الجهد ، ويقضى عقدين من الزمان ، فى تدريب مستمر ، محتملاً كل هذه المشاق ، لمجرد الانتقام من بضعة أشخاص ، أساءوا فهمه يومًا .

هتف الرجل :

- بضعة أشخاص ؟! يا لك من غرّ ساذج !

ثم عاد يلوّح بقبضته ، مضيفًا :

- إننى سأنتقم من البشرية كلها .

صمت الراهب لحظة ، قبل أن يقول :

- أنت مجنون حتمًا .

صاح الرجل :

- سأكون مجنونًا حقًا ، لو لم أفعل هذا .. سأهزمهم جميعًا ، وأدحر إرادتهم وغرورهم ، وأسحق سيادتهم على عقولهم .. كلهم سيصبحون رهن إشارتى ..

وشد قامته أكثر ، وهو يرفع ذراعيه عاليًا ، ويصرخ :

- سأصبح السيد ، ويصبحون هم العبيد .. عبيدى .

قالها ، وانطلقت ضحكته الشيطانية الشريرة ترجّ المكان كله ، على نحو انعقد له حاجبا الراهب النحيل ، الذى قال فى حزم :

ـ لا يمكننى أن أسمح لك بالخروج من هنا ، لتنفيذ مخططك الشرير هذا .

تألقت عينا الرجل ، وهو يقول فى صرامة :

ـ حاول أن تمنعنى .

اعتدل الراهب فى مجلسه ، وتطلّع إلى عينيه مباشرة ..

وتوقّف الرجل ، وهو يتطلّع إلى عينيه بدوره ..

ولثوان ، تجمّد المشهد كله ، وكأنما استحال الاثنان إلى تمثالين من الرخام ، أكثر صلابة من تمثال (بوذا)(*) ، الذى يحتلّ صدارة المعبد ..

ثم فجأة ، راح جسد الراهب ينتفض ..

(*) بوذا : (٥٦٤ ـ ٤٨٣ ق . م) : زعيم دينى هندى ، ينحدر من أسرة عريقة ، من طبقة الكشاتريا ، سرعان ما نبذ حياة الترف ، وعاش ناسكًا زاهدًا ، ووضع مجموعة من المبادئ ، أطلق عليها اسم (رسالة التنوير الكبرى) ، أما اسمه نفسه (بوذا) فيعنى (المتنوّر) .

ومن عينيه ، أطلّ ذعر عجيب ، وهو يرفع يديه إلى رأسه ، هاتفًا :

ـ مستحيل !

وانتفض جسده فى قوة أكثر ، وعنف أشدّ ، واتسعت عيناه فى ألم رهيب ..

ثم تفجّرت الدماء من أنفه بغتة ، وراحت تغمر وجهه كله ، وقد أغلق عينيه ، وصرخ بكل قوته ، مكررًا :

ـ مستحيل !

بعدها انتفض جسده بمنتهى العنف ، وتفجّرت الدماء فى غزارة ، من أنفه وفمه ، قبل أن يطلق شهقة قوية ، ثم يهوى من مقعده ، ويرتطم بالأرض جثة هامدة ..

تألقت عينا الرجل فى ظفر ، وهو يمسح خيطًا رفيعًا من الدم ، سال من أحد فتحتى أنفه ، قائلاً :

ـ هذا يثبت أننى الأكثر قوة .

وانحنى فى بطء ، يلتقط جعبة صغيرة ، ثم اتجه نحو مخرج المعبد ، وخرج إلى جبال (التبت) ، التى يكسوها جليد كثيف ..

وكان هذا يعنى أنها البداية ..

بداية الرحلة ..

رحلة الانتقام الرهيبة ..

ولقد استعاد عقله هذا الموقف ، الذى ختم به مرحلة تدريبه الطويلة فى جبال (التبت) ، وهو يجلس القرفصاء ، فى مكمنه السرى ، فى (القاهرة) الجديدة ..

المدينة التى اختارها ، كنقطة انطلاق لرحلة انتقامه ..

ولقد حقَّق الخطوة الأولى من خطته ..

وكاد يحقِّق انتصارًا ساحقًا ..

لولا ما حدث ..

لولا أن بدءوا عملية تتبُّع موجات عقله الفائقة ..

ولو أنهم نجحوا فى هذا ، لأفسدوا خطته كلها ، وحرموه من رغبته الطويلة فى الانتقام ، من الجنس البشرى كله ..

وهذا يعنى حتمية أن يفشل أسلوبهم ..

وبأى ثمن ..

أى ثمن ..

فى نفس اللحظة ، التى دارت فيها هذه الفكرة فى ذهنه ، كانت (نشوى) تشير إلى الموجة الثانية ، التى يستقبلها جهاز رصد الترددات متناهية الصغر ، وهى تقول فى حزم :

- الشىء الوحيد المؤكَّد ، هو أن هذه الموجة منتظمة تمامًا ، وذات إيقاع مدروس ، أشبه بإشارات الاستغاثة ، التى ترسلها السفن ، إذا ما شارفت على الغرق .

سألها رئيس فريق العلماء ، فى دهشة متوترة :

- أتعنين أن أجهزتنا قد التقطت ، بالمصادفة البحتة ، استغاثة غريبة ، يتم بثها عبر موجات متناهية القصر ؟!

هتف عالم الاتصالات فى انبهار :

- أهى سفينة فضائية ، من عالم آخر ، تعانى من ورطة ما ، فى مجالنا الفضائى ؟!

أجابته (سلوى) فى حزم :

- لا تتسرَّع باستنتاج مبالغ كهذا .

تبادل العالم نظرة متوترة مع رئيسه ، قبل أن يقول الأخير ، فى شىء من العصبية :

- ربما بدا الاستنتاج مبالغًا يا سيِّدتى ، ولكنه قد يكون التفسير المنطقى الوحيد ، لمثل هذه الموجة ؛ فلو أنها بالفعل استغاثة ما ، فأية جهة تلك ، على الأرض كلها ، التى يمكن أن تبث إشارة استغاثة ، بموجة لا يمكن علميًّا أن يستقبلها أحد .

اندفع العالم يقول فى انفعال :

- هذا بالضبط ما قصدته .. لو أنها إشارة استغاثة ، تستخدم موجة متناهية الصغر ، فهى حتمًا ليست موجَّهة إلينا ، وإنما استقبلتها أجهزتنا مصادفة ، وهى تبث إلى عالم آخر ، من سفينة فضاء مجهولة .

التقى حاجبا (سلوى) ، وهى تحاول استيعاب هذا الاحتمال الجديد ، الذى بدا لها منطقيًّا ، على الرغم من غرابته ، فى حين هزَّت (نشوى) رأسها ، مغمغمة :

- احتمال عجيب ، ولكنه يستحق الدراسة .

ثم اعتدلت ، وأوصلت جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، بذلك الجهاز المتطوِّر الجديد ، متابعة فى حزم :

- سأنقل الإشارة إلى جهازى ، وأحاول تنقيتها ، وإزالة كل الشوائب منها ، لعلها تفصح عن نفسها .

هتف عالم الاتصالات فى انبهار :

- هل يمكنك هذا حقًّا ؟!

أجابه رئيس الفريق فى صرامة :

- بالطبع يمكنها هذا يا رجل .. ألا تدرك كم تبلغ عبقريتها .

ابتسمت (سلوى) ، وهى تمسح بيدها على شعر ابنتها الطويل فى زهو وفخر ، فى حين تخضب وجه (نشوى) بحمرة الخجل ، وهى تقول فى صرامة متوترة :

- دعونا نركز كل جهودنا على ما نفعله فحسب .

اعتدلت (سلوى) ، وشاركت الرجلين اهتمامهما ، بما يظهر على شاشة كمبيوتر (نشوى) ، التى راحت أصابعها تجرى على أزراره فى سرعة ، مستخدمة برنامجًا رقميًا جديدًا ، من ابتكارها شخصيًا ..

ورويدًا رويدًا ، راحت الموجة تصفو بالتدريج ، حتى أصبحت تصنع عدة منحنيات منتظمة ، جعلت (سلوى) تهتف فى انبهار :

- يا إلهى ! إنها استغاثة شفهية .

تراجع خبير الاتصالات بحركة حادة ، هاتفًا :

- هذا صحيح .

أما رئيس فريق البحث ، فقد تساءل فى دهشة بالغة :

- شفهية ؟! أتعنين أن مخلوقًا ما ، يمكنه أن يطلق من بين شفتيه ، ومن أعماق حلقه استغاثة كهذه ، عبر موجات متناهية القصر ؟! هذا مستحيل يا سيدتى ! مستحيل تمامًا !

أجابته (نشوى) فى حزم :

- كون الموجات متناهية القصر ، ربما يعود إلى المكان الذى تنطلق منه الاستغاثة ، وليس إلى ماهية أو قدرات صاحبها .

هتف بها :

- مكان مثل ماذا ؟!

تقافزت أصابعها مرة أخرى ، على أزرار الكمبيوتر ، وهى تقول :

ـ دعنا نعرف فحوى الاستغاثة أولاً ، فربما يكشف هذا كل شىء .

انطلق برنامجها الخاص المتطور ، يعمل على تحويل تلك الموجة متناهية القصر ، إلى موجات صوتية مسموعة ، والجميع يتابعون شاشة الكمبيوتر فى لهفة ، حتى ضغطت (نشوى) زرًا أخيرًا ، وهى تقول فى انفعال :

ـ ها هى ذى .

فور ضغطتها الأخيرة ، انبعث صوت آدمى واضح ، عبر مسماعى جهاز الكمبيوتر ، يقول بالعربية :

ـ إنه أنا يا رفاق .. إنه أنا .

وانتفضت كل ذرة فى كيان (سلوى) وهى تقبض على ذراع ابنتها الذاهلة ، هاتفة :

ـ يا إلهى ! مستحيل !

واتسعت عينا (نشوى) عن آخرهما ..

فما سمعه الجميع ، كان أمرًا مذهلاً .

بكل مقاييس الدنيا .

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله
وبليه الجزء الثانى بإذن الله
(العقـل)

بلا جسد

- هل يمكن أن يرتكب مخلوق ما جريمة، دون أن يستخدم جسده قط ؟!
- ما الذي يمكن أن تصل إليه قوة العقل البشري، لو بلغت حدها الأقصى ؟!
- ترى هل ينجح (نور) وفريقه في درء الخطر، وفي مواجهة مجرم (بلا جسد) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (نور) وفريقه.. من أجل الحق..



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

143



العدد القادم (العقل)



روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جدا !!

د. نبيل فاروق

العقل

144



Looloo
www.dvd4arab.com

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرّية مطلقة ، من أجل حماية التقدّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ استغاثة ..

ارتفع هدير هليكوبتر الإسعاف الخاصة ، التى تحمل شعار رئاسة الجمهورية ، وهى تتجه مباشرة نحو المستشفى العسكرى ، عند أطراف (القاهرة الجديدة) ، وقادها الطيّار فى سرعة ومهارة ، نحو المهبط الخاص ، فى الساحة الخلفية للمستشفى ، وقبل حتى أن يهبط ، فى المكان المخصّص له ، كان رجال الطوارئ يسرعون نحو الهليكوبتر ، رافعين أمامهم محفة خاصة ، تتصل بها كل نظم ووسائل الإسعاف العاجل ..

وفور استقرار الهليكوبتر على الأرض ، وثب منها (أكرم) ، رجل المخابرات العلمية ، وعضو فريق المقدّم (نور) المتميّز ، وهو يهتف فى عصبية :

ـ أسرعوا بالله عليكم .. أسرعوا .. زوجتى (مشيرة) بحاجة إلى إسعاف عاجل .

لم تكن عبارته قد اكتملت بعد ، عندما بدأ الرجال عملهم بالفعل ، وهتف الطبيب المسئول ، وهو يربّت على كتف (أكرم) :

ـ اطمئن يا سيّدى .. لقد تلقينا البلاغ لاسلكيًا ، وكل شىء معدّ لاستقبال زوجتك وإسعافها .. اطمئن .

مع كلماته ، كان المسعفون قد نقلوا جسد (مشيرة) إلى محفتهم بالفعل ، وأوصلوا جسدها بكل وسائل الإسعاف والعناية ، قبل أن يندفعوا بها إلى الداخل ، فاندفع (أكرم) خلفها ، وهو يهتف فى انفعال :

ـ رباه .. ساعدها على تجاوز هذه المحنة .

تطلّع إليه الطبيب فى دهشة ، وهزّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ عجبًا ! لم أر زوجًا أشدّ انزعاجًا على زوجته ، مثل هذا الرجل !! يبدو أنه يحبها بحق .

سرت فى جسده ارتجافة ، عندما سمع صوتًا حازمًا ، يقول من خلفه :

ـ أكثر مما تتصوَّر .

استدار الطبيب فى سرعة إلى مصدر الصوت ، قبل أن يهتف فى انبهار :

ـ سيادة الرائد (نور) ، بطل التحرير(*) !!

أجابه (نور) فى هدوء ، لا يخلو من الحزم :

ـ مقدّم أيها الطبيب .. رتبتى الآن هى مقدّم .

ارتبك الطبيب ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ معذرة يا سيادة المقدّم .. لقد اعتدنا ذلك اللقب ، الذى كنت تحمله أيامها .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ كل شىء يتطوَّر مع الزمن .

(*) راجع قصة (النصر) ... المغامرة رقم (٨٠) .

همَّ الطبيب بقول شيء آخر ، ولكن (نور) استوقفه ، قائلاً في صرامة :

ـ أرجو أن يتم إسعاف السيِّدة (مشيرة) ، بمنتهى السرعة والدقَّة .

انتبه الطبيب إلى الأمر ، فانتفض قائلاً :

ـ بالتأكيد يا سيادة المقدَّم .. بالتأكيد .

ثم تابع في اهتمام ، وهو يعدِّل معطفه ، ويهمّ بالإسراع خلف المسعفين :

ـ ألديك فكرة عما عانته السيِّدة ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يجيب :

ـ الكثير .. الكثير جداً .

نطقها ، وعقله يسبح بعيداً ، وسط بحر من الذكريات .

ذكريات البداية ..

بداية تلك الأحداث الرهيبة ..

كان يجهل تماماً كيف نشأ كل هذا ، في معبد بوذي قديم ، في قلب جبال (التبت) ..

كيف قضى ذلك المجهول عقدين من الزمن ، في قلب ذلك المعبد ؛ لتنمية قواه العقلية المتطوِّرة ، والقفز بها إلى درجات لم يبلغها بشرى من قبل ..

وبالصبر ، والإرادة ، بلغ ما أراد ..

بلغ مرحلة مذهلة ، من قدرة عقله على السيطرة التامة ، على عقول الآخرين ..

ليس عقولهم فحسب ، بل وكل ما حولهم أيضاً ..

وما يعرفه (نور) ، يبدأ منذ لحظة الاختبار ..

منذ أعلن ذلك المجهول عن وجوده ، من خلال تهديد زائف ، لرجل الأعمال الشهير (شريف صابر) ، الذي طالبه بمليار جنيه دفعة واحدة ، مقابل أن يبقى على حياته ..

فعلها ، وهو يدرك أن الرجل لن يستجيب ..

ولن يخضع له أبدًا ..

ولكنه سيبلغ الشرطة ..

بل وسيبلغ كل وسائل الإعلام أيضًا ..

وهذا بالضبط ما كان يريده هو ..

الانتشار ..

أن يدرك العالم كله وجوده ..

وعلى أوسع نطاق ممكن ..

وأمام عيون رجال الشرطة ، وعدسات (أنباء الفيديو) ، سيطر تمامًا على عقل رجل الأعمال الشهير ، ودفعه إلى إلقاء نفسه عبر النافذة ..

بلا أدنى رحمة أو شفقة ..

وعلى الرغم من محاولة (نور) وفريقه المستميتة ؛ لمنع بث ذلك الفيلم عالميًا ، وعلى الرغم من إيقاف كل آلات البث عن العمل ، تم عرض الفيلم ..

وكانت مفاجأة مذهلة ..

وانتصارًا ساحقًا لذلك العقل الجبار ..

العقل الشرير ..

إلى أقصى حد ..

وبدأ (نور) ورفاقه عملية بحث وتحقيق واسعة ..

بدءوا في إعادة فحص كل شيء ..

كل شيء بلا استثناء ..

وهنا ، انتقل صاحب ذلك العقل إلى الخطوة التالية ..

والضربة التالية ..

فجأة ، وبلا سابق إنذار ، تحوّل رئيس طاقم أمن (أنباء الفيديو) إلى أداة رهيبة ، تحت سيطرة المجهول ، صاحب العقل الرهيب ..

وكانت مواجهة عنيفة ..

عنيفة للغاية ..

مواجهة ، لم تحسم ، إلا بعد أن وقع عقل (مشيرة) أيضًا ، تحت السيطرة نفسها ..

وبانتحار رئيس طاقم الأمن ، أصبح على (أكرم) أن يواجه أصعب خصم فى الوجود كله ..

زوجته (مشيرة) ..

فى نفس الوقت ، كانت (سلوى) و(نشوى) تبذلان قصارى جهدهما ، لتتبُّع وتفسير موجات شبه مخية ، متناهية الصغر ، ثم التقاطها بوساطة جهاز جديد شديد التطوّر ، فى إدارة الأبحاث ، التابعة للمخابرات العلمية المصرية ..

وتأكَّدت (نشوى) من أنها موجات مخية بالفعل ..

موجات مخية فائقة للغاية ..

وكانت هناك موجة أخرى ..

موجة غامضة ، مجهولة ، غير مميَّزة ..

وكانت (نشوى) واثقة ، من أن تلك الموجة تحمل لغزًا ..

لغزًا مدهشًا ..

للغاية ..

وفى نفس الوقت ، الذى أدرك فيه ذلك العقل ، أن (سلوى) قد نجحت فى تتبُّع موجاته العقلية وتعقبها ، وأوشكت أن تحدِّد مكانه ، وتوقَّف تمامًا عن استخدام قوته ، حتى يمنعها من هذا ، استعادت (مشيرة) سيطرتها على عقلها ، وأدركت ما فعلته ، وهوت فاقدة الوعى ، من شدة الذعر ..

أما (رمزى) ، فقد توصَّل بالفعل إلى اسم ذلك المجهول ، الذى محا كل بياناته المسجَّلة تمامًا ، ثم أشعل بقدراته العقلية الفائقة النار فى المكان ..

وكاد (رمزى) يلقى مصرعه ..

حتى أوقف المجهول قواه العقلية ..

وسقط (رمزى) ، من وطأة الدخان الكثيف ..

أما (سلوى) ، و(نشوى) ، فقد نجحتا فى كشف طبيعة تلك الموجة المجهولة ..

ووجدنا أمامهما مفاجأة ..

مفاجأة مذهلة ..

بكل المقاييس(*) ..

* * *

فرك (أكرم) كفيه فى عصبية بالغة، وهو يتحرك أمام حجرة إسعافات الطوارئ، قائلاً :

- يا إلهى ! لو أصابها أدنى مكروه، لن أغفر لنفسى أبدًا .

ثم استدار إلى (نور)، مستطردًا فى غضب :

- ولن أغفر لك أيضًا يا (نور) .

شد (نور) قامته، وهو يقول فى حزم :

- اهدأ وتماسك يا (أكرم) .. زوجتك بخير، وكل ما تعانيه مجرد انفعال طارئ، وصدمة عصبية محدودة، سرعان ما تتعافى منها .

(*) لمزيد من التفاصيل، راجع الجزء الأول (بلا جسد) ... المغامرة رقم (١٤٢) .

صاح (أكرم) فى غضب :

- أنت المسئول يا (نور) .. أنت واصلت الضغط على أعصابها، حتى لم تعد ..

قاطعه (نور) فجأة، فى صرامة شديدة :

- اصمت .

حدق (أكرم) فى وجهه بدهشة، اتسعت لها عيناه، على نحو عجيب، وعجزت معها الكلمات عن تجاوز حلقه وشفتيه، و(نور) يتابع، بنفس الصرامة القاسية :

- لا تنس أبدًا أننا هنا داخل مستشفى، وزوجتك ليست المريضة الوحيدة فيه، والآخرون لهم الحق فى الهدوء والراحة .

ثم مال نحوه، وتطلع إلى عينيه مباشرة، مستطردًا بنفس اللهجة :

- أضف إلى هذا أننا فى قلب واحدة من أكثر عملياتنا خطورة، وأن مصير العالم كله ربما يتوقف على

ما سنحققه فيها ، ولايحق لنا ، والحال هكذا ، أن ننشغل بأمورنا الشخصية ، عن صالح الدنيا كلها ، مهما بلغت خطورة تلك الأمور .

انفرجت شفتا (أكرم) ، الذى بدا مصعوقًا ، وبدا لبضع لحظات أنه سينطق شيئًا ما ، إلا أنه لم يلبث أن خفض عينيه أرضًا ، وراح يلهث لبضع لحظات أخرى ، وكأنما يحاول السيطرة على أعصابه ، قبل أن يغمغم :

- هذا بديل للصفعة .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يتساءل ، فى حذر لم يدر سببه :

- بديل لماذا ؟!

رفع (أكرم) عينيه إليه ، مجيبًا :

- بديل لتلك الصفعة التقليدية ، التى يهوى بها الطبيب النفسى ، على وجه المصاب بالانهيار العصبى ؛ لإخراجه من حالته .. أنت الآن استخدمت معى عبارات

قاسية صارمة مفاجئة ؛ لتؤدى الغرض نفسه .. أليس كذلك ؟!

صمت (نور) لحظة ، وهو يتطلّع إليه ، قبل أن يبتسم ، قائلاً :

- هل كنت تفضّل أن أصفعك ؟!

ابتسم (أكرم) بدوره ، وهو يربّت على كتفه ، قائلاً :

- أظننى كنت سألكمك لحظتها يا (نور) .

أطلق كلاهما ضحكة قصيرة ، قبل أن يجلس (أكرم) على مقعد مجاور ، ويهزّ رأسه ، قائلاً فى أسى :

- إننى أحبها كثيرًا يا (نور) .

ربّت (نور) على كتفه بدوره ، وجلس إلى جواره ، قائلاً :

- أعلم هذا يا (أكرم) ... أعلم هذا يا صديقى .

وصمت لحظة ، ثم عاد يلتفت إليه ، متابعًا فى اهتمام :

- (مشيرة) لديها مفتاح ذلك اللغز الرهيب ، الذى نواجهه جميعًا يا (أكرم) .. إنها وحدها رأت خصمنا فى عقلها .

غمغم (أكرم) :

- ولقد أصابها هذا بصدمة عنيفة .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يعتدل فى مجلسه ، قائلاً :

- هناك سبب منطقى لهذا حتمًا .

استعاد (أكرم) عصبيته ، وهو يقول :

- وهل سندفعها إلى الانتحار ، حتى نعرف هذا السبب ؟!

ازداد انعقاد حاجبى (نور) بعض الوقت ، قبل أن يهبّ من مقعده فجأة ، قائلاً فى صرامة عجيبة :

- اسمع يا (أكرم) .. لابد أن نتدخل الآن .. لاينبغى أن تستعيد (مشيرة) وعيها .

اتسعت عينا (أكرم) فى دهشة ، وهو يهب واقفًا بدوره ، ويهتف مستنكرًا :

- لا ينبغى أن تستعيد وعيها ؟! أى قول هذا يا (نور) ؟!

أمسك (نور) كتفيه فى قوة ، قائلاً :

- اسمعنى جيدًا يا (أكرم) .. حديثك عن الانتحار نبهنى إلى أمر بالغ الخطورة .. (مشيرة) هى الشاهد الوحيد لدينا ، وطرف الخيط الأمثل ، للوصول إلى خصمنا المجهول ، وهو يعلم هذا بالتأكيد ، ولن يتجاوز عنه قط ؛ لإدراكه أن كل ما نحتاج إليه ، هو طرف الخيط هذا ، ليقودنا إليه مباشرة ، ولست أدرى ما إذا كنت على حق أم لا ، ولكننى أعتقد أن بقاء (مشيرة) فى حالة الغيبوبة هذه ، يمنعه من السيطرة على عقلها ، ومنعها من الانتحار بأية وسيلة .

عادت عينا (أكرم) تتسعان فى ارتياع ، وهو يهتف :

- رباه ! حديثك يبدو منطقيًا يا (نور) .

ثم استدار إلى باب حجرة إسعافات الطوارئ ، مستطردًا فى توتر بالغ :

- لابد وأن تظل (مشيرة) فاقدة الوعى ، مهما كان الثمن .

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً :

- بالضبط .. وفى سبيل هذا ، ينبغى أن ...

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع أزيز جهاز الاتصال الخاص به بغتة ، فرفعه إلى شفتيه بحركة سريعة ، وضغط زر الاتصال ، قائلاً فى اهتمام متوتر :

- هل من جديد يا (سلوى) ؟!

أجابته زوجته فى سرعة ، وبانفعال ملحوظ :

- (نور) .. ذلك الشخص كشف محاولتنا لتتبُّع موجاته العقلية الفائقة ، وأوقفها على الفور .

سألها (نور) فى اهتمام :

- ومتى حدث هذا بالضبط ؟!

أجابته :

- منذ عشرين دقيقة تقريبًا يا (نور) .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

- يا إلهى ! هذا يفسر كل شىء .

سألته فى توتر :

- ما الذى يفسره يا (نور) ؟!

لم يجب تساؤلها ، وإنما سألها فى شىء من الحدة :

- ما دام هذا قد حدث منذ عشرين دقيقة ، فلماذا لم يتم إبلاغى به فورًا .

ازدردت لعابها فى توتر ، قبل أن تجيب :

- لقد انشغلنا بشدة ، فى الموجة الثانية يا (نور) .

سألها ، وقد أدرك أهمية الأمر ، فى لهجتها المتوترة :

- ماذا عنها ؟!

أجابت فى سرعة عجيبة :

- (نشوى) نجحت فى تنقيتها ، وفى تحويلها إلى موجة صوتية عادية ، لنكشف أنها استغاثة يا (نور) .

هتف بكل دهشة :

- استغاثة ؟!

قالت بنفس السرعة :

- نعم يا (نور) .. استغاثة .. استغاثة من عالم بعيد عن عالمنا ، ولكنه يشاركنا الحدود نفسها .

هتف بها فى توتر :

- هل تعتقدين أن الأمر يحتمل ألغازًا إضافية ؟!

أجابت فى انفعال :

ليس لغزًا يا (نور) ، بل مفاجأة .. مفاجأة مذهلة !

كاد حاجباه يلتحمان ، وهو يهتف :

- مفاجأة مذهلة ؟! ماذا تعنين بالضبط يا (سلوى) ؟!

أجابت بانفعال جارف :

- قلت لك : إن (نشوى) قد نجحت فى تحويل الموجة متناهية الصغر ، إلى موجة مسموعة ، ولقد ميَّزنا صوت صاحبها يا (نور) .. إنه .. إنه ..

غلبها انفعالها لحظة ، قبل أن تهتف :

- إنه (محمود) يا (نور) .. زميلنا (محمود)(*)

وانتفضت كل ذرة فى كيان (نور) ..

كل ذرة ..

* * *

لقد كشفوا أمره ..

عقله الجبار أدرك هذا ؛ عندما التقط موجاتهم متناهية القصر ..

ولقد أدهشه هذا حقًا ..

فوفقًا لآخر وأحدث معلوماته العلمية ، لا توجد وسيلة واحدة ، لالتقاط موجات عقله الفائقة ..

(*) راجع قصة (الزمن - صفر) ... المغامرة رقم (١٠٠) .

أو لم تكن توجد ..

وما حدث يثبت أن العالم يتطوَّر ..

وبمنتهى السرعة ..

والآن عليه أن يتخذ قرارًا حاسمًا ..

ما التقطه عقله ، يؤكِّد أنهم يستخدمون وسيلة متطوِّرة للغاية ، وأن باستطاعتهم التوصُّل إلى موقعه ، خلال أربعين ثانية فحسب ..

ثم إن هذه المهلة ستبدأ ، فور استخدامه لقواه العقلية ..

ولو أنه عجز عن استخدامها ، فسيعنى هذا أن خطة انتقامه من البشرية كلها قد فشلت وانهارت ..

وهو لن يسمح بهذا أبدًا ..

مهما كان الثمن ..

وفى صمت شديد ، وهو يجلس القرفصاء ، كتمثال جامد جاف ، راح عقله الجبار يدرس الموقف كله ..

أربعون ثانية ، هى كل زمن القتال المتاح ..

القتال بين تكنولوجيتهم المتطوِّرة ..

وعقله ..

فقط عقله ..

وعلى نحو مخيف ، تألَّقت عيناه ..

إنه تحد جديد ..

تحد يفوق المعتاد ..

ولكنه يروق له ..

فالانتصار هذه المرة سيعنى الكثير ..

الكثير جدًا ..

الانتصار على تكنولوجيتهم سيثبت قوته ..

وخطورته ..

سيحطِّم روحهم المعنوية ..

وإرادتهم ..

ومقاومتهم ..

لذا ، فلابد له من أن يضرب ضربته ..

الآن ..

وبمنتهى العنف ..

خلال أقل من أربعين ثانية ..

ولدقيقة كاملة ، ظلّ جامدًا صامتًا ، وكأنما يعدّ عقله وطاقاته ..

ثم انطلق ..

انطلق بأقوى وأخطر أسلحته ..

العقل ..

* * *

« كيف استقبل أبى الخبر يا أماه ؟! »

ألقت (نشوى) سؤالها فى اهتمام ، فلوّحت (سلوى) بيدها ، قائلة فى توتر واضح :

ـ أعتقد أنه من الأفضل أن نفتح كل الأبواب فى طريقه ، فالوسيلة التى أنهى بها المحادثة ، توحى بأنه سيقتحم المكان كالصاروخ ، خلال دقيقة واحدة .

غمغم رئيس فريق العلماء فى دهشة :

ـ إلى هذا الحد ؟!

أجابته (نشوى) فى انفعال :

ـ لن يمكنك أن تتصورَ أبدًا كم يعنيه هذا بالنسبة لنا .. لقد فقدنا (محمود) هذا فى نهر الزمن ، منذ بضعة أعوام ، وعلمنا بعدها أنه ما زال حيًّا ، داخل الفراغ الزمنى العام .(*)

اتسعت عينا عالم الاتصالات ، وهو يقول فى انبهار :

ـ نهر الزمن ؟! الفراغ الزمنى العام ؟! رباه ! إنك تتحدثين بمنتهى البساطة يا سيّدتى ، عن أمور يجاهد فريقنا كله لفهمها ، وإيجاد المعادلات والنظريات الخاصة بها .

أجابته فى حزم :

ـ ربما لأننى عشتها بنفسى يا سيّدى .

(*) راجع قصة (الغائبون) ... المغامرة رقم (١٤٢)

أشار بأصابعه، قائلاً:

- ربما هذا ما يبهر أكثر يا سيدتى.

ثم التفت إلى رئيس الفريق، متابعًا فى حماسة:

- وأظنه مبررًا كافيًا؛ لانضمامك إلينا رسميًا، فى أبحاثنا الزمنية هذه.

انعقد حاجباها، وهى تقول:

- ربما فيما بعد.

أجابها رئيس الفريق فى سرعة:

- أنت دومًا على الرحب والسعة يا سيدة (نشوى).

تنهدت مغمغمة:

- أنا واثقة من هذا.

ثم أضافت فى اهتمام:

- ولكننى الآن منشغلة بأمر آخر، ربما يكون أكثر أهمية وخطورة، من وجهة نظرى على الأقل؛ فلأول مرة، منذ أن فقدنا (محمود)، نجد وسيلة للاتصال به..

المشكلة الوحيدة أن جهازكم قادر على الاستقبال وليس البث، وربما عاونتكم أمى فى تطويره، بحيث يمكننا أن نتصل بزميلنا (محمود) مباشرة، مما يمكن أن يعاوننا، على إيجاد سبيل لاستعادته.. أليس كذلك يا أمى؟!

لم تسمع جوابًا من أمها، فالتفتت إليها، مكررة:

- أليس كذلك؟!

لم تجب (سلوى) سؤالها، فى هذه المرة أيضًا، وهى تشير إلى شاشة جهاز استقبال الموجات متناهية القصر، قائلة فى انفعال:

- لقد عاد.

استدار الجميع إلى الشاشة، فى حركة واحدة، وشهقت (نشوى)، مع مرأى تلك الموجات المخية الفائقة، وهى تحتل الشاشة مرة أخرى، وتعود للامتزاج بموجات الاستغاثة، التى يرسلها (محمود)، فى حين هتف عالم الاتصالات فى انفعال:

- جهازك يا سيدة (سلوى).

بدت (سلوى) جامدة تمامًا، وهى تحدق فى شاشة الجهاز الجديد، فدفعت إليها (نشوى) جهاز التتبُّع المتطوِّر، هاتفة:

- جهازك يا أمى.. أسرعى بالله عليك، قبل أن..

بترت (نشوى) هتافها دفعة واحدة، ليتحوَّل الجزء الأخير منه إلى شهقة ذعر ولوعة، عندما اختطفت منها (سلوى) جهاز التتبُّع، بحركة قاسية عنيفة، ثم رمقتها بنظرة مخيفة..

نظرة بدت فيها عيناها، أشبه بقطعتين من الجحيم، قبل أن تقول:

- أشكرك.

نطقتها بصوت آلى جاف رهيب، جعل رئيس الفريق يتراجع بحركة حادة، صائحًا:

- رباه! ماذا حدث ؟!

أما عالم الاتصالات، فقد صرخ فى ارتياع:

- يا إلهى! يا إلهى! ودون أن تعير الجميع أدنى

اهتمام، وفى آلية عجيبة، استدارت (سلوى) بجهاز التتبُّع نحو شاشة الجهاز الجديد، المسئول عن استقبال الموجات متناهية القصر، وهى تضيف:

- كنت أحتاج إليه كثيرًا.

ورفعت جهاز التتبُّع عاليًا، فصرخت (نشوى):

- لا يا أمى.. لا..

ومع آخر حروف كلماتها، وقبل حتى أن تكتمل صرختها، هوت (سلوى) بجهاز التتبُّع، على شاشة جهاز الموجات الجديدة..

وبمنتهى القوة.

* * *



٢ـ كل الشر..

سعل (رمزى) فى قوة، وهو يستعيد وعيه، فى مستشفى الطوارئ، وشعر بآلام شديدة فى صدره، وهو يفتح عينيه، مغمغمًا:

ـ أين أنا ؟!

أتاه صوت أحد الأطباء، وهو يقول فى خفوت:

ـ اطمئن يا دكتور (رمزى).. لقد نجوت من ذلك الحريق العجيب، فى مقر السجلات الطبية الرئيسى، وأنت الآن فى مستشفى الطوارئ، التابع لوزارة الصحة.

لم يفهم (رمزى) معنى هذه الكلمات فى البداية، إذ بدت له ذات إيقاع عجيب غير واضح، ثم لم يلبث الموقف كله أن وثب إلى ذهنه دفعة واحدة، فاتسعت عيناه عن آخرهما، وهو يهبّ جالسًا على فراشه، ليهتف:

ـ رباه ! ذلك الحريق.

حاول الطبيب تهدئته، وإعادته إلى الرقاد فى رفق، قائلاً:

ـ اهدأ يا دكتور (رمزى).. الحريق انتهى، و...

أزاحه (رمزى) بعيدًا، ووثب من الفراش، هاتفًا:

ـ لابد أن يعلم (نور) بما حدث، وفورًا.

ولكنه لم يكد يضع قدميه على الأرض، حتى شعر بدوار عنيف يكتنف رأسه، ودارت الحجرة كلها أمام عينيه، وعجزت ساقاه عن حمله، وتخاذلتا تحته، فكاد ينهار أرضًا، لولا أن تشبّث بطرف الفراش، فأسرع الطبيب يعاونه على التماسك، وهو يهتف معترضًا:

ـ ألم أقل لك ؟!

لهث (رمزى) على نحو عجيب، وهو يبذل جهدًا خرافيًا؛ للبقاء واعيًا، وهو يقول فى ضعف:

ـ ما توصلت إليه خطير للغاية... لابد أن يعرفه (نور) فورًا.



فكاد ينهار أرضًا ، لولا أن تشبث بطرف الفراش ، فأسرع الطبيب يعاونه على التماسك ..

ثم تشبث بالطبيب ، الذى يحاول إعادته إلى فراشه ، هاتفًا :

ـ ربما يكون طرف الخيط ، الذى يبحث عنه .. ربما .

سأله الطبيب فى اهتمام :

ـ أتقصد سيادة المقدم (نور الدين) ، رجل المخابرات العلمية الأشهر ؟!

هتف (رمزى) ، وتلك الغيبوبة تهاجم عقله ومخه فى شراسة :

ـ نعم .. إنه هو .. أبلغه أننى هنا ، وأننى أريده فورًا .. هل تفهم ؟! فورًا .

نطق كلمته الأخيرة ، فى نفس اللحظة التى نجحت فيها تلك الغيبوبة العميقة فى هجومها ، فانهار جسده دفعة واحدة ، وهوى على فراشه فاقد النطق ..

أما الطبيب ، فقد أعاده إلى موضعه الأول على الفراش ، وهو يهتف بممرضته :

ـ عربة الإسعافات بسرعة .. هيا .

أسرعت الممرضة لإحضار عربة الطوارئ، فى حين اعتدل الطبيب، والتقى حاجباه، وهو يتساءل فى توتر :

- المقدّم (نور) ! تُرى كيف يمكن الاتصال برجل مثله ؟!

فى نفس اللحظة، التى نطق فيها عبارته، وفى المستشفى العسكرى، على مسافة عدة كيلومترات، كان طبيب آخر يحدّق فى وجه (أكرم) بمنتهى الدهشة، وهو يهتف مستنكرًا :

- لا تريد إفاقة زوجتك من غيبوبتها ؟! أى قول هذا يا رجل ؟!

أجابه (أكرم) فى صرامة حادة :

- نفّذ ما أطلبه منك فحسب يا رجل، فلن يمكننى تفسير سبب مطلبى هذا .

عقد الطبيب ساعديه أمام صدره، قائلاً فى إصرار :

- وأنا أصرّ على عدم فعل أمر كهذا، يتنافى مع أبسط قواعد الطب والإنسانية، دون سبب قوى لهذا .

بدا الغضب على وجه (أكرم)، وهو يقول :

- نحن رجال مخابرات علمية يا رجل، والقانون نفسه لا يمكن أن يجبرنا على إفشاء أسرار العمل .

أجابه الطبيب فى عناد أكثر :

- ونحن أطباء، ولا أحد يمكن أن يجبرنا على القيام بأى عمل، يخالف المواثيق الطبية، ما لم يكن فيه صالح المريض .

هتف (أكرم) :

- بالضبط .. وما أطلبه منك هو لصالح زوجتى تمامًا، بل ويمكن أن يعنى بقاءها على قيد الحياة .

قال الطبيب فى حدة مستنكرة :

- بأن تبقى فاقدة الوعى ؟!

صاح فيه (أكرم) فى غضب :

- هذه هى الوسيلة الوحيدة؛ لإنقاذ حياتها .

صاح الطبيب بدوره :

- لا يوجد أى منطق علمى لما تقول .

لم يجبه (أكرم) هذه المرة، وعيناه وعقله يتابعان ممرضة شابة، دلفت إلى حجرة زوجته (مشيرة)، بأسلوب آلى عجيب، جعله يسحب مسدسه، قائلاً فى عصبية:

- لو أن هذا يعنى ما أتصوره، فـ..

بتر عبارته دون مبرر، وكأنما لم يجد حاجة لاستكمالها، وهو يندفع نحو حجرة (مشيرة)، فهتف الطبيب فى ذعر:

- يا إلهى! مسدس ؟! هذا محظور تماماً هنا.

تجاهله (أكرم) تماماً، وهو يواصل العدو نحو حجرة زوجته، فصرخ الطبيب فى انفعال:

- الأمن .. أين طاقم الأمن ؟!

وقبل أن تكتمل عبارته، كان (أكرم) يقتحم حجرة زوجته فى عنف، على الرغم من كل اللافتات، التى تحذر من العنف والضوضاء ..

ولقد أحدث اقتحامه جلبة واضحة قوية، فى المكان كله ..

ولكن الممرضة لم تحرك ساكناً، وكأنها لم تشعر حتى بوجوده، وهى تحمل محقناً من الألياف الزجاجية، فى سبيلها لدفع تلك المادة الشفافة داخله، فى زجاجة المحلول، الذى يسرى فى عروق (مشيرة) ..

ولقد حسم برودها هذا الموقف كله، فى أعماق (أكرم) ..

ودون أدنى تردد، رفع فوهة مسدسه ..

وأطلق النار ..

ودوى صوت الرصاصة فى الطابق ..

بل فى المستشفى كله ..

وفى بداية الممر، صرخ الطبيب مذعوراً، فى رجال أمن المستشفى العسكرى، الذين هرعوا إلى المكان بالفعل، إثر استغاثته بهم:

- أسرعوا بالله عليكم .. لقد بدأ هذا المجنون فى إطلاق النار.

لم يدر أحدهم أن رصاصة (أكرم) قد أطاحت بالمحقن فحسب، قبل أن ينقضّ هو على الممرضة، صائحًا:

ـ محاولة حقيرة أيها الوغد.

انقضّ على الممرضة بمنتهى العنف، وبقوة تكفى لسقوطهما معًا، إلا أنها، وعلى الرغم من ضآلة جسدها، بدت أشبه بجدار من الصلب، وهى تمسك معصمه بقوة فولاذية، قائلة بذلك الصوت الآلى المخيف:

ـ لن يمكنك أن تمنع هذا.

وبحركة سريعة مدهشة، أدارت ذراعه كلها، ليدور جسده معها فى الهواء، على الرغم من قوته، ويسقط على ظهره أرضًا فى عنف..

وقبل أن يحاول (أكرم) النهوض، ركلته فى معدته بقوة خرافية، مستطردة بنفس الصوت الرهيب:

ـ سأظفر بما أريد، حتى ولو كان الثمن هو حياتك.

كان الألم رهيبًا، حتى لقد تصوّر (أكرم) أن أحشاءه قد تمزّقت، وأن أعماقه كلها صارت تسبح فى بحر من الدم، سال بالفعل من بين شفتيه، اللتين كتمتا صرخة ألم عالية، تفجّرت فى مخه، مع صرخة أخرى أكثر ارتفاعًا..

صرخة تحذره من مصير زوجته، لو استسلم لآلامه..

تلك الصرخة الأخيرة، جعلته يثب واقفًا على قدميه، وهو يصوّب مسدسه إلى الممرضة الضئيلة، صائحًا:

ـ أعلم أنك لا تدركين ما تفعلينه، ولكن ليس أمامى من سبيل لإيقافك، سوى..

« ألق سلاحك وإلا..»

انطلق الهتاف فجأة قويًا صارمًا، من بين شفتى قائد أمن المستشفى العسكرى، وهو ورجاله يصوبون أسلحتهم فى تحفز، نحو (أكرم)، الذى صاح فى

غضب ، دون أن يخفض مسدسه ، أو يرفع عينيه عن الممرضة :

ـ أنا رجل مخابرات علمية أيها الأغبياء .

صاح به قائد الأمن ، فى صرامة أكثر :

ـ ألق سلاحك ، أو نطلق النار بلا رحمة .

صاح (أكرم) :

ـ هذه الممرضة تسعى لقتل زوجتى .

هتف الطبيب فى توتر :

ـ لا تصدقوه .. هذه أفضل ممرضة فى القسم كله .. إنه مجنون حتمًا .. أوقفوه فورًا .

نقلت الممرضة بصرها بين الجميع ، دون أن تنبس ببنت شفة ، ثم استدارت تلتقط محقنًا جديدًا ، يحوى نفس المادة الشفافة ، فصاح بها (أكرم) فى غضب صارم متوتر :

ـ ألقى هذا المحقن ، أو ...

قاطعه قائد الأمن فى حدة :

بل ألق أنت سلاحك يا هذا ، قبل أن تسوء الأمور أكثر ، ويحدث ما لا تحمد عقباه .

صرخ (أكرم) ، وهو يجذب مسدسه ، عندما رآها ترفع يدها بالمحقن الجديد ، نحو زجاجة المحلول ، المتصلة بأوردة (مشيرة) مباشرة :

ـ إنها لن تستجيب .. ذلك الوغد يسيطر على عقلها تمامًا .. ستقتل زوجتى ، لو لم أوقفها بأى ثمن .

انعقد حاجبا قائد الأمن فى غضب ، وصاح برجاله :

ـ استعدوا لإطلاق النار .

جذب الرجال إبر مسدساتهم فى تحفز ، وصرخ (أكرم) :

ـ هذه الممرضة ستقتل زوجتى .

تجاهلت الممرضة الموقف كله ، وغرست إبرة المحقن فى الزجاجة البلاستيكية ..

ولم يعد أمام (أكرم) خيار ..

فلو منحها ثانية واحدة إضافية، للضغط على مكبس المحقن، سيعنى هذا مصرع زوجته الفاقدة الوعى..

وهو لن يسمح بهذا أبدًا..

أبدًا..

ودون ذرة واحدة من التردُّد، ضغط (أكرم) زناد مسدسه..

وانطلقت رصاصته..

واخترقت رأس الممرضة المسكينة..

وفى اللحظة نفسها، ودون أدنى تردُّد أيضًا، ضغط رجال أمن المستشفى العسكرى أزندة مسدساتهم..

وانطلقت النيران..

كالمطر..

* * *

هوت (سلوى) بجهاز التتبُّع الذى يخصها، على شاشة جهاز استقبال الموجات فائقة القصر، بكل قوتها..

وكان الدوى أعنف مما تصوَّر الجميع..

الشاشة البلورية الكبيرة تحطَّمت فى عنف، وتناثرت قطعها فى كل مكان، وتحطَّم معها جهاز (سلوى) أيضًا، مع صرخة (نشوى) المذعور:

ـ أماه!! ماذا فعلت؟!

وانطلق رئيس فريق العلماء يعدو مبتعدًا، وهو يصرخ:

ـ النجدة.. النجدة.. استدعوا الأمن فورًا.

ودون أن تبالى بصراخه، رفعت (سلوى) ما تبقَّى من جهازها المحطَّم، وهوت به على أزرار الجهاز الجديد، و(نشوى) تواصل صراخها:

ـ لقد حطَّمت آخر أمل لنا، فى الاتصال بـ (محمود).

اتسعت عينا عالم الاتصالات عن آخرهما، وتراجع بضع خطوات إلى الخلف، ثم لم يلبث أن هتف فى غضب:

ـ لا.

ثم انقض على (سلوى) فى شراسة عجيبة ، صارخًا :

ـ لقد أفسدت مجهود عام بأكمله .

استدارت إليه (سلوى) بسرعة مذهلة ، واستقبلت انقضاضته بضربة عنيفة ، من بقايا جهازها ، جعلته يرتد خلفًا فى قوة ، ثم يسقط أرضًا ، والدماء تتفجّر من أنفه وفمه فى غزارة ..

وصرخت (نشوى) ، ودموعها تنزف من عينيها :

ـ يا إلهى ! ماذا أصابك يا أمى ؟! ماذا أصابك ؟!

ألقت (سلوى) ما تبقّى من جهازها أرضًا ، فى لامبالاة تامة ، ثم استدارت إلى (نشوى) فى بطء مخيف ، قبل أن تتألق عيناها ببريق مخيف ، قائلة :

ـ الآن لم يعد لديكم سلاح .

سرت ارتجافة قوية فى جسد (نشوى) ، وهى تحدق فى وجه أمها ، غير مصدقة لذلك الصوت المخيف ،

الذى انبعث من بين شفتيها ، وتراجعت مع اقتراب (سلوى) منها ، مواصلة بنفس الصوت واللهجة :

ـ هل تصوّرتم أن باستطاعتكم هزيمتى ؟

ارتجف صوت (نشوى) ، وهى تقول :

ـ من .. من أنت ؟!

تابعت (سلوى) ، وهى تواصل اقترابها منها :

ـ معى ستخسرون دومًا .

وصل رجال الأمن فى هذه اللحظة ، وصوّبوا أسلحتهم إلى (سلوى) فى صرامة ، وكبيرهم يصيح :

ـ توقّفى يا سيّدتى ، وإلا ..

توقّفت (سلوى) بالفعل ، وأدارت عينيها إليهم ، قائلة بصوتها المخيف :

ـ وإلا ماذا ؟! هل ستقتلوننى ؟!

هتف بها كبيرهم بنفس الصرامة :

ـ أتعشم ألا تضطرينا لهذا يا سيّدتى .

تحركت (سلوى) نحوهم ، قائلة :

ـ وكيف ستضطركم إلى هذا ؟!

صاح بها الرجل :

ـ توقفى يا سيدتى .. لا تقتربى أكثر .

ولكنها تجاهلته تمامًا ، وواصلت طريقها نحوه ، متابعة :

ـ بأن أقترب منكم مثلاً ؟!

انعقد حاجبا الرجل فى توتر ، وصاح برجاله فى صرامة :

ـ استعدوا لإطلاق النار .

رفع الرجال بنادقهم الليزرية ، وصوبوها إلى رأس (سلوى) بالفعل ، فصاحت (نشوى) فى ارتياع :

ـ لا .. ليس أمى .

اندفعت محاولة منع أمها ، من مواصلة الاقتراب

من رجال الأمن ، إلا أن (سلوى) استدارت إليها فى اللحظة الأخيرة ، ولطمتها لطمة قوية ، ألقتها أرضًا فى عنف ، جعل قائد رجال الأمن يهتف بهم :

ـ سنطلق النـ ..

قبل أن يكتمل هتافه ، انبعث صوت (نور) الصارم القوى ، وهو يهتف :

ـ كلاً .

استدار الرجال إليه فى سرعة ، ولم يكد بصرهم يقع عليه ، حتى انخفضت فوهات بنادقهم بحركة غريزية ، فى حين استدارت إليه (سلوى) فى بطء ، قائلة فى سخرية عجيبة ، بدت مستفزة للغاية ، وهى تنطقها بذلك الصوت المعدنى الجاف :

ـ رائعة هى فكرة استخدام الأقارب والأحباب هذه .. من الواضح أنها تضمن حياديتكم إلى حد كبير .

التقط (نور) أسطوانة صغيرة من جيب سترته ، قائلاً فى صرامة :

ـ لا تعتمد على هذا كثيرًا أيها الوغد .

سألته فى سخرية ، لها نفس الوقع المخيف :

ـ ما هذا بالضبط ؟! مبيد حشرى .

وثب (نور) نحوها بغتة ، وهو يهتف :

ـ بل مبيد عقلى .

قالها ، وهو يضغط قمة الأسطوانة فى قوة ، فانبعث رزاز قوى ، من ثقب فيها ، ليغمر وجه (سلوى) ، التى استقبلت هذا بجمود عجيب ، قبل أن تقول فى حذر زائد :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أعاد (نور) الأسطوانة إلى جيبه ، قائلاً فى صرامة :

ـ سترين .

نقل رجال الأمن والعلماء أبصارهم فى حيرة ، بين (نور) و(سلوى) ، وقد أدهشهم أن يخاطبها بصيغة المؤنث ، وأدهشهم أكثر ذلك الصوت المعدنى الجاف ،

الذى يخرج من بين شفتيها ، غير متناسب أبدًا مع هيئتها الرقيقة ، وهى تقول :

ـ آه .. الآن فهمت ... إنه مخدر قوى .

هز (نور) كتفيه ، قائلاً :

ـ وسريع المفعول أيضًا .

صمتت بضع لحظات ، وهى تتطلع إليه ، ثم لم تلبث عيناها أن تألقتا ، على نحو مخيف ، وهى تقول ، بنفس الصوت الرهيب :

ـ من الجيد أنك قد استخدمت هذا الشىء .

ثم مالت إلى الأمام ، مضيفة :

ـ فهو اختبار جيد لقدراتى .

قالتها ، ثم انقضت فجأة على (نور) ، وحملته بذراعيها النحيلين ، كما لو أنه قد فقد وزنه كاملاً ، ثم ألقته نحو الجدار فى عنف ، صائحة :

ـ التى تفوق سلاحك هذا ألف مرة .

كانت الضربة قوية عنيفة ، على نحو مؤلم للغاية ، إلا أن ما أدهش (نور) حقًا ، هو أن المادة المخدرة ، التى غمر بها وجه زوجته ، شديدة المفعول ، قوية التأثير بالفعل ..

بل إنها تعتبر أحد الأسلحة السرية الفعَّالة ، للمخابرات العلمية المصرية ..

ووفقًا للدراسات ، يُفترض فيها أن تُفقد الخصم وعيه ، خلال عشرين ثانية على أقصى تقدير ..

والعجيب أنها لم تفعل هذا مع (سلوى) ..

أو بمعنى أدق ، مع عقلها ، الذى يسيطر عليه ذلك العدو المجهول ..

ومع انقضاض (سلوى) على (نور) ، رفع رجال الأمن أسلحتهم نحوها مرة أخرى ، ولكن (نشوى) صاحت ، وهى تنهض فى ذعر :

ـ لا .. لا تطلقوا النار .

نقل رجال الأمن بصرهم فى توتر وتردُّد ، بينها وبين (سلوى) ، حتى هبَّ (نور) واقفًا بدوره ، وهو يقول فى صرامة :

ـ نعم .. لا تطلقوا النار .

هتف رئيس الأمن معترضًا :

ـ ولكن يا سيادة المقدّم ...

قاطعه (نور) بصرخة آمرة هادرة :

ـ أطع الأمر .

ابتسمت (سلوى) فى سخرية ، عندما تردَّد الجنود لحظة ، ثم خفضوا أسلحتهم بالفعل ، وبدا صوتها رهيبًا ، وهى تقول :

ـ جميل منك أن أمرتهم بهذا .

ثم انقضت عليه مرة أخرى ، ودفعته أمامها بقوة مدهشة ، حتى اصطدم بالجدار ثانية ، وهى تضيف :

ـ هذا سيمنحنى اطمئنانًا أكثر .

خفق قلب (نشوى) فى ارتياع ومرارة، عندما رأت علامات الألم العنيف، على وجه والدها، ووالدتها تجذبه إليها مرة أخرى؛ لتلقيه أرضًا، متابعة:

- من الواضح أنك لم تفهم مدى القوة، التى يمكن أن يطلقها العقل.

تراجعت (نشوى)، وهى تدير عينيها فى الحجرة، وكأنها تبحث عن سلاح ما، قبل أن ينعقد حاجباها فى حزم، مغمغمة:

- إنها موجات مخية.. أليس كذلك ؟!

ثم اندفعت نحو جهاز الكمبيوتر الصغير، الخاص بها، فى نفس الوقت الذى نهض فيه (نور) فى صعوبة، قائلاً:

- ربما أنا هنا لأفهم.

ابتسمت فى سخرية، قائلة، بتلك الصوت الرهيب:

- وهل تعتقد أن عقلك قادر على هذا ؟!

حاول تفادى وثبتها التالية، التى ختمت بها سؤالها، إلا أنها قبضت على عنقه هذه المرة، ودفعته مرة أخرى إلى الجدار، وتألقت عيناها بشدة، وهى تميل نحوه، حتى لفحت أنفاسها وجهه، متابعة:

- عقلك المحدود لايمكنه أن يتصوَّر قط قدرات عقلى المدهشة.

تطلَّع إلى عينيها مباشرة، قائلاً فى صرامة:

- هل تراهنين ؟!

أطلقت ضحكة ساخرة رنَّانة، على مسافة سنتيمترات من أذنيه، حتى خُيِّل إليه أنها قد اخترقت عقله ذاته، قبل أن تقول فى سخرية:

- على ماذا ؟! أعلى المدة التى سيستغرقها عنقك الهش هذا، قبل أن تعتصره أصابعى القوية ؟

وضغطت أصابعها عنقه بالفعل ، وهى تضيف ، بلهجة آلية ، حملت كل وحشية الدنيا :

ـ قل : وداعًا للحياة أيها المتحذلق .

وهوى قلب (نشوى) بين قدميها ..

فبالنسبة لها بالذات ، كان المشهد رهيبًا ..

إلى آخر حدود العقل .

* * *



٣ ـ الرهبان ..

على الرغم من الجليد المنتشر ، على قمم جبال (التبت) ، التى تمتدّ إلى مالا نهاية ، وفى درجات البرودة القارسة ، التى انخفضت عن الصفر بكثير ، تحرّك ثلاثة من الرهبان فى هدوء عجيب ، وهم يتسلقون الجبال ، متجهين نحو معبد بوذى قديم ، بدا أشبه بلوحة ساكنة جامدة ، أكثر برودة مما يحيط بها من ثلوج ، مع الصمت الرهيب المخيّم عليه ، والذى يخلو تمامًا من أى أثر للحياة ، وحتى من خيط الدخان ، الذى كان يمنحه لمحة من الدفء ، وسط كل هذه البرودة ، وهو يتصاعد طوال الوقت ، من مدفأته الحجرية العريقة العتيقة ..

ودون شكوى أو توقّف ، واصل الرهبان البوذيون الثلاثة تسلّقهم ، حتى بلغوا المعبد ، فتوقّفوا بضع لحظات ، وهم يتطلّعون إليه فى صمت ، ووجوههم

النحيلة الجافة ، تشترك مع رءوسهم المستديرة الصلعاء ، لتمنحهم مظهرًا عجيبًا ، وخاصة مع العيون الضيقة ، والنظرات التى يبدو وكأنها تتجاوز ما أمامها ، إلى عالم آخر ، وبعد آخر ، خلف حدود إدراكنا الواعى ..

وبعد لحظات الصمت هذه ، تقدّم الثلاثة فى آن واحد نحو المعبد ، وعبروا بوّابته الكبيرة ، ذات الأعمدة الرخامية ، قبل أن يقطعوا ساحته الواسعة ، فى اتجاه جثة الراهب الأصلع النحيل ، التى غطتها طبقة رقيقة من الجليد ، حفظتها من التلف ، ومنعت تطوراتها الرمية الطبيعية ، وهى ملقاة أمام المقعد الوحيد فى المكان ..

لم يكن أحدهم يتبادل حرفًا واحدًا مع الآخرين ، وعلى الرغم من هذا ، كان من الواضح أنهم يفهمون جيدًا ما يدور فى عقول بعضهم البعض ، وأن حديثًا صامتًا يتم بين عيونهم ، وعقولهم ، ومشاعرهم ..

ولوقت طويل ، ربما يتجاوز الساعة ، ظلوا يحيطون بجثة الراهب الأصلع ، قبل أن يلتفت اثنان منهم إلى الثالث ، الذى نقل بصره بينهما فى صمت ، ثم عاد يتطلّع إلى الجثة لبعض الوقت ، قبل أن يشير إليها ، ثم يدور بسبّابته إلى بقعة خارج المعبد القديم ..

نفس البقعة التى اعتاد الراهب الصريع الجلوس عندها ، فى أثناء ممارسته لرياضته الروحية ، التى لم تنقطع يومًا واحدًا ، طوال ما يزيد على نصف القرن ..

وفى صمت شديد ، حمل الثلاثة جثة زميلهم ، واتجهوا بها إلى تلك البقعة ، ثم وضعوها فى حفرة واسعة هناك ، ووضعوا الجليد فوقها ، حتى اختفت تمامًا ..

وبعدها ، عادوا إلى وقفتهم الصامتة ..

وفى هذه المرة ، وكأنما لايعنى الزمن شيئًا بالنسبة لهم ، ظلوا جامدين فى أماكنهم لثلاث ساعات كاملة ..

ثم رفع الاثنان عيونهما إلى الثالث ..

ونقل هو بصره بينهما ..

وفى هدوء صامت ، عاد الاثنان إلى داخل المعبد ، وجلسا أرضًا ، على جانبى المقعد الوحيد ، فى حين تحرك الثالث فى عكس اتجاههما ، على نحو يوحى بأنه فى سبيله إلى أداء مهمة ما ..

ودون أن يلتفت خلفه لحظة واحدة ، راح الراهب الثالث يسير وسط الثلوج ..

ويسير ..

ويسير ..

وسرعان ما ابتلعه الظلام ، واختفى وسط الثلوج الكثيفة ، المحيطة بكل شىء ..

وهنا .. هنا فقط ، وعلى الرغم من أنهما لم يتابعاه ، أغلق الآخران عيونهما فى هدوء ، وتجمدا فى مكانيهما ، وانطلقت عقولهما بعيدًا ..

بعيدًا جدًا ..

جدًا ..

جدًا ..

* * *

كان التوقيت الدقيق هو أخطر ما فى تلك الخطة الجريئة ، التى وضعها (أكرم) ، قبل أن يطلق رصاصات مسدسه نحو تلك الممرضة المسكينة ، التى سيطر الخصم المجهول على عقلها تمامًا ، وجندها دون أن تدرى ، للقضاء على (مشيرة) ، ومحو طرف الخيط الوحيد ، الذى يمكن أن يوصلهم إليه ..

ففى لحظة واحدة ، ضغط زناد مسدسه ، مصوبًا إياه نحو جبهتها ، ثم وثب أرضًا ، ودار حول نفسه ، وأطلق رصاصات نحو أقرب رجال أمن المستشفى العسكرى إليه ..

مبادرته المدهشة هذه جعلت نيرانهم تنطلق فوق رأسه ، وتخترق جسد الممرضة ، بلا تحديد أو هوادة ..

وفى الوقت ذاته ، أطاحت رصاصاته بمسدسات ثلاثة منهم ، قبل أن يصيح فى صرامة :

ـ لا أريد أن أشتبك معكم .. أبلغوا القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، وستدركون أننى أقوم بمهمة رسمية ، وخطيرة للغاية .

ما فعله ، بتلك المهارة المدهشة ، امتزج بكلماته الصارمة ، التى تضاعف تأثيرها ألف مرة ، عندما نهض ، ليخفض فوهة مسدسه فى بطء ، قائلاً فى حزم :

ـ إننا فريق واحد ، ولاينبغى أن نتقاتل ، على حساب مصلحة (مصر) وأمنها ..

وانعقد حاجباه بشدة ، مع إضافته الصارمة :

ـ بل أمن العالم كله .

عبارته الأخيرة هزّتهم من الأعماق ، وجعلتهم يتبادلون نظرة متوترة ، فى حين هزّ الطبيب رأسه فى عصبية ، قائلاً :

ـ هل أقنعتكم كلماته هذه ؟! ياللسخافة ! الرجل ارتكب جريمة قتل أمام أعينكم ، ولابد من إلقاء القبض عليه .

هتف (أكرم) فى حدة :

ـ إنك تجهل كل شىء .. هذه الممرضة لم تكن فى

وعيها .. بعضهم كان يسيطر على عقلها ، ويدفعها لقتل زوجتى كما رأيتم .

صاح الطبيب فى غضب شديد :

ـ كل ما رأيناه هو ممرضة متميِّزة ، تحاول القيام بواجبها ، وإعطاء مريضتها الدواء المناسب لحالتها ، ثم رأيناك تهددُها بمسدسك ، دون أن تسىء إليك ، حتى أطلقت النار على رأسها ، دون شفقة أو رحمة .

ثم راح يصرخ :

ـ إنك قاتل .. قاتل .. قاتل .

صاح به (أكرم) :

ـ ولماذا لم تترك هى هذا ؟!

حدّق الطبيب فى وجهه ، بمزيج من الدهشة والاستنكار ، فى حدة :

ـ ماذا تعنى أيها القاتل ؟!

أجابه فى سرعة، وغضب لايقل عن غضبه وثورته:

ـ أعنى لماذا بدت هادئة ساكنة، على الرغم من اقتحامى الحجرة، وتصويبى مسدسى إليها؟! أيبدو لك هذا رد فعل طبيعيًا، لشخص يمتلك ناصية عقله وزمام أموره، أم أنها بلادة غير منطقية، لم تتميَّز بها ممرضتكم المتميِّزة هذه؟!

اتسعت عينا الطبيب، فى شىء من الارتياع، وانطلق عقله يتذكر المشهد كله، و...

«أحسنت يا هذا..»

انطلق الصوت الآلى الجاف فجأة، ممتزجًا بطلقة ليزر، توهَّجت فى فراغ الحجرة، قبل أن تخترق تلك المسافة، بين كتف (أكرم) وعنقه..

ومع الإصابة المفاجئة، تراجع جسد (أكرم)، وارتطم بالنافذة خلفه، والدماء تتفجَّر من إصابته، وهو يحدِّق فى وجه رئيس فريق أمن المستفى

العسكرى، الذى تجمَّدت نظراته، وهو يصوِّب مسدسه مرة أخرى إلى (أكرم)، قائلاً بذلك الصوت، الذى أدهش الجميع:

ـ لابد أنك تدرك الآن، أن قتل الممرضة لم يكف لإيقافى.

اتسعت عينا (أكرم)، وهو يهتف ذاهلاً:

ـ أنت.

مع هتافه، انطلقت طلقة ليزرية أخرى، لتصيب صدر (أكرم)، وتدفعه بعنف أكثر نحو النافذة، فهتف الطبيب مستنكرًا:

ما الذى تفعله أيها الـ...

قبل أن يتمم عبارته، استدار إليه قائد الأمن، وأطلق نحوه طلقة ليزرية مباشرة، اخترقت رأسه، فاتسعت عيناه عن آخرهما، وضرب الهواء بذراعيه لحظة، ثم لم يلبث أن سقط جثة هامدة، فصاح (أكرم):

ـ أيها القاتل الحقير.

ثم التفت إلى رجال الأمن الآخرين ، صارخًا :

ـ ماذا تنتظرون ؟! أوقفوه .

اتسعت عيون الرجال ، وهم يتراجعون فى توتر بالغ ، وأسلحتهم مشهورة فى أيديهم ، وقد أصابهم ارتباك عنيف ، مع رؤية ما حدث أمام أعينهم ، بين رئيسهم ورجل المخابرات العلمية ، وطبيب المستشفى ..

وعلى الرغم من عددهم ، لم يستطع أحدهم اتخاذ أى قرار حاسم ، مما جعل رئيسهم يلتفت إلى (أكرم) ، قائلاً فى سخرية شديدة ، بنفس الصوت المخيف :

ـ يوقفوننى أنا ؟! عجبًا ! إننى قائدهم يا رجل .. هل تتوقع من أى جنود قتل قائدهم ، أو التصدى له ، بأوامر أى كائن كان ؟!

ترنح (أكرم) ، مع الدماء التى تنزف منه بغزارة ، والتى تسيل من ذلك الجرح ، بين كتفه وعنقه ، وهتف فى حدة وألم :

ـ لقد قتلت رجلاً أمام أعينهم .

هزّ الرجل كتفيه ، قائلاً بنفس السخرية :

ـ يالك من رجل مخابرات ! هل نسيت السبب المثالى ، لكل تجاوز فى الوجود يا رجل .

وقسا صوته مع التماعة عينيه ، وهو يضيف :

ـ لقد فعلت هذا لدواعى الأمن .

احتقن وجه (أكرم) ، وهو يندفع نحوه ، هاتفًا :

ـ أيها الـ ...

أخرسه الرجل بطلقة ليزرية ثالثة ، أصابت صدره كسابقتها ، ودفعته إلى الخلف بمنتهى العنف ، ليرتطم بالنافذة ، ويحطمها هذه المرة ..

ويهوى ..

هوى جسده من الطابق الثالث ، ليرتطم بنباتات الحديقة ، ثم يستقر ساكنًا بينها ..

ومرة أخرى ، التمعت عينا الرجل ، وهو يقول بصوته المعدنى الآلى المخيف :

ـ خسرت يا رجل المخابرات العلمية المصرى .

ثم أدار فوهة مسدسه الليزرى فى هدوء ، نحو (مشيرة) الفاقدة الوعى ، و ...

وتوهجت الحجرة كلها بخيوط الليزر ..

القاتلة ..

* * *

من المؤكد أن عنق (نور) لم يكن ليحتمل ضغط تلك اليد القوية ، أكثر من دقيقة واحدة على الأكثر ..

هذا لو أنه قوى بما ينبغى ..

ثم إنه كان من المستحيل أن ترحمه زوجته ..

من المستحيل تمامًا ..

لقد سيطر خصمه على عقلها تمامًا ، وحجب تفكيرها وحسن إدراكها ، وجعلها مجرد أداة لتنفيذ أهدافه ونواياه ..

ومن الواضح أنه قد قرر القضاء على الفريق كله ..

وبمنتهى العنف ..

وبقسوة مذهلة ، وعينين خلتا من المشاعر والحياة ، راحت أصابع (سلوى) تنغرز فى عنق (نور) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وشعر رجل المخابرات العلمية بالألم ، وأنفاسه تتوقف ، والدنيا تظلم من حوله ، و ...

« لابد أن نطلق النار .. »

هتف أحد رجال الأمن بهذا ، وهو يرفع فوهة مدفعه الليزرى نحو (سلوى) ، فصرخت (نشوى) :

ـ لا .. لا تفعل .

هتف بها آخر فى عصبية :

ـ إنها تقتل سيادة المقدم (نور) .

قالت بمنتهى التوتر ، وأصابعها توصل جهاز الكمبيوتر الصغير بمسماع الجهاز المحطم :

ـ دعنا نتعشم ألا تنجح فى هذا .



وبقسوة مذهلة ، وعينين خلتا من المشاعر والحياة ، راحت أصابع (سلوى) تنغرز فى عنق (نور) أكثر ..

ثم ضغطت أزرار جهازها فى سرعة مدهشة ، لاتتكر أنها بلغتها يومًا ما ..

سرعة دفعها إليها ذلك الشعور الرهيب ، الذى لم تشعر به من قبل قط ..

أمها تقتل أباها أمام عينيها ..

بل أمام عيون الجميع ..

والموقف يوحى بأنه لايوجد خيار ثالث ..

إما أمها ..

أو أبوها ..

وياله من خيار بشع !

وبكل عصبية الدنيا ، هتف أحد رجال الأمن ، وهو يضغط زر الاستعداد ، فى بندقيته الليزرية بالفعل :

ـ لن يمكننى احتمال هذا قط .

صرخت (نشوى) ، وهى تضغط زرًا أخيرًا :

ـ انتظر .

تصوّر الكل أن شيئًا ما سيحدث ، فور ضغطة الزر ..

إلا أن شيئًا لم يفصح عن نفسه قط .

وكل شيء ظلّ على ما هو عليه ..

(نور) يختنق ، ويصدر من حلقه المعتصر صوتًا مؤلمًا ، وحنجرته تكاد تتحطّم ، تحت أصابع (سلوى) القوية ، التي يخلو وجهها من أي أثر للحياة أو الانفعال ، و ...

ولكن فجأة ، انتفض جسدها كله ..

ورفعت كفيها بغتة ودفعة واحدة ، عن عنق (نور) ..

وتراجعت خطوتين إلى الخلف ، وهي تحدّق فيه بذهول ، مردّدة :

ـ رباه ! (نور) ! ماذا كنت أفعل ؟! ماذا كنت أفعل ؟!

ثم انهارت فجأة فاقدة الوعي ..

تمامًا مثلما أصاب (مشيرة) ، في موقف مماثل ..

وكما فعل (أكرم) عندئذ ، قفز (نور) يلتقط زوجته بين ذراعيه ، على الرغم من أن أنفاسه لم تكن قد انتظمت بعد ، ولم تستوعب عيناه كامل الضوء .. وبكل انفعاله ، هتف :

يا إلهي ! كيف حدث هذا ؟! كيف حدث ؟!

والتفت إلى (نشوى) ، مواصلاً في لهفة :

ـ ماذا فعلت بالله عليك ؟!

حدّقت (نشوى) فيهما لحظة ، ثم انفجرت باكية فجأة ، وكأنما تفرغ كل انفعالات اللحظات السابقة ، فأرقد (نور) زوجته في رفق ، على مائدة بحث كبيرة ، وأسرع إليها ، يحتويها بين ذراعيه ، ويربّت عليها في حنان ، مغمغمًا في إشفاق :

ـ لقد انتهى الأمر يا عزيزتي .. انتهى بفضلك ، بعد الله (سبحانه وتعالى) .

هتف بها رئيس فريق العلماء، بعد أن عاد لاهثًا في انفعال :

ـ ولكن ماذا فعلت ؟! كيف أوقفت هذا ؟!

أجابته من بين دموعها الغزيرة، وهي تدفن وجهها في صدر أبيها :

ـ إنها موجات مخية .

سألها الرجل في حيرة :

ـ ما الذي يعنيه هذا ؟!

تنحنحت لحظة، قبل أن تجيب :

ـ أمي قالت : إن أية موجات، مادام من الممكن التقاطها، فمن الممكن تتبعها أيضًا، ولقد أثبتت هذا، عندما كادت تنجح في تحديد موقع ذلك الخصم المجهول .

بدت حيرة الرجل أكبر، وهو يقول :

ـ ثم ماذا ؟!

قالت في خفوت :

ـ مادامت موجات يمكن استقبالها وتتبعها، فمن الممكن اعتراضها، وتشتيتها، وإفسادها أيضًا .

بدا الانبهار على الرجل، وهو يسألها :

ـ أهذا ما فعلته ؟!

أومأت برأسها إيجابًا، وقالت في بساطة، وهي تجفف دموعها :

ـ كنت أحتفظ بنسخة من الموجات المخية، في جهاز الكمبيوتر الخاص بي، فاستخدمتها، مع مسماع جهازكم المحطم، لبث موجة مضادة في المكان .

هتف أحد رجال الأمن في انبهار أكثر :

ـ ولكننا لم نسمع شيئًا .

أجابته في بساطة مماثلة :

ـ الموجات متناهية القصر لا يمكن سماعها (*)

(*) حقيقة، إذ إن الآذن البشرية لا يمكنها سماع سوى الأصوات، ذات التردد ما بين (٢٠)، و(٢٠٠٠٠) ذبذبة في الثانية فحسب .

ولم يسمع (نور) ذلك الجزء الأخير من الحوار ؛ فحديثها هذا بدا له مدهشًا بحق ..

فالواقع أن ما صنعته (نشوى) ليس مجرد وسيلة إنقاذ سريعة ..

لقد صنعت سلاحًا ..

السلاح الأمثل ، لمثل هذه الحرب ..

سلاح العقول ..

للعقول ..

* * *

فى آلية عجيبة ، ودون أدنى مشاعر ، أدار قائد أمن المستشفى العسكرى فوهة مسدسه الليزرى ، نحو رأس (مشيرة) ..

تلك القوى الرهيبة ، المسيطرة على عقله ، كانت تدفعه دفعًا إلى نسف رأسها ، ومحو الدليل الذى يحتفظ به عقلها ، دون أدنى شفقة أو رحمة ..

ولقد صوّب الرجل فوهة مسدسه فى إحكام ، و ...

ولكن مساعده أدرك مدى خطورة الأمر ..

وأدرك أيضًا أن رئيسه ليس بكامل قواه العقلية ، لسبب لم يفهمه ..

وأن قتله للطبيب ، هو أكبر دليل على هذا ..

وكان من المستحيل ، وفقًا للقواعد الأمنية الرسمية ، أن يسمح باستمرار هذه المهزلة البشعة ..

لذا فقد اتخذ قراره ..

وأطلق الأشعة ..

أطلقها فى البداية ، ليطيح بمسدس رئيسه ، الذى استدار إليه بحركة حادة ، قائلاً بذلك الصوت الآلى المخيف :

ـ ماذا فعلت أيها التعس ؟!

صاح المساعد ، وهو يصوّب مسدسه الليزرى إليه ، فى انفعال شديد :

ـ سيدى القائد ، وفقًا للقواعد واللوائح العسكرية ،

ونظرًا لما تبديه من عدم اتزان عقلى ، أدى إلى تصرفات مخزية ، عسكريًا وآدميًا ، يحق لى أن أعزلك من منصب القيادة ، وأن ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، عندما شعر بغتة وكأن خيطًا من النار قد اخترق عقله ، على نحو مؤلم رهيب ..

وخيّل إليه أن مخه يذوب داخل جمجمته ..

ويذوب ..

ويذوب ..

وكمحاولة أخيرة للمقاومة ، صرخ المساعد :

ـ أطلقوا النيران ..

ومع ما رأوه من أمور عنيفة مذهلة ، لم يتردّد الرجال لحظة واحدة ..

وأطلقوا النيران ..

أطلقوا خيوط أشعة الليزر ، نحو ساقى قائدهم ، كما تقضى التعليمات الصارمة فى هذا الشأن ..

واخترقت الأشعة ساقى الرجل ..

وتخاذل جسده كله ، والدماء تتفجّر من مواضع إصابته ، قبل أن يهوى على ركبتيه أرضًا ..

وهنا ، ووفقًا للقواعد أيضًا ، توقّف الرجال عن إطلاق النار ..

بل وتحرك بعضهم فى سرعة ، لإلقاء القبض على القائد ، وضمان سرعة إسعافه ، والإبقاء على حياته ..

وهنا ، كانت المفاجأة مذهلة بحق ..

مفاجأة مزدوجة رهيبة ، ارتج لها كيانهم حتى النخاع ..

فقبل أن يصل الرجال إلى قائدهم المصاب ، اخترقت رءوسهم خيوط أشعة ليزر قاتلة ، أسقطتهم جثثًا هامدة ، على بعد سنتيمترات من قائدهم ، وعلى مسافة متر واحد من الفراش الصغير ، الذى ترقد عليه (مشيرة) ، فاقدة الوعى ..

واستدار الباقون فى ذعر متحفز ، إلى مصدر الأشعة ، قبل أن تتسع عيونهم فى ذهول تام ..

لقد كان ذلك المساعد ، الذى جمدت عيناه ، وبدا أشبه بشخص آلى ، وهو يدير فوهة سلاحه نحوهم ، وكأنه مصرّ على مواصلة هذه المذبحة الرهيبة ..

وفى اللحظة نفسها ، وعلى الرغم من ساقيه الممزقتين ، نهض قائدهم المغيّب العقل ، وهو يلتقط سلاح أحد الصرعى الثلاثة ، ويصوبه نحوهم بدوره ..

وهنا ، لم يعد هناك مجال للتردّد ..

أو حتى التفكير ..

وتوهجت خيوط الأشعة القاتلة داخل حجرة (مشيرة) ..

الرجال أطلقوا الأشعة ، دفاعًا عن أنفسهم ..

والقائد ومساعده أطلقا الأشعة ، لإزاحتهم عن الطريق ..

وتفجرت الدماء من الجانبين ..

أشعة الرجال نسفت رأس القائد ، وسحقت صدره وذراعه ، واخترقت بطن المساعد وساقيه ، فى حين نجحت أشعة هذا الأخير فى حصد أربعة منهم ، والإطاحة بمسدس الأخير ، الذى تراجع فى ذعر ، هاتفًا :

ـ سيدى .. استيقظ .. ما تفعله غير طبيعى .. إنك تقتل رجالك .. تقتل رفاق السلاح .

بدا المساعد جامدًا شاردًا ، وهو يصوب سلاحه نحو الرجل ، قائلاً بذلك الصوت الآلى المخيف ، الذى أصبح سمة مشتركة ، لكل من يسقط تحت سيطرة ذلك العقل الشرير الجبار :

ـ إنك تعوق طريقى .

ومع آخر حروف كلماته ، ضغط على زناد مسدسه الليزرى ..

وانطلقت خيوط الأشعة ..

انطلقت تنسف رأس رجل الأمن الأخير ، الذى اتسعت عيناه عن آخرهما ، وتفجرت دماؤه لتغمر الحائط من خلفه ، مع أجزاء من مخه المتهتك ، قبل أن يسقط إلى جانب رفاقه ، وسط بحر من الدم ، الناشئ من أبشع مذبحة شهدتها (مصر) كلها ..

وفى جمود تام ، وعلى الرغم من بشاعة الموقف من حوله ، استدار المساعد ، مصوبًا مسدسه الليزرى إلى رأس (مشيرة) ، قائلاً :

- لا ينبغى أن يعوق أى شىء طريقى .

« هذا لن يشملنى .. »

انطلق الهتاف فى غضب صارم ، قبل أن ينقض (أكرم) بمنتهى العنف ، على مساعد الأمن ، مستطردًا :

- هل يدهشك أننى نجوت من الموت أيها الوغد ؟!

سقط الاثنان أرضًا ، وسط بركة الدم ، الذى تناثر على جسديهما ووجهيهما ، و(أكرم) يتابع فى حدة :

- كان ينبغى أن تطلق أشعتك كلها على رأسى ، عندما كنت تسيطر على عقل القائد .

دفعه المساعد عنه بقوة خرافية ، وهو يقول :

- سأتذكر هذا ، فى المرة القادمة .

كانت الدفعة من القوة ، حتى إنها أطاحت بجسد (أكرم) ، ليسقط على بعد مترين من المساعد ، فوق كومة من جثث رجال الأمن ، ولكنه أسرع يقف على قدميه ، وهو يقول فى غضب شديد :

- لن تكون هناك مرة قادمة أيها الوغد .

نهض المساعد بدوره ، وصوب إليه مسدسه الليزرى ، وهو يقول فى سخرية ، جعلها ذلك الصوت الآلى مقيتة مستفزة :

- لى أم لك ؟!

مال (أكرم) جانبًا ، ووثب نحوه ، صائحًا :

- دعنا نبحث عن الجواب أيها الوغد .

انطلق خيط من أشعة الليزر ، متجاوزًا رأس (أكرم) بسنتيمتر واحد ، قبل أن ينقض هذا الأخير

على المساعد ، وهوى على أنفه بثلاث لكمات متتالية سريعة ، صائحًا :

ـ قتال الشوارع علمنى فى حداثتى ، أن الأنف نقطة ضعف قوية .

تحطَّم أنف المساعد فى عنف ، وتفجَّرت منه الدماء ، لتغمر وجهه كله .. إلا أن هذا لم يوقفه ..

بل ولم يحرِّك ساكنًا فيه ، وهو يلكم (أكرم) فى صدره ، لكمة قوية عنيفة ، قائلاً :

ـ ربما لأنك لم تقاتل سوى بشر ضعفاء .

أطاحت اللكمة بجسد (أكرم) فى عنف ، ليرتطم بالجدار المقابل ، قبل أن يسقط أرضًا ..

كانت الآلام رهيبة ..

وفارق القوة مذهلاً ..

ثم إن (أكرم) لم يكن مسلحًا ، على عكس خصمه ..

ومع سقوطه أرضًا ، بدا له أن الأمل الوحيد ، هو أن يلتقط أحد أسلحة رجال الأمن ، الذين تناثرت جثثهم فى المكان ..

لذا ، فقد استنفر (أكرم) كل ما تبقَّى من قواه ، ودفع جسده نحو أقرب سلاح إليه ، و ...

ولكن طلقة ليزر جديدة اخترقت يده ، قبل أن يبلغ السلاح ..

وطلقة ثانية ، أطاحت بالسلاح نفسه ..

ومع صرخة الألم ، التى انطلقت من حلق (أكرم) ، ارتفع ذلك الصوت الآلى الجاف ، يقول فى صرامة :

ـ كان يمكننى أن أطلق النار على رأسك مباشرة .

رفع (أكرم) عينيه إلى المساعد ، الذى يصوِّب مسدسه إلى رأسه ، مستطردًا :

ـ ولكننى أردتك أن تشهد هزيمتك أولاً ؛ حتى تتعلَّم آخر درس فى حياتك التافهة .

وتألقت عيناه على نحو رهيب ، وهو يضيف :

ـ لا أحد يقف فى طريق انتقامى أبدًا .

وهنا .. هنا فقط ، أدرك (أكرم) أنها نهايته .. نهايته بلا ريب .

* * *



٤ـ عقل .. وعقل ..

ظلام دامس ، ذلك الذى راحت (سلوى) تسبح فيه ، فى سرعة عجيبة ، لم تشعر بمثلها من قبل قط ..

ظلام دون لمحة واحدة من الضوء ، حتى إنها لم تكن تدرك ما الذى تسبح فيه بالضبط !

ثم راودتها فجأة فكرة مخيفة ..

تُرى أمازالت على قيد الحياة ، أم أنها تسبح الآن فى عالم الموتى ؟!

صحيح أن أحدًا لم يعد قط ، من عالم الموتى ، ليروى لنا تجربته الشخصية ، إلا أن الظلام الدامس ، وسرعة الانطلاق المدهشة ، جعلاها تتصوّر أن هذا هو الموت ..

والعجيب أن فكرة الموت نفسها لم تفزعها أبدًا ..

كل ما شعرت به هو الحزن الشديد ، على فراق زوجها وابنتها ..

وقبل أن يتوغل عقلها فى الفكرة ، ظهر بصيص ضوء من بعيد ..

ضوء بدا خافتًا ، ثم تعاظم فى سرعة ، ليبدد الظلام ، ويغمر كل شىء من حولها .. ومع الضوء المبهر ، أغمضت عينيها فى قوة ، وهتفت :

ـ رباه ! أين أنا ؟!

أتاها صوت هادئ ، يقول :

ـ اطمئنى يا (سلوى) .. إنه أنا ؟!

فتحت عينيها عن آخرهما ، وهى تهتف فى انفعال :

ـ (محمود) ؟!

كان يقف أمامها ، وسط فراغ لا نهائى ، وعلى شفتيه تلك الابتسامة الرقيقة الهادئة ، التى جعلتها تهتف فى سعادة :

ـ (محمود) .. كم تسعدنى رؤيتك .

أجابها فى هدوء :

ـ لست ترينني حقًا يا (سلوى) ، ولكننى أتصل بعقلك مباشرة ، وخيالك هو الذى يكمل المشهد .

سألته فى حيرة :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجاب فى سرعة :

ـ لا وقت للشرح يا (سلوى) .. صدقينى .. لا وقت أبدًا لهذا ، فأنا أبذل جهدًا خرافيًا مؤلمًا ، للاتصال بكم بهذه الوسيلة .

ثم بدا جادًا مهمومًا ، وهو يتابع :

ـ إنكم تواجهون خطرًا رهيبًا يا (سلوى) .. أعظم خطر واجهتموه ، منذ بدء عملكم ، ولن يمكنكم أبدًا التصدى له ، بأية وسيلة معروفة .

سألته فى لهفة :

ـ أى خطر تقصد يا (محمود) ؟! أهو ذلك المجهول ، الذى يسيطر على العقول ؟!

أجابها فى توتر :

بالضبط .. إنه ليس شخصًا عاديًا يا (سلوى) .. إنه شر رهيب .. شر لم يواجه العالم مثله من قبل .

ارتجف جسدها ، من الصورة التى رسمها خيالها ، وهى تسأله :

ـ أتعنى أننا لن نستطيع مواجهته أبدًا ؟!

هزّ رأسه ، مجيبًا فى أسف :

ـ كل وسائلكم وتكنولوجيتكم المتطوّرة ، لن يمكنها هزيمته ، أو حتى إيقافه .. ربما تستطيعون تحجيمه لبعض الوقت ، أو قطع طريق سيطرته لفترة ما ، ولكنكم لن تستطيعوا هزيمته أبدًا .

شملها الخوف ، وهى تسأله :

ـ ألا توجد أية وسيلة لهذا .

صمت لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ لا توجد سوى وسيلة واحدة يا (سلوى) .

سألته بكل اللهفة :

ـ وما هى ؟!

لم تكد تطرح سؤالها ، حتى انسحب الضوء بغتة وابتعد عنها (محمود) فى سرعة ، فصاحت :

ـ ماذا يحدث ؟! ماذا يحدث يا (محمود) ؟!

رأت شفتاه تتحركان ، وكأنما يمنحها جواب سؤالها ..

إلا أنه كان يبتعد بسرعة ..

والضوء يخبو ..

ويخبو ..

ويخبو ..

وبكل هلعها ، صرخت :

ـ ما الوسيلة يا (محمود) ؟! ما الوسيلة ؟!

تردد السؤال فى ذهنها بصدى عجيب ، وامتزج

بصوت آخر ، لم يميّزه عقلها فى البداية ، ثم لم يلبث أن تبيّن فيه صوت (نور) ، الذى يقول فى قلق :

ـ (سلوى) .. كل شىء انتهى ياحبيبتى .. استيقظى ..

فتحت عينيها فى دهشة ، وحدقت فيه لحظة ، قبل أن تهتف :

ـ (نور) ؟!

احتواها زوجها بين ذراعيه فى حنان ، وهو يقول :

ـ لقد نجوت منه يا عزيزتى .. كلنا نجونا منه .

تراجعت هاتفة :

ـ لا يا (نور) .. لا يوجد أى سبيل لهزيمته .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يسألها :

ـ ماذا تعنين ؟!

هتفت بصوت مرتجف :

ـ (محمود) أخبرنى بهذا يا (نور) .. أخبرنى أنه لا يوجد أى سبيل معروف لهزيمته .

تطلّع إلى وجهها لحظة فى حيرة ، وراودته فكرة أن تكون مجرّد هلاوس ما بعد الغيبوبة ، وهو يقول فى حذر :

ـ ولكننا ـ (نشوى) وأنا ـ وجدنا بالفعل سبيلاً لهذا يا (سلوى) .

هتفت :

ـ ربما كانت وسيلة تكفى لتحجيمه مؤقتًا ، أو لحجب سيطرته العقلية لزمن محدود ، إلا أنها لن تهزمه .. لن تهزمه أبدًا يا (نور) .

ثم تفجّرت الدموع من عينيها ، وهى تضيف :

ـ (محمود) أخبرنى بهذا .

عاد يتطلّع إليها بنفس الحيرة ، قائلاً فى حذر أكثر :

ـ ولكن (نشوى) أخبرتنى أنكم لم تتمكنوا من عقد اتصال متكامل مع (محمود) .

تشبثت به فجأة ، هاتفة :

ـ لقد زارنى فى غيبوبتى يا (نور) .

تراجع بحركة حادة ، قائلاً :

ـ فى غيبوبتك .

أجابته فى سرعة وانفعال :

ـ نعم .. تمامًا كما اتصل بك فى أحلامك ذات يوم .

انعقد حاجباه أكثر ، وهو يقول :

ـ تذكرين كيف كاد هذا يؤدى إلى كارثة يوما(*) .

هتفت :

ـ (نور) .. صدقنى .

هبَّ واقفًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ صدقينى أنت يا (سلوى) .. (نشوى) وجدت بالفعل وسيلة لمنع ذلك الوغد ، من السيطرة على عقولنا ، ولولا هذا لما نجونا منه ، أنت وأنا ، وهذه الوسيلة ببساطة هى ..

(*) راجع قصة (وراء العقل) ... المغامرة رقم (١٢٩) .

قاطعته فى ذعر :

ـ لا .. لا تخبرنى يا (نور) .. قد يقرأ عقولنا ، وتتعرَّض ابنتنا للخطر ؛ بسبب هذا .

ابتسم ، قائلاً :

ـ اطمئنى يا (سلوى) .. بعدما توصَّلت إليه (نشوى) ، أصبحت إدارة المخابرات العلمية كلها ، متضمنَة إدارة الأبحاث أيضًا ، آمنة تمامًا من سيطرة ذلك الوغد العقلية .

وعاد يجلس إلى جوارها ، مستطردًا :

ـ فعندما شاهدتك (نشوى) ، وأنت واقعة تحت سيطرته ، وتكادين تعتصرين الحياة من عنقى ، قفزت الفكرة إلى ذهنها .

اتسعت عينا (سلوى) ، وهى تهتف فى ارتياع :

ـ يا إلهى ! هل فعلت هذا حقًا ؟!

ربَّت على خدها ، قائلاً بابتسامة :

ـ لم تكونى فى وعيك يا عزيزتى .

سالت الدموع على عينيها فى صمت ، فاحتواها فى صدره مرة أخرى ، وهو يتابع :

ـ لقد استخدمت نظريتك ، التى تتعامل مع قدراته العقلية الفائقة ، باعتبارها مجرد موجات ، يمكن تعقبها ، والكشف عنها ، والتعامل معها بكل الوسائل المتاحة ، للتعامل مع أية موجات أخرى ، وطورت هذا بسرعة وعبقرية ، لتصنع موجات مضادة ، ما إن أطلقتها فى المكان ، حتى تلاشى أثر سيطرته العقلية فورًا .

هتفت بأنفاس مبهورة :

ـ (نشوى) فعلت هذا ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال بابتسامة فخر :

ـ كانت لمحة عبقرية بحق .

سألته فى لهفة :

ـ ولكنك قلت إنك وهى فعلتماها .. أليس كذلك ؟!

أجابها بنفس الابتسامة :

ـ بل قلت : هى وأنا يا عزيزتى ؛ فابنتنا (نشوى) ابتكرت الموجة المضادة ، متناهية القصر ، أما كل ما فعلته أنا ، فهو اقتراح بأن يتم بث هذه الموجة المضادة ، عبر أبراج وشبكات (أنباء الفيديو) ، إلى الأقمار الصناعية الإعلامية ، حتى يمكن تضخيمها رقميًا ، وإطلاقها فى كل أنحاء العالم .

تألقت عيناها ، وهى تهتف فى انبهار :

ـ وهكذا ينمحى تأثير سيطرته العقلية !

أجابها وقد اتسعت ابتسامته :

ـ بالضبط .

هتفت فى سعادة غامرة :

ـ إنها فكرة عبقرية يا (نور) .. عبقرية إلى أقصى حد .

ثم تراجع انفعالها فجأة ، لتضيف فى توتر :

ـ ولكن (محمود) قال : إنه لا توجد وسيلة لـ ...

قاطعها فى حزم :

ـ لا أحد يمكن أن يجزم بأنك قد التقيت بـ (محمود) يا (سلوى) ، ولا بأن ما قاله يستحق الاهتمام أو الانتباه .

هتفت معترضة :

ـ ولكن يا (نور) ..

استوقفها ، قائلاً بنفس الحزم :

ـ لقد عثرنا على وسيلة إيقافه يا (سلوى) .

سألته فى عصبية :

ـ وماذا عن هزيمته ؟!

نهض يشدّ قامته ، قائلاً :

إيقافه هو الخطوة الأولى فيها يا (سلوى) .

تراجعت ، متمتمة :

ـ ربما يا (نور) .. ربما ..

نطقتها بلسانها ، ولكن قلبها ظلّ يشعر بقلق لا حدود له ، أما عقلها ، فراح يردّد كلمات (محمود) المخيفة ..

« لا توجد أية وسيلة معروفة لهزيمته يا (سلوى) .. »

وفى أعماقها ، راح خوف مبهم ينمو ..

وينمو ..

وينمو ..

بلا حدود ..

* * *

صرخة قوية ، انطلقت من بين شفتى (أكرم) ، وهو يتوقّع أن تنطلق أشعة الليزر القاتلة ، من فوهة مسدس مساعد قائد أمن المستشفى ، لتضيف اسمه إلى سجل ضحايا المذبحة الرهيبة ، وتريق دماءه ، فوق بحيرة الدم التى تسبح فيها الحجرة ..

صرخته كانت تحمل الغضب ..

كل الغضب ..


خفق قلب (أكرم) بمنتهى العنف ، وهو يتساءل في أعماقه :
- ترى ماذا حدث ؟!

وتحمل أيضًا لوعته على ما يمكن أن يصيب زوجته ، بعد أن يذهب هو .. وبكل مشاعره وانفعالاته ، صرخ :

- أيها الوغد !

خُيِّل إليه أن يد الرجل قد ارتجفت ، وأن عينيه قد ارتجفتا فجأة ، وأطلّت منهما نظرة مذعورة ، وهو يحدّق فيه بذهول .

ثم فجأة ، عجزت ساقاه عن حمله ، فهوى وسط بركة الدم ، صائحًا في ارتياع :

- رباه ! ماذا حدث ؟! ماذا حدث ؟! ماذا أصاب الرفاق ؟! من فعل بهم هذا .

واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يتطلّع إلى المسدس ، الذى يحمله بيده ، وغمغم :

- لا .. مستحيل ! مستحيل !

خفق قلب (أكرم) بمنتهى العنف ، وهو يتساءل في أعماقه : ترى ماذا حدث ؟!

هل استعاد الرجل وعيه بغتة ؟!

هل ؟!

وبكل حذر الدنيا ، وعلى الرغم من آلامه وإصاباته ، مد يده نحو المسدس الليزرى ، الذى يمسك به المساعد ، وهو يقول :

- اهدأ يا رجل .. إنك لم تكن تدرى ما الذى تفعله ؟!

تراجع الرجل مع مسدسه بحركة حادة ، صائحًا فى انهيار :

- إذن فأنا فعلته .

ثم لوّح بالمسدس فى ثورة ، صارخًا :

- أنا فعلت هذا الأمر البشع الرهيب ! أنا المسئول عن هذه المذبحة الوحشية ! يا إلهى ! يا إلهى !

كرّر (أكرم) ، هاتفًا :

- لم تكن تدرى ما تفعله .

صرخ الرجل :

- ولكننى فعلته .

وعاد يدير عينيه فى جثث رفاقه ، قبل أن يضيف فى انهيار :

- ولن يمكننى نسيان هذا أبدًا .. لن أغفر لنفسى ما حدث .. لن أغفر لنفسى أبدًا .

ثم رفع فوهة مسدسه إلى رأسه ، مستطردًا فى عصبية بالغة :

لن أغفر لنفسى .

صاح (أكرم) ، وهو يحاول الاندفاع نحوه :

- لا يا رجل .. لا ..

ولكن سبّابة المساعد سبقته إلى زناد مسدسه ..

وانطلقت أشعة الليزر ..

وأطلق (أكرم) صرخة أخرى ، حملت انفعالاً بلا حدود ، عندما تناثرت دماء الرجل على وجهه

وثيابه ، قبل أن يسقط هذا الأخير جثة هامدة ، وسط بركة الدماء ، وجثث الأبرياء ..

وحدّق (أكرم) فيما أمامه ، وقد انهارت عدة مشاعر قوية فى أعماقه ..

لقد نجت زوجته (مشيرة) ..

ولكن الثمن كان غاليًا ..

وفادحًا ..

إلى أقصى حد ..

عدد كبير من الرجال لقى مصرعه ..

مذبحة رهيبة أعلنت وجودها ..

دماء بريئة طاهرة ، أريقت بلا هوادة ..

بلا شفقة ..

وبلا رحمة ..

ومرة أخرى ، صرخ (أكرم) بكل قوته :

ـ ألا تكفيك كل هذه الدماء أيها الوغد .

وبكل مرارة الدنيا ، عضّ شفتيه حتى أدماهما ، لتمتزج دماؤهما بتلك الدماء ، التى تسيل من جراحه ، ويشتركان معًا ، بإضافة قطرات جديدة ، إلى بحيرة الدم الرهيبة ، التى غمرت كل شىء ، وعقله يصرخ فى أعماقه ..

متى ينتهى كل هذا ؟!

متى ؟!

متى ؟!

هذا هو السؤال ..

وهذه هى الصرخة ..

الحقيقية ..

* * *

« انتصار رائع يا (نور) .. »

نطق القائد الأعلى العبارة فى ارتياح وتقدير ، وهو يربّت على كتف (نور) ، الذى وقف أمامه ثابتًا مشدود

القاعة، فهتف الدكتور (جلال)، رئيس مركز الأبحاث العلمية فى حماسة :

- الفريق كله أبلى بلاءً حسنًا بحق، وأوقف نهرًا من الدم، كاد يغرق (مصر) كلها، ويمتدّ إلى العالم بأكمله، بعد أن أسقط عشرات الضحايا بلا رحمة، فى ساعات معدودة .

ثم هزّ رأسه فى قوة، متابعًا :

- لا يمكننى أن أتصوّر ما كان يمكن أن يحدث، لو تواصل هذا العنف الوحشى ليوم آخر .

هتف القائد الأعلى :

- يفزعك مجرّد التفكير فى نتائج يوم آخر، فما بالك بما كان يمكن أن يحدث، لو انتصر هذا الشىء .

شدّ (نور) قامته أكثر، وتنحنح فى توتر، قبل أن يقول :

- معذرة يا سادة، ولكننى لا أعتبر ما فعلناه انتصارًا .

تطلّع إليه القائد الأعلى فى دهشة، فى حين قال الدكتور (جلال)، فى حماسة جارفة شديدة :

- ولكنه كذلك بالفعل أيها المقدّم، وبالنسبة لى، أظن أن ...

قاطعه القائد الأعلى بإشارة حازمة من يده، ليسأل (نور)، فى اهتمام قلق :

- ولماذا لا تعتبره كذلك يا (نور)؟!

أجابه فى حزم :

- لأننا مازلنا نتحدّث عن ذلك الشىء، ونحاول أن نتخيّل ما كان يمكن أن يحدث، ونتصوّر بشاعة انتصاره، ونرسم فى أذهاننا حدودًا لقوته، دون أن نتحدّث لحظة واحدة، عن حقائق ملموسة، يمكننا أن نقبض عليها بأصابعنا .

ثم عاد يشدّ قامته، مضيفًا :

- ولا يمكننا أن نصف حالاً كهذا بالانتصار يا سيّدى .

تبادل القائد الأعلى نظرة متوترة مع الدكتور (جلال) ، قبل أن يقول هذا الأخير :

ـ ألا تعتقد أنك متأثر فى هذا بحديث زوجتك ، عن مقابلتها الوهمية ، مع زميلكم السابق (محمود) ، والتى لم يثبت حدوثها فعليًا قط ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ مطلقًا يا دكتور (جلال) .. إننى أتحدث من منطلق عقلانى بحت ؛ فمن الناحية الفعلية والعملية ، لسنا ندرى شيئًا حتى الآن ، عن هوية خصمنا أو قدراته ، أو حتى حدود إمكانياته العقلية الفائقة ؛ لأننا ، وبكل بساطة ، لم نواجهه أبدًا ، حتى لحظتنا هذه .. كل ما رأيناه ، وخبرناه ، وعرفناه ، هو قدرته على السيطرة على عقول الآخرين ، وهذا أيضًا ما رصده جهاز استقبال الموجات متناهية القصر .

قال الدكتور (جلال) فى توتر :

ـ ولكن موجات (نشوى) المضادة أوقفت قدرته

هذه يا (نور) ، وما حدث لزوجتك ، فى مركز الأبحاث ، وما يتفق معه مما حدث لزميلكم (أكرم) ، فى المستشفى العسكرى ، يثبت نجاح هذا الأسلوب ، فلماذا تشعر بالقلق إذن ؟!

بدا (نور) أكثر حزمًا ، وهو يجيب :

ـ لأن الرجل لديه قدرة على السيطرة على التكنولوجيا أيضًا يا سيدى ، وهذا واضح ، فى منع محادثته الهاتفية من تسجيل نفسها ، فى هاتف (شريف صابر) مرتين ، على الرغم من كفاءة الدائرة الرقمية فيه ، ودفعه آلات البث لعرض فيلم عالميًا ، بعد أن أوقفنا عملها تكنولوجيًا ، وكذلك فى إشعال الحرائق ، فى دوائر كمبيوتر السجلات الطبية ، ومنع إنذار الحريق ، وأجهزة الإطفاء الإليكترونية من العمل ، كمحاولة لقتل (رمزى) .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى صرامة :

ـ كل هذا يؤكد أن قدرات خصمنا تتجاوز الحدود التى نتصورها بكثير ، وأننا لانستطيع استنتاج خطواته

التالية ، التى ربما يجلس لإعدادها وتدبيرها الآن ؛ ليباغتنا بها فى جولة جديدة أكثر عنفًا ، بعد أن نتراخى ونهدأ ، مع شعورنا الزائف بالانتصار .

كلماته الأخيرة بثت فى الرجلين خوفًا مبهمًا ، جعل كلاهما يلوذ بالصمت ، قبل أن يقول القائد الأعلى فى حزم :

ـ لابد أن نحيط شبكة البث الرئيسية ، لجريدة (أنباء الفيديو) ، بقوات حراسة قوية ، وإحكام سيطرتنا عليها تمامًا ، حتى يكتمل بناء أسلوب البث الخاص بنا ، فى إدارة الأبحاث العلمية ، وينبغى أن ..

قاطعه (نور) فى حزم :

ـ لست أظن هذا يكفى يا سيدى .

قال الدكتور (جلال) فى صرامة متوترة :

ـ ليس من اللياقة ، أو من قواعد الانضباط العسكرى ، أن تقاطع قائدك الأعلى ، على هذا النحو أيها المقدم .

انعقد حاجبا (نور) ، دون أن يجيب أو يعلّق ، فى حين رمق القائد الأعلى مديرمركز الأبحاث بنظرة عتاب صارمة ، قبل أن يلتفت إلى (نور) ، ويسأله فى اهتمام :

ـ كيف حال فريقك الآن يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ (سلوى) و(نشوى) تعملان مع فريق البحث العلمى الزمنى ، لسرعة إعادة بناء نظام استقبال الموجات متناهية القصر ، وتطويره بحيث يمكنه البث أيضًا ، وهذا لن يستغرق وقتًا طويلاً ، كما أكدت لى زوجتى ؛ باعتبار أن التصميمات الرئيسية كلها متاحة ، والبرنامج الذى صنعته ابنتى قادر على بث تلك الموجات بالفعل ، أما (أكرم) ، فلست أظنه يستطيع مشاركتنا الآن ، مع كل ما يعانيه من إصابات ، ولولا الدرع الواقية من الرصاصات وأشعة الليزر ، التى كان يرتديها تحت قميصه ، لكان الآن فى عداد الأموات ، ولقد تم نقله ، هو وزوجته السيدة (مشيرة) ، التى أعتبرها شاهد العيان الوحيد لدينا ، إلى جناح طبى خاص ، تحميه الموجات المتناهية المضادة ، وكذلك تم نقل (رمزى) ،

الذى يؤكد الأطباء أن حالته مطمئنة ، وإن كان يعانى مؤقتًا من فقدان ذاكرة جزئى ، سيزول خلال ساعة واحدة على الأكثر .

سأله القائد الأعلى ، فى اهتمام أكثر :

ـ وما خطتك للجولة القادمة ؟!

أجابه بنفس السرعة :

ـ أعتقد أننى سأعفى (أكرم) ، من مواصلة العمل فى هذه المهمة ؛ نظرًا لحالته ، ولقلقه الشديد على مصير زوجته ، الذى يشغله طوال الوقت عن التعامل مع الموقف بالمصداقية والتركيز الكافيين ، أما (رمزى) ، فمن المؤكد أنه قد عثر على شىء ما ، فى السجلات الطبية العالمية ، دفع خصمنا المجهول إلى محاولة القضاء عليه ، بوساطة ذلك الحريق ، ومن الضرورى أن يستعيد ذاكرته ، بعد أن يعود إليه وعيه كاملاً ، لنعرف ما الذى عثر عليه .. أما بالنسبة للسيدة (مشيرة) ، فقد حاولت التذكر بالفعل ، إلا أن محاولتها هذه ارتطمت

بشىء ما ، زرعه ذلك الخصم المجهول فى عقلها .. شىء أصابها بفزع مفاجئ ، وجعلها تسقط مرة أخرى فى غيبوبة ، لم تخرج منها ، حتى هذه اللحظة ، وأعتقد أننى سأحتاج إلى (رمزى) ، لانتزاع ما رآه عقلها ، فى أثناء اتصاله بعقل الخصم .

سأله الدكتور (جلال) فى اهتمام :

ـ وبم يمكن أن يفيدك (رمزى) هنا ؟!

أجابه (نور) :

ـ (رمزى) خبير فى التنويم المغناطيسى ، ولديه موهبة كبيرة فى هذا الشأن ، بحيث يمكنه أن يدفع الشخص الخاضع له ، إلى الغوص فى الأماكن المظلمة من عقله ، وتجاوز أية حواجز فيه ، لبلوغ النقطة التى يسعى إليها .

سأله القائد الأعلى :

ـ وهل تعتقد أن هذا سيفلح ، مع السيدة (مشيرة) ؟!

تنهد (نور) ، مجيبًا :

ـ أتعشم هذا يا سيدى .. أتعشم هذا .

سأله الدكتور (جلال) ، وهو يشير بيده :

ـ وما دور زوجتك وابنتك بالضبط ، فى المرحلة القادمة ؟! ألم توقف موجات (نشوى) المضادة ، نشاط الموجات المخية الفائقة ، التى يمكن لـ (سلوى) التقاطها ، والاستفادة منها على أى وجه ؟!

صمت (نور) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ الواقع يا سيدى أن (سلوى) و(نشوى) لن تتعاملا مطلقًا ، مع موجات مخ خصمنا الفائقة .

سأله القائد الأعلى فى دهشة :

ـ ما الذى تفعلانه إذن ؟!

أجاب (نور) فى سرعة :

ـ تساعدانى على ضم عضو جديد إلى الفريق .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف فى حزم :

ـ أو بمعنى أدق ، إعادته إليه .

اتسعت عينا القائد الأعلى عن آخرهما ، فى فهم واضح ، فى حين تساءل الدكتور (جلال) ، فى حيرة حذرة :

ـ أى عضو هذا ؟!

شد (نور) قامته مرة أخرى ، مجيبًا بمنتهى الحزم :

ـ (محمود) .. زميلنا القديم (محمود) .

وكانت مفاجأة حقيقية ..

ومدهشة .

* * *



ـ مرحلة جديدة ..

مع الصمت التام ، المحيط بذلك الوادى الواسع ، ين جبال (التبت) العالية ، بدا المعبد البوذى لقديم ، الذى يحتلّ مساحة واسعة ، وكأنه مقبرة خالية من الحياة تمامًا ، وذلك الراهب المختار يتقدّم حوه ، فى هدوء عجيب ، لا يوحى بالرحلة الشاقة جدًا ، التى قطعها وحده ، وسط البرد والثلوج ، حتى يصل إلى هناك ..

ومع اقترابه من المعبد ، الذى يعتبر أقدم معابد المنطقة ، خرج من المكان عدد من الرهبان ، لهم نفس الوجوه النحيلة الشاحبة ، والرءوس الصلعاء ، التى تخلو من الشعر تمامًا ، مما جعلهم أشبه بعدة نسخ من شخص واحد ..

وفى هدوء ونظام مدهشين ، صنع هؤلاء الرهبان

صفًا واحدًا ، وقف فى استقبال الراهب المختار ، الذى واصل طريقه ، حتى وصل إليهم ، وحيّاهم بإيماءة هادئة من رأسه ، قبل أن يتجه إلى داخل المعبد فى صمت ، فتبعوه جميعهم ، وهم يصنعون نصف دائرة من خلفه ، على نحو جعلهم أشبه بسرب من الطيور ، يستعد للرحيل ، فى موسم الهجرة ..

وما إن دخل الراهب المختار المعبد ، حتى التفّ الجميع حوله ، فى دائرة كاملة ، بدت كاملة الاستدارة ، شديدة الانتظام على نحو مبهر ، وإن شملها صمت تام مهيب ..

والعجيب أن ذلك الصمت كان ظاهريًا وخارجيًا فحسب ..

فعبر عقولهم ، كان الراهب يقول بعقله :

ـ الغريب ، الذى جاء ليتتلمذ على يد زميلنا ، فى المعبد العلوى ، تجاوز كل الحدود .. لقد تفوق عقله ، وامتلأ بكل شرور الدنيا .. فقتل .. وهرب .. وأطلق شروره فى عنف ..

استقبل عقله سؤالاً يقول :

ـ إلى أين ذهب ؟!

أجاب بعقله :

ـ عقلى وحده لايكفى للرصد .. أحتاج إلى عقولكم جميعًا .

عند هذه المرحلة ، جلس الجميع القرفصاء ، فى شكل الدائرة نفسه ، فى حين جلس الراهب المختار فى المركز ..

وأغلق الجميع عيونهم ..

ثم انطلقت عقولهم ..!

انطلقت كلها نحو الراهب المختار ، الذى استقبلها بعقله ، وشحن بها قوته ، لتنطلق قواهم كلها عبر عقله وحده ..

تمامًا كما تفعل مكثفات أشعة الليزر ..

أو أجهزة البث القوية ..

جدًا ..

ومع قواهم مجتمعة ، انطلق عقله بقوة أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

انطلق على نحو لا يمكن وصفه ، بأية مصطلحات علمية معروفة ..

أو حتى بأى مصطلح أدبى معتاد ..

أو غير معتاد ..

انطلق عقله ، المحمّل بقوى عقولهم ، يجوب العالم كله بلا استثناء ..

تمامًا كموجة قوية ، نبعت من نقطة ما ، وراحت تنتشر ، لتحيط بالكرة الأرضية كلها ..

والعجيب أن هذه الانطلاقة العقلية المدهشة لم تستغرق سوى ثوان معدودة ..

ثوان لم تتجاوز أصابع اليدين ..

وبعدها ، انحسرت تلك الموجة بنفس السرعة ..

وارتدت إلى عقل الراهب المختار ..

ومنه إلى عقول الآخرين ..

ومن الواضح أن ما حدث قد استلزم منهم جهدًا خرافيًا ، يتجاوز الحدود ..

كل الحدود ..

حدود قواهم العقلية ..

والجسدية أيضًا ..

فما إن انحسرت تلك الموجة إلى عقولهم ، حتى سقطت رءوسهم على صدورهم ، كما لو أنهم قد فقدوا وعيهم ..

ولكنهم ظلوا جالسين القرفصاء ، وإن خلت أجسادهم وملامحهم ، من كل أثر للحياة والنشاط ..

وطوال أكثر من ساعة كاملة ، ظلوا على وضعهم هذا ..

لقد استنفدت المحاولة الفائقة قواهم ..

كل قواهم ..

وخلال تلك الساعة ، استيقظت عقولهم ، واستعادت سيطرتها على أجسادهم ، فاعتدلوا فى مجلسهم ، وعادت الحيوية إلى عيونهم الضيقة ، الغائرة وسط وجوههم النحيلة ، التى ازدادت شحوبًا وذبولاً ، وهم يعاودون اتصالهم العقلى المباشر ..

وعبر عقله ، قال الراهب المختار كلمة واحدة :

- (مصر) ..

واستقبلت عقولهم الكلمة ..

واستوعبتها ..

وهضمتها ..

وأدركت الخطوة التالية المطلوبة ..

وعبر عقل أحدهم ، التقط الكل رسالة واضحة ..

الأمر يحتاج إلى كل القوة ..

وكل العقل ..

وكلاهما يحتاج إلى النشاط التام ، الذى لايمكن أن يصنعه شخص مجهد ..

أو شخص بمفرده ..

ومع استقبالهم للرسالة ، عاد الرهبان يغلقون عيونهم ..

ويسترخون ..

استعدادًا للمرحلة التالية ..

المرحلة الجديدة ..

والخيفة ..

جدًا ..

* * *

وسط الظلام الدامس ، فى مكان ما من أرض (مصر) ، جلس ذلك الرجل القرفصاء ، فى نفس الوضع الذى اتخذه الرهبان فى معبدهم ..

وراح عقله يعمل على نحو عجيب ..

ولو أوصلنا عقله لحظتها ، بأحد أجهزة رسم المخ الإليكترونية ، لانفجر بمنتهى العنف ، مع قوة الموجات المنبعثة منه ..

الموجات الجبّارة ..

وفى تلك اللحظة بالذات ، كانت تلك الموجات محمّلة بالغضب ..

كل الغضب ..

لقد نجح (نور) وفريقه فى مقاومته ، إلى حد ما ..

نجحوا فى تحجيم قدرته المدهشة ، على السيطرة على عقول البشر ..!

وهو لم يضع هذا فى حسابات خطته أبدًا ..

كان يعلم جيدًا ، أن وصول قواه العقلية إلى مدى فائق ، يجعل مخه يطلق تلك الموجات متناهية القصر ..

ولكنه كان يدرك أنه لا توجد وسيلة واحدة ، على الأرض كلها ، يمكن أن تلتقط تلك الموجات ..

أو ترصدها ..

ولكن من الواضح أن العلم يتقدم أسرع مما تصوّر ..

أسرع بكثير ..

أو أن مصادفات القدر تعمل ضده ..

لقد التقطوا موجات مخه ، عندما ارتفعت ؛ لتبلغ قدرة السيطرة على عقول البشر ..

ليس هذا فحسب ، ولكنهم نجحوا فى تتبعها أيضًا ..

وإطلاق موجة متناهية الصغر ، لإفساد مفعولها ..

ولقد نجحوا إلى حد ما ..

فمع الموجة المضادة ، التى تغمر العالم كله تقريبًا ، لن ينجح عقله فى بلوغ المرحلة الكافية ؛ للسيطرة على عقول الآخرين ..

ولكن من الواضح أنهم لا يدركون مدى قوته ..

وقدراته ..

وعقله ..

أولئك الرهبان ، فى جبال (التبت) ، لم يمكنهم فهمه ..

أو استيعاب قوته ..

ومن حسن حظه أنهم عجزوا عن هذا ..

فلو أدركوا حقيقته ، لما منحوه علمهم أبدًا ..

ولقد كان يحتاج إلى هذا ..

يحتاج إليه بشدة ..

ولولا صبره وإرادته ، لما بلغ ما بلغه الآن ..

لقد تفوّق على عقولهم المتطوّرة ..

كل عقولهم ..

قدرات عقله الآن تفوق قدرات عقولهم مجتمعين ..

ثم إنه أكثر ذكاءً منهم أيضًا ..

أكثر ذكاءً من كل البشر ..

بلا استثناء ..

هذا ما أثبته فيما مضى ..

وما ينبغى أن يثبته الآن ..

توقفت أفكاره كلها ، وهو يغلق عينيه فى قوة ، على الرغم من الظلام الدامس المحيط به ، والذى يغمره تمامًا ، دون بصيص واحد من الضوء ..

كان يفعل نفس ما فعله رهبان (التبت) ..

يدفع جسده إلى الاسترخاء ، ليشحن قواه العقلية إلى آخر مدى ممكن ..

لقد تحداه (نور) وفريقه ، وتصوّروا أنهم قد انتصروا عليه ..

وعليه أن يثبت لهم العكس ..

لابد أن يدركوا أنه أقوى منهم ..

وأبرع منهم ..

وأذكى منهم أيضًا ..

فقواعد اللعبة لا تعتمد على قواه العقلية وحدها ، وإلا لهزمه رهبان (التبت) ..

ولسحقوه سحقًا ..

فقوته الحقيقية تكمن فى ذكائه ..

وبراعته ..

وقلبه ..

قلبه الذى ينبض ليدفع الدم فى عروقه فحسب ..

دون ذرة واحدة من الرحمة ..

أو الشفقة ..

أو الإنسانية ..

فمن الناحية العملية ، هو رجل بلا أحاسيس ..

بلا مشاعر ..

وبلا قلب ..

على الإطلاق ..

ومن وجهة نظره ، كان هذا يعنى المزيد من القوة ..

القوة بلا حدود ..

وعليه أن يثبت هذا أيضًا ..

وبأعنف وسيلة ممكنة ..

وسيلة تعلن أنه ما زال هناك ..

ما زال الأقوى ..

والأبرع ..

والأكثر قسوة ..

لابد أن يخافه الكل ويخشاه ..

لابد ..

هذه هى الخطوة الأولى فى انتقامه ..

انتقامه اللامحدود ..

لم يكد يبلغ هذه المرحلة من أفكاره ، حتى شعر بموجة عقلية عنيفة ، تنقضّ على عقله ..

موجة لم يواجه مثلها من قبل قط ..

موجة أصابته ، كما لو كانت صفعة قوية ، ارتج لها جسده ..

بل كيانه كله ..

ولثوان لم تتجاوز أصابع اليدين ، ترنح جسده بقوة ، وبدا وكأنه سيسقط على ظهره ..

ثم استعاد تماسكه فى سرعة ..

وانعقد حاجباه ، بكل غضب الدنيا ..

وكل شرور الكون ..

لقد كشفوا موقعه ..!

أولئك الرهبان اتحدوا بعقولهم ..

وانطلقوا خلفه ..

وكشفوا أمره ..

ولقد منحهم اتحادهم قوة رهيبة ..

قوة كانت تسيطر على عقله ..

لو لا أن هذا لايمكن أن يحدث ، إلا لفترة قصيرة من الزمن ..

قصيرة جدًا ..

فترة لا تكفى لبلوغهم عقله ..

والسيطرة عليه ..

وإخضاعه ..

إلا أنه لا ينبغى أن يستهين بهذا أبدًا ..

إنهم قادمون ..

أحدهم على الأقل سيأتى ..

ولو أنه اتحد مع (نور) وفريقه ، فستصبح المعركة عنيفة ..

عنيفة إلى أقصى حد ..

لذا ، فمن المحتّم أن يتحرّك بمنتهى القوة ..

ومنتهى السرعة ..

لابد أن يسحق (نور) وفريقه سحقًا ، قبل أن يتصل بهم أحد الرهبان ..

قبل أن يكشف لهم سر قوته ..

ونقطة ضعفه ..

نقطة ضعفه الوحيدة ..

وبكل صرامة وشر الدنيا ، عاد يجمد في مجلسه ، وعقله يعيد دراسة الموقف بأكمله ، من خلال كل ماسمعه بآذان الآخرين ..

وكل ما رآه بعيونهم .

وكل ما انتزعه من عقولهم وأفكارهم ..

لقد أوقفوا قدرته على السيطرة على عقول البشر ، بوساطة تلك الموجة المضادة ، التى يبثونها من مكان ما ..

لابد إذن أن يمنع ذلك البث ..

وبأى ثمن ..

وبإرادة فولاذية ، راح يعتصر عقله ..

ويعتصره ..

ويعتصره ..

ثم تألقت عيناه ببريق شيطانى مخيف ، كاد يبدد الظلام الدامس ، المحيط به من كل جانب ..

لقد منعوه من السيطرة على عقول البشر ..

ولكن هناك عقول أخرى ..

عقول أقل كفاءة ..

ولكن أجساد أصحابها أكثر قوة ..

وأكثر شراسة ..

ووحشية ..

عقول يمكنها أن توصله إلى هدفه ..

من أقصر طريق ممكن ..

ومع اختمار ذهنه بالفكرة الشيطانية ، تضاعف تألق عينيه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وانطلق عقله يعمل ...

بمنتهى البراعة ..

ومنتهى الشر ..

* * *

« إنها موجة مخية هائلة .. » ..

نطقت (سلوى) العبارة ، فى توتر شديد ، وهى تتطلع إلى الشاشة الجديدة ، لجهاز استقبال الموجات متناهية القصر ، قبل أن تتراجع فى مقعدها ، وتلوّح بيدها ، متابعة :

- قوتها تفوق قوة الموجة الأولى بمرتين على الأقل .

غمغمت (نشوى) فى قلق :

- يا إلهى ! هل يمكن أن تبلغ قوته هذا الحد ؟!

هزّت (سلوى) رأسها، قائلة :

- لست أدرى، ولكنها لم تستغرق فترة طويلة .. لم تبلغ حتى ما يكفى لتحديد مصدرهما ..

تراجعت (نشوى) فى مقعدها، متسائلة :

- تُرى ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

عادت (سلوى) تهزّ رأسها، مغمغمة :

- لست أدرى يا (نشوى) .. حقًّا لست أدرى .

قال رئيس فريق العلماء فى عصبية :

- لابد أن تبذلى قصارى جهدك يا سيّدتى، فلم يعد لدينا علماء اتصالات أكفاء سواك، بعد أن ..

انعقد حاجباها، وهى تقاطعه فى صرامة :

- أعلم هذا .



ومع اختمار ذهنه بالفكرة الشيطانية، تضاعف تألق عينيه أكثر .. وأكثر ..

ثم التفتت إلى (نشوى)، تسألها فى اهتمام، وكأنها تفرّ من خوض هذه المناقشة المستفزة:

ـ هل تعتقدين أنه بإمكانك إتمام الاتصال، مع موجات (محمود) ؟!

صمتت (نشوى) بعض الوقت، وأصابعها تتقافز على أزرار الكمبيوتر، قبل أن تجيب:

ـ موجاته لم تعد متاحة على الشاشة، لسبب نجهل كل شيء عنه، ولكننى سأبث الاتصال على أية حال.

نقل رئيس الفريق نظره بينهما، قبل أن يقول:

ـ هل تعلمان أن ما تفعلانه يعدّ فتحًا، فى عالم الاتصال بين الأبعاد المختلفة ؟!

غمغمت (نشوى):

ـ نتعشّم هذا.

قال فى حماسة:

ـ لو نجحتما فيما تفعلانه، فستفتحان آفاق دنيا

جديدة .. ستضعان اللبنة الأولى، فى علم لم تعرفه الأرض من قبل .. علم الاتصال بين الأزمنة والأبعاد، من خلال ما أطلقتما عليه اسم (الفراغ الزمنى الحر)؛ فوفقًا لما سمعته منكما، يعتبر ذلك الفراغ مرحلة وسيطة، تربط كل الأزمنة والأبعاد بعضها ببعض .. ومن يدرى ما الذى يمكن أن يبلغه العلم وقتها .. ربما تكشف أبعادًا جديدة لعالمنا، أو عوالم أخرى، تحتل نفس الفراغ، الذى يحتله عالمنا، ولكننا لانشعر بها؛ لمجرد أنه لا توجد وسيلة معروفة لاتصالنا بها.

غمغمت (سلوى):

ـ ليس هذا ما يشغلنا فى الوقت الحالى.

هتف الرجل:

ـ هذا ما يحدث دومًا .. أن يكشف لنا العلم وجهًا، لم نكن نسعى إليه، بينما نيمّم وجوهنا شطر وجه آخر، ربما يختلف عما كشفناه تمام الاختلاف .. عشرات الحوادث العلمية تؤكد هذا، فى تاريخ العلم كله(*).

(*) حقيقة ..

لم يبد أن (نشوى) قد سمعت عبارته، وهى تواصل ضرب أزرار جهاز الكمبيوتر الخاص بها، قائلة :

ـ لقد انتهيت تقريبًا .

ثم التقطت نفسًا عميقًا، وهى تتراجع فى مقعدها، مضيفة :

ـ ضغطة زر واحدة، ويبدأ البث، على نفس الموجة، التى التقطنا منها استغاثة (محمود) .

خفق قلب (سلوى)، وهى تغمغم :

ـ أأنت واثقة ؟!

أما رئيس الفريق، فسألها فى اهتمام :

ـ ما فحوى الرسالة بالضبط ؟!

أشارت (نشوى) بيدها، مجيبة :

ـ إنها رسالة بسيطة للغاية، فقط أطلب منه أن يخبرنا، إذا ما كان قد استقبل بثنا أم لا .

سألها :

ـ وما الذى تتوقعين حدوثه عندئذ ؟!

هزت كتفيها، قائلة :

ـ لن أتلقى جوابًا منه، يثبت أن باستطاعتنا مخاطبته، عبر هذا الأسلوب .

خفق قلب (سلوى) مرة أخرى، وهى تقول فى انفعال :

ـ فيم انتظارنا ؟!

ضغطت (نشوى) الزر الأخير، قائلة :

ـ نعم .. ماذا ننتظر ؟!

وثب قلب (سلوى) بين ضلوعها، مع ضغطة الزر، وانعقد حاجبا رئيس فريق العلماء فى شدة، فى حين سرت ارتجافة كالثلج، فى جسد (نشوى)، وثلاثتهم يتطلعون إلى شاشة الجهاز الجديد، و ...

« عجبًا ! »

هتفت (نشوى) بالكلمة، على نحو كاد معه قلب (سلوى) يتوقف عن النبض، وهى تسألها :

ـ ماذا حدث ؟!

أجابتها (نشوى) فى عصبية :

ـ الجهاز عاجز عن بث الاتصال .

هتف رئيس الفريق :

ـ عاجز عن ماذا ؟!

أما (سلوى) ، فسألتها فى انزعاج شديد :

ـ لماذا ؟! هل أصابه تلف ما ؟!

راجعت (نشوى) كل زر فى جهازها ، وكل سنتيمتر منه ، وتأكدت من أن كل برامجه تعمل بكفاءة ، قبل أن تجيب فى حيرة :

ـ كل شىء يعمل على ما يرام ، ولكن البث لا يتم ..

هتفت (سلوى) فى عصبية :

ـ مستحيل ! هناك سبب ما حتمًا .. هناك سـ ...

بترت عبارتها دفعة واحدة ، لتهتف :

ـ آه .. هذا هو التفسير الوحيد .

التفتت إليها (نشوى) فى تساؤل صامت ، حوّله رئيس الفريق إلى سؤال مسموع ، وهو يقول :

ـ أى تفسير هذا ؟!

هتفت :

ـ الموجة المضادة .

تراجعت (نشوى) بحركة حادة ، قائلة :

ـ يا إلهى ! كيف لم أنتبه إلى هذا ؟!

تابعت (سلوى) فى انفعال :

ـ من الواضح أن استغاثة (محمود) ، كانت تتوافق على نحو ما ، مع تلك الموجات المخية الفائقة ، التى يبعثها عقل عدونا المجهول ، وعندما أطلقت موجتك المضادة ، لإيقاف تأثير الأخير ، منعت فى الوقت ذاته اتصال الأول .

اتسعت عينا رئيس الفريق ، وهو يغمغم :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

أما (نشوى) ، فالتقى حاجباها فى توتر ، وهى تقول فى انفعال :

- بالطبع .. كان ينبغى أن أدرك هذا منذ اللحظة الأولى ؛ فالموجتان كانتا متداخلتين .

قالت (سلوى) فى حزم :

- ولكنهما لم تكونا ممتزجتين .

سألتها (نشوى) :

- ماذا تعنين ؟!

أجابتها فى حزم أكثر :

- أعنى أننا قد استطعنا بالفعل فصل الموجتين رقميًا ، عن بعضهما ، وما دمنا قد فعلنا هذا ؛ لتحديد كل منهما ، وتصنيفها منفصلةً ، فمن الممكن بالتأكيد أن نطوِّر الموجة المضادة ، بحيث تؤثِّر فى إحداهما دون الأخرى .

بدا القلق فى ملامح رئيس الفريق وصوته ، وهو يقول :

- سيِّدتى .. لست أظن أنه من الحكمة أن نجازف بإجراء أية تعديلات على تلك الموجة المضادة ، بعد أن أثبتت نجاحها على هذا النحو .

التفتت إليه (سلوى) ، قائلة فى صرامة :

- سيِّدى .. لا تنسى أبدًا أننى خبيرة الاتصالات الوحيدة هنا .

بدا الغضب على وجه الرجل ، ولكن (نشوى) أيَّدت قول أمها ، قائلة :

- هذا صحيح .. لقد توصلت إلى الموجة المضادة ، بوساطة برنامج خاص من ابتكارى ، ولكن معلوماتى عن عالم الاتصالات ليست بقوة معلومات أمى بالتأكيد .

تلاشى غضب الرجل ، على نحو مفاجئ عجيب ، وهو يقول :

- فليكن يا سيِّدة (نشوى) ، مادمت ترين هذا .

رمقته (سلوى) بنظرة صامتة ، ثم قالت :

ـ والآن دعونا نبدأ عملنا فورًا ، لتطوير تلك الموجة المضادة ، بحيث تمنع عملية السيطرة العقلية ، دون أن تعوق عملية الاتصال بزميلنا (محمود) ، فى فراغه الزمنى المخيف .

والتقى حاجباها ، وهى تضيف :

ـ فربما تسخرون منى ، إلا أننى واثقة من أن اتصالنا بـ (محمود) ، هو السبيل الوحيد لمعرفة كيفية الانتصار على ذلك الخصم الرهيب .

لم يعلّق أى مخلوق على قولها ..

ولم تنتظر هى تعليقًا ..

فقد بدأت عملها على الفور ، فى هذه المرحلة من الصراع ..

المرحلة الجديدة ..

والرهيبة ..

* * *

التقط (رمزى) نفسًا عميقًا ، ملأ به صدره ، وهو يهزّ رأسه فى قوة ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ كان أمرًا رهيبًا يا (نور) .. النيران أحاطت بى من كل جانب ، داخل حجرة مغلقة ، امتلأت بالدخان .. يا إلهى ! لست أظننى أستطيع نسيان هذا ما حييت .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ ولكن لماذا يا (رمزى) ؟! لماذا حاول هذا الوغد قتلك ؟! ما الذى توصّلت إليه ، فى حجرة السجلات الطبية الدولية ؟!

التقط (رمزى) نفسًا عميقًا آخر ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ اسمه .

انتفض جسد (نور) فى قوة ، وكاد يقفز من مقعده ، وهو يهتف :

ـ اسمه ؟! هل عرفت اسم خصمنا ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ نعم يا (نور) .. لقد شاهدت اسمه ، على شاشة كمبيوتر السجلات الطبية الدولية ، ولكن ملفه كان خاليًا تمامًا ، و ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى ارتياع عجيب ، جعل (نور) يسأله ، فى قلق شديد :

ـ ماذا حدث ؟!

أدار (رمزى) إليه عينين مذعورتين ، وهو يهتف :

ـ لقد نسيته .

سأله (نور) ، بكل توتر الدنيا :

ـ نسيت ماذا ؟!

صاح فى هلع :

ـ نسيت ذلك الاسم .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول ، محاولاً تهدئة انفعالاته :

ـ رويدك يا (رمزى) .. الأطباء قالوا إن ...

قاطعه (رمزى) فى انفعال :

ـ كلا يا (نور) .. هذا ليس جزءًا من فقدان الذاكرة المؤقت ، الذى يعقب الإصابات .. هناك شىء ما داخلى ، يمنعنى من انتزاع الاسم من أعماق ذاكرتى .. شىء يصيبنى بفزع رهيب ، كلما حاولت هذا .. فزع مبهم غامض مخيف ، لا يمكننى تجاوزه أبدًا .

قال (نور) فى توتر :

ـ كنت أتوقع شيئًا كهذا ..

ثم تراجع فى مقعده ، وشفت ملامحه عن التفكير العميق ، وهو يتابع :

ـ وما دامت موجاته العقلية محجوبة الآن ، فهذا يعنى أنه يزرع شيئًا ما ، فى عقول كل من يسيطر عليهم .

قال (رمزى) فى انفعال أشد :

- ولكنه لم يسيطر على عقلى يا (نور) .. لقد سعى لقتلى ، ولكنه لم يحاول السيطرة على عقلى لحظة واحدة .

سأله (نور) فى حيرة متوترة :

- ما الذى يمكن أن يعنيه هذا إذن ؟!

تردد (رمزى) يضع لحظات ، قبل أن يقول فى حذر :

- ربما هو الاسم نفسه يا (نور) .

ردد (نور) فى عصبية ، تحمل لمحة مستنكرة :

- الاسم ؟! وما الذى يمكن أن يفعله مجرد اسم يا (رمزى) ؟!

أجاب (رمزى) متوترًا :

- هناك نظرية قديمة ، لايعترف بها علماء وخبراء الطب النفسى وعلم النفس ؛ لأنه لا توجد أدلة أو ظواهر

مسجلة بشأنها ، وهذه النظرية تقول : إن كل شىء يتفاعل مع البشر ، على نحو أو آخر .. كل شىء بلا استثناء .. الحيوان ، والنبات ، وحتى الجماد ، وأن هذا هو السبب فيما يطلق عليه الناس اسم (البيوت المسكونة) ، التى يقال : إنها تزخر بأشباح سكانها السابقين ، أو من لقوا مصرعهم فيها لأى سبب ، إذ إن الجماد فى المكان ، من أثاث وأدوات وأجهزة ، وحتى النوافذ والأبواب والجدران ، يحتفظ ببعض انفعالاتهم الشديدة ، أو سكرات الموت التى عانوها ، أو حتى لحظات سعادتهم الجمّة ، بحيث ينقل هذا إلى كل من يتواجد فى المكان ، أو يسكنه ، أو يتعامل معه(*) .. ولو صحّت هذه النظرية ، فربما يقودنا هذا إلى افتراض وجود قدرات عقلية خاصة ، لدى بعض البشر ، تساعدهم على غرس انفعال ما ، أو شعور ما ، فى مكان ما .. وفى حالتنا هذه ، تم غرس شعور مبهم بالفزع ، فى حروف ذلك الاسم ، بحيث لا يمكن لذاكرتك أن تمنحك إياه ، إلا مصحوبًا بذلك الفزع الرهيب ، الذى يحجبه عنك عمليًا .

(*) حقيقة نظرية .

تضاعف انعقاد حاجبي (نور) ، وتراجع في مقعده ببطء ، جعل (رمزي) يقول في أسى :

- لست تصدق حرفًا واحدًا من هذا .. أليس كذلك ؟!

صمت (نور) بضع لحظات ، وهو يتطلع إليه بلا انفعال ، قبل أن يميل نحوه ، مجيبًا في هدوء عجيب :

- الفكرة ليست مرفوضة تمامًا يا (رمزي) .

ثم نهض من مقعده ، متابعًا :

- فديننا يخبرنا أن كل شيء في الوجود يسبح بحمد الله (سبحانه وتعالى) .. حتى الأشجار والأحجار والجبال والبحار والسحب .. وهذا يعني ، لكل من يؤمن به ، أن الجماد أيضًا له كيان معنوي خاص ، وإن كنا نجهل الكثير عن هذا ، ولكن هذا ليس نقطة بحثنا ..

وأشار بسبابته ، مكملاً :

- السؤال الحقيقي هو : ما الذي يغرسه ذلك الوغد ، في عقول ضحاياه ، لو حتى فيما يتركه خلفه ، والسؤال الأكثر أهمية هو : كيف يمكن التغلب على هذه العقبة ؟!

ومال نحوه ، يسأله في اهتمام :

- وهل يصلح التنويم المغناطيسي ، لتجاوز هذه العقبة ؟!

أجابه (رمزي) ، بعد وهلة من التفكير :

- لايمكنني الجزم .

وصمت لحظة ، ثم أضاف في حزم :

- ولكن الأمر يستحق المحاولة .

ابتسم (نور) ، قائلاً :

- عظيم .. دعنا ننتقل إذن إلى ...

بتر عبارته بغتة ، عندما لاحظ تلك النظرة القلقة ، المطلة من عيني (رمزي) ، فاستدار إلى حيث يسقط بصر هذا الأخير ، ثم انعقد حاجباه بمنتهى الشدة ..

فما أثار قلق (رمزي) ، وما وقع بصره هو عليه ، كان أمرًا عجيبًا ..

عجيبًا ومقلقًا بحق ..

وإلى حد مخيف .

* * *

٦ ـ الهجـــوم ..

الخطر يكمن فى مكان ما ، من أرض (مصر) ..

مكان رآته عقول أولئك الرهبان ، فى جبال (التبت) ، لثوان معدودة ..

ثوان لم تكف لتحديد الموقع بالضبط ..

ولكنها جعلتهم يوقنون من أنه هناك ..

ومن أن أهدافه تعلو قمة الشر ..

كل الشر ..

وبوضوح ، كان الرهبان يعتبرون أنهم المسئولون ، عن وجود ذلك الوحش الآدمى ..

صحيح أنه ، عندما جاء إليهم ، كان يمتلك بالفعل قدرات عقلية فائقة ..

إلا أنهم هم دربوه ..

وطوّروه ..

وعلموه كيف يستخدم طاقات عقله الكامنة ..

ولأنه مخادع شرير ، فقد نجح فى إخفاء طبيعته ، وأهدافه الحقيقية عنهم ..

حتى تحوّل إلى وحش ..

وحش كاسر رهيب ، لايقيم وزنًا لأية لمحة آدمية ..

على الإطلاق ..

وعندما انتبهوا إلى هذا ، كان الأوان قد فات ..

ولأنه يمتلك بالفعل موهبة عقلية خارقة وفريدة ، فقد تفوّق عليهم جميعًا ..

وبقوة ..

لذا فقد قرّر ذات يوم أن تدريبه قد اكتمل ، وأن طاقاته العقلية قد تفجّرت كاملة ، فانطلق ..

انطلق لتحقيق أهداف حقيرة شريرة ، يمكن اختصارها كلها فى كلمة واحدة ..

الانتقام ..

طبيعته القاسية الشريرة ، كانت تسعى للانتقام من الجنس البشرى بأكمله ، مع طاقة رهيبة من المقت والكراهية ، لا أحد يدرى متى وكيف ولماذا نشأت فى أعمق أعماقه ..

ولا كيف ظلت كامنة هناك ، لعقدين كاملين من الزمن ..

لا أحد يدرى شيئًا عن هذا ..

أو حتى عن هويته الحقيقية ..

أو ماضيه ..

لا أحد يدرى من هو !

من أين جاء ؟!

ولماذا ؟!

طوال عقدين من الزمان لم يفصح عن نفسه قط ..

ولم يتوقف عن تنمية قدراته العقلية لحظة واحدة ..

كان يتصرف دومًا باعتبار أنه يضع نصب عينيه هدفًا ..

وأثبتت الأيام أنه هدف شرير ..

وحقير ..

للغاية !

وهناك ، فى ذلك المعبد الكبير ، فى وادى جبال (التبت) ، اتخذ الرهبان قرارهم .. وعبر عقولهم وحدها ، عرف الراهب المختار المكان ..

وفى صمت تام ، ودون تبادل حرف واحد ، استقرَّ الراهب المختار فى مركز دائرة واسعة ، انتشر الرهبان الآخرون على محيطها ، فى نظام مدهش دقيق ، كما لو أنه خبيرًا هندسيًا قد أشرف على وضعهم وترتيبهم ، بحيث تساوت الفراغات بينهم تمامًا ..

وجلس الجميع القرفصاء ، فى نفس الوضع الذى اشتهر به تمثال الكاتب المصرى القديم(*) ..

(*) الكاتب المصرى : تمثال فرعونى قديم ، لرجل يجلس القرفصاء ، واضعًا ورقة بردى على فخذيه ، فى وضع الاستعداد للكتابة ، تم تسميته باسم (الكاتب المصرى) ، واتخذته الهيئة العامة للكتاب فى (مصر) شعارًا لها .

ثم أغلقوا عيونهم ..

وفتحوا عقولهم ..

ولعشرين دقيقة كاملة ، تركزت أفكارهم وموجاتهم العقلية كلها ، على هدف واحد ..

وانطلقت بهدفها نحو الراهب المختار ..

أما هذا الأخير ، فقد بدا صامتًا ، مسترخيًا ، مغلق العينين ، كما لو أنه قد راح فى سبات عميق ..

عميق ..

عميق إلى أقصى حد ..

ثم فجأة ، راحت أجساد رهبان الدائرة ترتجف ..

أما الراهب المختار ، فقد ظلّ هادئًا ، صامتًا ، ساكنًا ، وكأنه فى عالم آخر ، بخلاف عالمهم ..

وبسرعة ، راحت أجسادهم ترتجف أسرع ..

وأسرع ..

وأسرع ..

ومع تسارع ارتجافاتهم ، بدأ وهج عجيب يحيط بجسد الراهب المختار ..

ثم تسارعت ارتجافاتهم أكثر ..

وتضاعف الوهج أكثر وأكثر ..

إلا أن الراهب المختار ظلّ ساكنًا ، هادئًا ، و ....

وفجأة تألّق الوهج فى عنف ، كما لو أن قنبلة من الماغنسيوم قد انفجرت فى مركز الدائرة(*) ..

ثم تلاشى الوهج بنفس السرعة ..

وسقطت رءوس الرهبان على صدورهم ..

أما الراهب المختار ، فلم يعد هناك ، فى مركز الدائرة ..

لقد اختفى ..

اختفى تمامًا ..

ودون أدنى أثر ..

* * *

(*) الماغنسيوم : عنصر فلزى نشط ، رمزه (ما) ، لونه أبيض فضى ، قابل للطرق والسحب ، ويعتبر من الفلزات القلوية ، وهو يحترق فى الهواء بلمعان ، لذا فهو يستخدم فى الألعاب النارية ، وكشريط للاشتعال ، كما أن له استخدامات عديدة ، فى الطب ، والتصوير الضوئى .

فجأة ، انتفض جسد (مشيرة) ، واعتدلت جالسة على فراشها ، صارخة :

- لا ..

وعلى الرغم من جراحه وآلامه ، وثب (أكرم) من الفراش المجاور لها ، وأسرع يحتويها بين ذراعيه ، هاتفًا :

- رويدك ياحبيبتى .. رويدك .. أنت هنا فى أمان .. لقد أفسدنا قدرة ذلك الوغد ، ولم يعد باستطاعته أن يؤذيك .

حدّقت فى وجهه بضع لحظات فى ذعر ، قبل أن تتساءل :

- أين نحن ؟!

أجابها ، وهو يضع على شفتيه ابتسامة زائفة ، فى محاولة لتهدئة توترها الشديد ، وذلك الفزع الذى سيطر على نفسها ، وجعلها ترتجف بين ذراعيه القويتين ، كطير صغير مذعور مبتل :

- إننا فى أمان يا عزيزتى .. لقد أحضرنا (نور) إلى

قسم طبى خاص ، فى إدارة الأبحاث العلمية ، و(نشوى) بثّت فى المكان موجة مضاءة لطاقة ذلك الوغد ، الذى سيطر على عقلك من قبل .

بكت ، قائلة :

- كانت تجربة رهيبة .. رهيبة يا (أكرم) .

ضمّها إلى صدره فى حنان ، قائلا :

- ولكنها انتهت يا عزيزتى .. انتهت إلى الأبد .

دفعته عنها ، وهى تقول فى عصبية :

- لا .. لم ينته بعد .

تطلّع إليها فى دهشة ، فتابعت بعصبية أكثر ، وعيناها تزوغان على نحو عجيب :

- الأمر ليس بهذه السهولة .. إنه أقوى مما تتصوّرون .

هوى قلبه بين قدميه ؛ خشية أن تكون سيطرة

عدوى المجهول على عقلها، قد أتلفت شيئاً من خلايا مخها واتزانها، فقال محاولاً تهدئتها:

ـ لا بأس يا عزيزتى.. سنترك هذا لـ(نور) والرفاق، و...

صرخت فجأة:

ـ لن يمكنهم فعل شىء.. أى شىء..

ثم مالت نحوه، وارتجف صوتها بشدة، مع إضافتها:

ـ إنه ليس مباشرًا كما يصوّرون، كما تتصوّر أنت.. إنه خبيث كالثعلب، ناعم سام كالثعبان.. إنه الشر يا (أكرم).. كل الشر.

حدّق فيها بدهشة مذعورة، وراودته لحظة فكرة أن يكون ذلك الخصم قد سيطر على عقلها مرة أخرى..

إلا أن كل شىء فيها لم يكن يوحى بهذا..

ملامحها..

وحتى انفعالاتها..

لذا، فقد سألها فى حيرة قلقة:

ـ وكيف يمكنك الجزم بهذا ؟!

هتفت بحدة..

ـ أنا أعرف.

وعادت الدموع تسيل من عينيها، وهى تضيف.

ـ كل شىء هنا.. فى مكان ما من عقلى.

وارتجف جسدها كله، مع استطرادتها:

ـ وهذا يفزعنى يا (أكرم).. يفزعنى بشدة.

انعقد حاجباه فى شدة، وهو يحدّق فيها، وقد امتلأ قلبه بخوف شديد، لم يشعر بمثله من قبل..

خطير للغاية، ذلك الذى قالته (مشيرة)..

كل شىء هناك، فى مكان ما من عقلها..

كل شىء..

وهذا يعنى أنها تعرف أكثر مما ينبغى، بالنسبة لخصمهم الرهيب..

تعرف هويته ..

وقوته ..

وأهدافه ..

وتعرف أكثر ، وهذا هو الأخطر ، نقاط ضعفه وقصوره ..

ومن الطبيعى ، والحال هكذا ، ألا يسمح ذلك الخصم ببقائها على قيد الحياة ..

مهما كان الثمن ..

من المنطقى أن يسعى للقضاء عليها ..

وبكل الوسائل الممكنة ..

ولقد تصوّر هو أن ما فعلته (نشوى) قد حسم الأمر ..

ولكن (مشيرة) تؤكدّ العكس ..

تؤكدّ أن هذا لايكفى ..

ولن يكفى ..

وأن خصمهم مازال يحمل لهم الكثير فى جعبته ..

وربما الكثير جدًا ..

ومن المحتم أن أول ما سيسعى إليه ، هو التخلُّص من نقطة ضعفه .

من (مشيرة) ..

وبكل خوف الدنيا ، ضمّها (أكرم) إليه مرة أخرى ، وهمس فى أذنها :

ـ سيكون عليه أن يعبر جثتى ألف مرة ، قبل أن يمس شعرة واحدة منك .

غمرت دموعها صدره ، وهى تقول فى مرارة :

ـ وهل تعتقد أن هذا سيوقفه ..

ولم ينبس (أكرم) ببنت شفة ..

فقط ازداد انعقاد حاجبيه فى شدة ، وقد راوده شعور عارم باليأس والمرارة ..

فهو يعلم أن ذلك الخصم سيسعى للقضاء على (مشيرة) حتمًا، على الرغم من كل ما يحدث، من محاولات لمنعه أو تحجيم قوته وقدراته ..

والسؤال الذى يشغل ذهنه الآن، هو كيف سيفعل هذا ؟!

كيف ؟!

* * *

فى البداية، كان هناك فأر واحد ..

فأر أبيض صغير، من تلك الفصيلة، التى يتم استخدامها، فى إجراء الاختبارات الطبية والعلمية، ظهر عند باب حجرة (رمزى)، ووقف عند عتبتها، يتطلع إليه فى صمت وسكون ..

وعلى الرغم من أن بصره قد وقع عليه، فى أثناء اندماجه فى الحديث مع (نور)، لم يبال (رمزى) كثيرًا بوجوده، وتصوّر أنه مجرد فأر تجارب، فرّ من أحد المعامل، داخل معمل الأبحاث العلمية ..

ثم ظهر الفأر الثانى ..

والثالث ..

والرابع ..

وعندما وصل الفأر الخامس، واصطف مع رفاقه فى شريط منتظم، عند عتبة بالحجرة، تطلّع (رمزى) إليهم فى دهشة وقلق ..

وهذا ما أثار انتباه (نور) ..

وعندما استدار إليهم بدوره، كان ثلاثة فئران آخرون قد انضموا إلى الصف ..

ثم تكوّن صف ثان ..

وبكل دهشته وتوتره هتف (رمزى) :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

وقبل حتى أن ينطلق هتافه، أو ينطرح سؤاله، كان (نور) قد استوعب الأمر كله، على الرغم من غرابته ..


لذا ، فقد مدّ يده إلى مسدسه الليزرى فى حذر ، وهو يشير إلى (رمزى) ، قائلاً فى حزم : — لا تتحرك من مكانك .

لذا ، فقد مدّ يده إلى مسدسه الليزرى فى حذر ، وهو يشير إلى (رمزى) ، قائلاً فى حزم :

ـ لا تتحرك من مكانك .

ولكن قلب (رمزى) كان يخفق فى عنف ، مع ظهور صف ثالث من الفئران ، التى راحت تتطلع إليه كلها ، بعيون لامعة صغيرة ، فهتف فى ذعر :

ـ ماذا يحدث يا (نور) ؟!

أدار (نور) عينيه فى الحجرة بسرعة ، قبل أن يجيب فى صرامة ، وهو يسحب مسدسه الليزرى :

ـ إنه خط الهجوم الثانى .

هتف (رمزى) فى فزع :

ـ خط ماذا ؟!

أجابه (نور) ، وعقله يدرس الموقف كله فى سرعة :

ـ لقد عجز ذلك الوغد عن السيطرة على عقولنا ، بسبب موجة (نشوى) المضادة فلجأ إلى السيطرة على عقول الحيوانات .

اتسعت عينا (رمزى) عن آخرهما، وهو يهتف:

- رباه! أتعنى أن ...

قاطعه (نور) فى صرامة:

- نعم .. هذا ما أعنيه.

وعاد يتطلّع إلى الفئران، الذين اكتمل صفهم الرابع، قبل أن يكمل فى توتر:

- إنه يدفعهم نحونا .. وهم ينظمون صفوفهم الآن، استعدادًا للهجوم.

كاد (رمزى) يصرخ، بكل فزع الدنيا، وهو يقول مذعورًا:

- للهجوم ؟!

لم يتخيّل تلك السرعة المذهلة، التى يعمل بها عقل (نور) فى تلك اللحظة، وهو يدرس الموقف كله، ويضع كل الاحتمالات فى ذهنه، متمتمًا:

- نعم .. للهجوم علينا.

واتسعت عينا (رمزى) فى ذعر أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وفى ذهنه، ارتسمت صورة بشعة لسرب الفئران، وهو ينقض عليهما، وينهش جسديهما بأسنانه الحادة الصغيرة، و ....

وفجأة، وقبل أن تكتمل الصورة فى ذهنه، بدأ الهجوم ..

الفئران الصغيرة، التى بلغت الخمسين تقريبًا، انقضت كلها دفعة واحدة، وهى تطلق صيحات رفيعة مخيفة ..

وصرخ (رمزى)، بكل فزع الدنيا ..

أما (نور)، فقد تحرك بسرعة مذهلة، وبتوافق لامثيل له، فى نفس اللحظة التى بدأ فيها الهجوم ..

ففى حركة واحدة تقريبًا، وثب إلى فراش (رمزى)، ثم دفع رسّام القلب الكهربى بقدمه بكل قوته، وهو يطلق أشعة مسدسه الليزرى ..

والمدهش أنه لم يطلق الأشعة نحو الفئران ..

ولا حتى نحو فأر واحد منها ..

لقد أطلق الأشعة نحو زجاجة مياه كبيرة ، من الطراز الضخم ، الذى يعلو مبردات المياه التقليدية ..

وفى آن واحد ، سقط رسام القلب أرضًا ، وانفصل قطباه الكهربيان عنه ، فى نفس اللحظة التى تفجّرت فيها زجاجة المياه الضخمة ، لتغمر أرضية الحجرة كلها ، مع اندفاع الفئران وهجومهم ..

ولم يفهم (رمزى) ، فى اللحظة الأولى ، ما الذى يفعله (نور) بالضبط ..

ثم استوعب الأمر كله ، فى اللحظة التالية مباشرة ..

المياه المتفجِّرة ، من تحطُّم الزجاجة الضخمة ، غمرت الأرضية ، وأجسام الفئران الصغيرة ، قبل أن تبلغ قطبى رسام القلب الكهربى ، و ...

ودوت فى المكان كله فرقعة قوية ..

وتراقصت أضواء الحجرة فى عنف ، عندما سرى التيار الكهربى ، بوساطة المياه المتناثرة ، فى أجسام الفئران البيضاء الصغيرة ، التى راحت تنتفض ..

وتنتفض ..

وتنتفض ..

وبمنتهى العنف ..

وفى صرامة آمرة ، هتف (نور) :

- إياك أن تلمس أى جزء معدنى من فراشك .

حدّق (رمزى) فى الفئران ، التى تلوّت فى ألم ، وفرقعات الكهرباء تعلو فى المكان ، قبل أن ينفصل التيار آليًا ، بفعل نظم الأمن الإليكترونية ..

ومع الظلام التام ، الذى غمر المكان ، هتف (رمزى) :

- رباه ! كيف خطرت الفكرة بذهنك يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- كان هذا هو السبيل الوحيد .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى مرارة : !

- ولست أشعر بالفخر ، لما فعلته بهذه الحيوانات المسكينة .

سطعت أضواء الطوارئ فى المكان ، مع آخر كلماته ، وبدت معها جثث الفئران الصغيرة ، المتناثرة فى الحجرة ، على نحو بشع ، فربت (رمزى) على كتف (نور) ، قائلاً فى أسى :

- أنت قتلتها يا صديقى .. لم يكن هناك سبيل آخر .

أعاد (نور) مسدسه الليزرى إلى جيبه ، قائلاً فى غضب :

- ذلك الوغد وجد سبيلاً آخر .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

- ولست أشك لحظة واحدة ، فى أنه سيستخدمه ، حتى آخر لمحة منه ..

وقفز إلى ذهنه ألف سؤال وسؤال ، وهو يكمل فى توتر :

- وبكل الطرق الممكنة .

هتف (رمزى) :

- هل تعتقد أنه سيوجه ضربته التالية إلى (مشيرة) ؟!

أجابه (نور) ، وهو يثب من الفراش ، إلى الأرض المبتلة ، التى امتلأت بجثث الفئران البيضاء المصعوقة ، بعد أن تأكد من أن التيار الكهربى الأصلى قد انقطع ، كوسيلة إليكترونية لتأمين المكان :

- بل إلى ما هو أكثر أهمية من هذا ، بالنسبة إليه .

وانعقد حاجباه أكثر ، وهو يستطرد :

- إلى البرج .

سأله (رمزى) فى حيرة :

- أى برج ؟!

اندفع خارج المكان ، مجيباً بمنتهى الحزم :

- برج بث (أنباء الفيديو) .

ثم توقف لحظة عند الباب ، قبل أن يضيف فى صرامة شديدة :

- سيسعى لاستعادة كل قوته .

قالها ، ثم اختفى من مكانه ، وهو يعدو بأقصى سرعة ، هاتفًا عبر جهاز الاتصال الخاص فى ساعته :

- هنا المقدم (نور) .. إنذار عام لكل أجهزة الطوارئ .. لابد من حماية برج اتصالات (أنباء الفيديو) ، بكل الوسائل الممكنة ، ومنع أى مخلوق حى من الاقتراب منه .. أكرر .. ليس البشر وحدهم ، وإنما أى مخلوق حى آخر ..

قالها وبلغ سيارته الصاروخية ، فوثب داخلها ، وانطلق بها على الفور ، نحو مبنى البث الرئيسى ، لجريدة (أنباء الفيديو) ، وقلبه يخفق بمنتهى القوة ، وعقله يصرخ بسؤال مخيف ..

ترى أية وسيلة سيستخدم ذلك الوغد ، لإيقاف بث الموجة المضادة لسيطرته العقلية الفائقة ؟!

أية وسيلة ؟!

* * *

« الذئاب .. »

هتف قائد طاقم الأمن ، التابع للمخابرات العلمية بالكلمة ، وهو يراقب شاشة الرصد ، التى تنقل ذلك المشهد الرهيب ..

فعند مدخل مبنى البث الرئيسى لجريدة (أنباء الفيديو) ، فى جبل (المقطم) ، وقف قطيع من الذئاب ، يزمجر فى شراسة وحشية ، وعلى نحو لم يحدث من قبل قط .. وفى حيرة مذعورة ، راح رجال الأمن يتطلعون إلى المشهد ، قبل أن يغمغم أحدهم فى عصبية :

- لهذا طلب منا المقدم (نور) ، منع اقتراب أى مخلوق ، وليس البشر وحدهم !!

تساءل آخر ، فى حيرة متوترة :

ـ ولكن لماذا تفعل الذئاب .. هذا ؟!

أجابه قائد الأمن فى صرامة :

ـ ومنذ متى نتولّى البحث عن الأسباب ؟! لقد تلقينا الأمر بمنع أى مخلوق من الاقتراب من البرج ، وعلينا أن ننفذ الأوامر فحسب ، ونترك للمسئولين مهمة التبرير والتفسير .

لم يكد يتم عبارته ، حتى بدأ قطيع الذئاب فى اتخاذ سلوك عدوانى عنيف ..

لقد ارتفع عواء الذئاب على نحو مخيف ، وراحوا ينقضون على أبواب المبنى ، فى عنف وشراسة بلا حدود ..

ومع ذلك المزيج المخيف ، من العواء ، والزمجرة ، وصوت الارتطامات العنيفة ، هتف أحد أفراد الأمن فى توتر :

ـ ماذا نفعل أيها القائد ؟!

أجابه القائد فى صرامة :

ـ الأوامر صريحة .

ثم سحب مسدسه الليزرى ، مستطردًا :

ـ سنمنع أى مخلوق من الاقتراب من البرج ، مهما كان الثمن .

ثم صاح فجأة :

ـ أطلقوا النار .

وكأن الرجال كانوا ينتظرون الأمر ، بمنتهى اللهفة والترقّب ، فقبل حتى أن تكتمل صيحته ، كانوا قد اندفعوا نحو نوافذ المبنى ..

وبدءوا فى إطلاق النار بالفعل ..

وعلى الرغم من أن نيرانهم كانت تحصد الذئاب بلارحمة ، فى كل الاتجاهات حول المبنى ، إلا أن المزيد من الذئاب كان يتدفّق طوال الوقت ، دون أن ينقطع دوى الارتطامات لحظة واحدة ..

وبكل توتره وانفعاله ، صاح القائد :

ـ واصلوا إطلاق النار بلا توقف .

والواقع أن الرجال لم يكونوا بحاجة لهذا الأمر فعليًا ..

الفزع وحده جعلهم يواصلون إطلاق النار ..

ويواصلون ..

ويواصلون ..

وتواصل في الوقت ذاته صوت الارتطامات العنيفة دون انقطاع ..

ومن بعيد ، ظهرت سيارة (نور) ، وهي تنطلق بسرعتها الصاروخية نحو المبنى ، وانعقد حاجبا (نور) بداخلها ، وهو يهتف :

ـ يا إلهي ! أي عبث شيطاني هذا ؟!

ضغط فرامل السيارة بحركة غريزية ، فانطلقت وسادة من الهواء المضغوط أسفلها ، ودارت حول نفسها بحركة ناعمة ، حتى يمكنها أن تتوقف ، مع سرعتها البالغة ، دون أن يتأثر ركابها ..

ولقد خيِّل لـ (نور) ، أن تلك الحركة ، التي لاتستغرق سوى ثوان معدودة ، قد مرت في دهر كامل ؛ من شدة توتره وانفعاله ، لدرجة أنه لم تكد السيارة تستقر حتى وثب منها ، وهو يتطلع إلى برج البث ، مغمغمًا في غضب :

ـ يا للشيطان !

والعجيب أنه لم يبال بقطعان الذئاب ، التي تحاصر المبنى نفسه ..

ولا بارتطاماتها المتواصلة مع أبوابه ..

أو حتى بالدماء ،، التي صنعت نهرًا أمام مداخله ..

فمنذ اللحظة الأولى ، أدرك أن الهدف كله هو البرج ، وليس المبنى نفسه ..

وكان هذا واضحًا فيما رآه ..

فالواقع أن خصمه الشيطان قد أثبت ، وبكل جدارة ، أنه عبقرية مذهلة ، لايستهان بها أبدًا ..

عقلية شريرة ، خبيثة ، مراوغة ..

وغير مباشرة على الإطلاق ..

ومايحدث للبرج الرئيسى للبث ، كان يثبت هذا بشدة ..

يثبته ألف مرة ..

أو يزيد ..

* * *



٧ ـ التحدّى الرهيب ..

« فعلتها .. »

هتفت (سلوى) بالكلمة فى حماسة ، وهى تتراجع فى مقعدها ، وانطلقت من أعماق صدرها زفرة ملتهبة ، قبل أن تضيف :

لقد أصبحت لدينا الآن موجة مضادة ، يمكن إطلاقها بوسيلة شاملة ، لإيقاف تأثير السيطرة على العقول ، دون أن تعوق الاتصال مع (محمود) .

قالت (نشوى) فى انفعال :

ـ كنت واثقة من أنه باستطاعتك هذا يا أمى .

تساءل رئيس فريق العلماء فى قلق :

ـ السؤال هو : كيف يمكن استبدال الموجة المضادة القديمة ، بهذه المتطورة ، دون أن يستغل خصمنا المجهول لحظة التغيير ، لاستعادة السيطرة على كل شىء .

ابتسمت (نشوى) ، قائلة :

ـ لست أظن باستطاعته هذا ياسيدى ، فساعمل على توصيل جهازى بالشبكة الرئيسية ؛ لاختراق شبكة اتصالات (أبناء الفيديو) ، بحيث أنقل الموجة المضادة الجديدة إلى أجهزة البث المتطوِّرة ، التى وضعناها هناك ، فيعمل الجهاز على إحلال الموجة الجديدة محل القديمة ، خلال واحد على مائة ألف من الثانية ، ولست أظن عقل خصمنا يعمل بهذه السرعة المذهلة .

سألها فى توتر :

ـ هل تعتقدين أنه من الممكن أن يتم الأمر بهذه البساطة ؟!

أشارت بيدها ، قائلة :

ـ لهذا نسعى خلف التكنولوجيا ياسيدى .

ترددت (سلوى) لحظة ، عندما بدأت أصابع (نشوى) تتقافز على أزرار الكمبيوتر بالفعل ، ثم لم تلبث أن قالت :

ـ هناك مشكلة واحدة .

توقفت (نشوى) ، لتسألها فى قلق :

ـ أية مشكلة ؟!

ترددت لحظة أخرى ، ثم اندفعت قائلة :

ـ جزء من نظريتى يضع احتمالاً مخيفًا .

بدا القلق على وجه (نشوى) ، فى حين تساءل رئيس الفريق فى توتر :

ـ أى احتمال ياسيدتى ؟!

صمتت بضع لحظات ، ثم أجابت فى عصبية :

ـ ربما لايمكننا الاتصال بـ (محمود) ، حتى بعد فصل الموجتين رقميًا .

اتسعت عينا (نشوى) ، وهى تهتف :

ـ ولماذا ؟!

أشارت (سلوى) بيدها ، قائلة :

ـ إنه مجرد احتمال .

كانت ستكتفى بهذا القول ، لولا أن رأت التساؤل القلق فى عيونهما ، فتابعت فى توتر :

- كنت أتساءل : لماذا لا يحاول (محمود) الاتصال بنا الآن ؟! أعنى هل تمنعه بالفعل تلك الموجة المضادة ، التى نستخدمها لمعادلة الموجات المخية لخصمنا ، أم أن وجود الأخيرة شرط لحدوث هذا الاتصال ؟!

استدارت (نشوى) بجسدها كله إليها ، متسائلة .

- ماذا تعنين يا أمى ؟!

أجابتها فى سرعة ، وكأنما تخشى أن يمنعها ترددها ، من الإفصاح بما لديها :

- أعنى أنه من المحتمل ، نظرياً ، أن تكون تلك الموجات المخية الفائقة ، التى يطلقها خصمنا ، هى الوسيلة التى استخدمها (محمود) ، من فراغه الزمنى ، ليتمّ اتصاله بنا .

لاحظت الذعر فى عيونهما ، فاستدركت فى توتر :

- إنها مجرّد نظرية .

تراجعت (نشوى) ، مغمغمة :

- ولكنها نظرية تستحق التفكير .

اندفع رئيس الفريق ، يقول :

- والاختبار أيضاً .

سألته (سلوى) فى قلق :

- ماذا تعنى ؟!

أجابها ، فى شىء من الحماسة :

- أعنى أن فصل الموجتين قد تم بالفعل ، والسيّدة (نشوى) تؤكد أن عملية الإحلال والاستبدال مأمونة ومضمونة العواقب تماماً .. فليكن إذن .. دعونا نستبدل الموجة المضادة ، ثم نسعى لإتمام الاتصال مع (محمود) ، ولنر عندئذ ماذا يمكن أن يحدث !

تبادلت (سلوى) و(نشوى) نظرة صامتة ، فهتف مكملاً :

- ماذا سنخسر لو فعلنا ؟!

تمتمت (نشوى) ، وهى تتطلّع إلى أمها :

ـ نعم .. ماذا سنخسر ؟!

صمتت (سلوى) بضع لحظات ، قبل أن تغمغم :

ـ من يدرى ؟!

وواصلت صمتها لحظة أخرى ، ثم أضافت فى حزم :

ـ ولكن إجراء التجربة وفشلها أفضل ألف مرة ، من التساؤل عما كان يمكن أن يحدث لو أجريت .

والتفتت إلى ابنتها ، مضيفة بنفس الحزم :

ـ هيا .. ابدئى عملية الاستبدال .

هتفت (نشوى) فى حماسة :

ـ على الرحب والسعة .

ومع هتافها ، عادت تضرب أزرار الكمبيوتر ، ثم لم تلبث أن قالت فى حزم :

ـ الآن .

ضغطت الزر الأخير ، وتراجعت تتطلّع إلى شاشة جهازها فى ترقّب .

وشاركها رئيس الفريق و(سلوى) لهفتها ، و ...

وفجأة ، ظهرت رسالة رقمية على الشاشة ..

رسالة ، تقول :

ـ لايمكن إتمام عملية الإحلال ؛ لوجود خلل فى برنامج البث الرئيسى .

هتفت (نشوى) فى توتر مستنكر :

ـ خلل فى برنامج البث الرئيسى ؟! مستحيل !

عادت أصابعها تتقافز فى سرعة مدهشة ، على أزرار الكمبيوتر ، و(سلوى) تقول فى عصبية :

ـ لايمكن أن يعلن الكمبيوتر هذا ، إلا فى حالتين ، لاثالثة لهما ، إما أن يصاب جهاز البث الفائق ، الذى أضفناه إلى شبكة (أنباء الفيديو) بتلف ما ، أو ...

توقّفت دفعة واحدة ، فسألها رئيس فريق العلماء ، بصوت يحمل كل لهفة وتوتر الدنيا :

ـ أو ماذا ؟!

أدارت عينيها إليه فى ارتياع ، مجيبة :

ـ أو أن برج البث لم يعد هناك .

فى نفس اللحظة ، التى نطقت فيها عبارتها ، اتسعت عينا (نشوى) فى ارتياع ، وهى تحدق فى الرسالة ، الجديدة ، التى ظهرت على شاشة جهازها ، هاتفة :

ـ يا إلهى ! استنتاجك صحيح يا أماه .

واستدارت إليهما ، مضيفة بفزع حقيقى :

ـ برج (أنباء الفيديو) الرئيسى ، لم يعد موجودًا .. على الإطلاق .

وانتفض جسد (سلوى) ورئيس الفريق فى عنف ..

فقد كانت المفاجأة مذهلة ..

ومخيفة ..

جدًا ..

* * *

مشهد رهيب بحق ، ذلك الذى رآه (نور) هناك ..

عند مركز البث الرئيسى ، لشبكة (أنباء الفيديو) ..

فكل ما يحدث عند أبواب المكان وحوله ..

القتال ..

الاصطدام بالأبواب ..

العـواء ..

كلها كانت مجرد وسيلة لجـذب الانتباه وتشتيته ، بعيدًا عن الهدف الأصلى ..

فالهدف الحقيقى كان هناك ..

عند البرج ..

برج البث الرئيسى ..

ففى مشهد مخيف ، كانت آلاف الطيور الصغيرة تنقض على البرج ، بمنتهى القوة والعنف ، صانعة حوله سحابة سوداء رهيبة ..

كانت أجسامها الصغيرة تتحطم ..

وأجنحتها تتهشم ..

وذيولها تتقطع ..

وعلى الرغم من هذا ، كانت تنقض ..

وتنقض ..

وتنقض ..

ولم يكن ارتطام الذئاب بالأبواب فى أسفل ، سوى وسيلة لتغطية صوت آلاف الارتطامات الصغيرة فى أعلى ..

وعلى الرغم من صغر أحجام الطيور ، كانت أعدادها الهائلة ، التى ترتطم بالبرج طوال الوقت ، أشبه بسيل لاينقطع من القوة ..

سيل تزعزعت معه قواعد البرج ، فراح يميل ..

ويميل ..

ويميل ..

وبسرعة مدهشة ، ضغط (نور) أزرار جهاز اتصاله الخاص ، وهو يهتف عبره فى توتر بالغ :

ـ أطلقوا التيار الكهربى فى برج البث .. فورًا .

التقط قائد الأمن هاتفه ، داخل مبنى (أنباء الفيديو) ، فصاح عبر جهاز اتصاله بدوره :

ـ ولكن هذا سيوقف البث يا سيادة المقدم .

صرخ (نور) فى غضب هادر :

ـ نفذ الأمر فورًا يا رجل .

أدرك قائد الأمن عندئذ ، مدى خطورة الموقف ، فهتف :

ـ فورًا يا سيادة المقدم .

نطقها الرجل ، وهو يندفع داخل المبنى بالفعل ، صائحًا :

ـ أطلقوا التيار الكهربى فى البرج .

اتسعت عينا مسئول البث فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ التيار الكهربى ؟! هذا مستحيل ! إن الـ ...

سحب قائد الأمن مسدسه ، وألصقه بصدغ الرجل ، صارخًا :

ـ أطلق التيار الكهربى .

ارتجف جسد الرجل ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وهو يقول :

ـ فورًا يا سيدى .. فورًا .

ضغط زر كهربة البرج على الفور ، وهو يفكر فى أن هذا الإجراء الأمنى ، لم يتم استخدامه من قبل قط ، طوال فترة عمله بالمكان ..

أو حتى قبل هذا ..

ومع ضغطته ، سرى تيار كهربى فى البرج ، تبلغ قوته مليون فولت دفعة واحدة ..

وفى الفراغ المحيط بالمبنى ، دوت فرقعة قوية ، مع انطلاق التيار فى البرج ..

ودوت بعدها مئات الفرقعات الصغيرة ، مع تكهرب أجسام الطيور ، التى ترتطم بالبرج ، ثم تسقط مشتعلة ، على جوانبه الأربعة ..

ولكن العجيب أن هجوم الطيور لم يتوقف لحظة واحدة ..

بل تكاثف ..

وتكاثف ..

وتكاثف ..

ألف مرة ..

ملايين الطيور غطت سماء المكان ، وكلها تنقض على البرج ..

وبمنتهى العنف ..

ووسط فوج الهجوم الانتحارى الثانى هذا ، ظهرت طيور أكبر حجمًا ..

طيور من كل نوع وصنف ..

واتسعت عينا (نور) ، مع ذلك الهجوم الرهيب ..

وبكل انفعاله ، غمغم :

ـ رباه ! كيف يمكن مواجهة أمر كهذا ؟!

كان يشعر بيأس عجيب، مع المشهد الرهيب، لملايين الطيور، التي حجبت ضوء الشمس، والتي يقودها ويسيطر عليها ذلك العقل الهائل الجبار؛ لكي تسقط البرج..

ولقد ظلت الارتطامات تتواصل..

وتتواصل..

وتتواصل..

حتى انفصلت قواعده تمامًا..

وهوى..

هوى برج البث الرئيسي، لجريدة (أنباء الفيديو)، بمنتهى القوة والعنف، ليسحق مبنى إضافيًا قريبًا، ويتحطمَّ على الأرض، وتتناثر أجزاؤه على مساحة واسعة شاسعة..

ومن بعيد، رأى (نور) قطعة كبيرة من البرج المحطمّ تتدحرج نحوه..

بمنتهى السرعة..

ومنتهى العنف..

وبسرعة، انتزع نفسه من توتره الشديد، ووثب داخل سيارته، وهو يهتف:

- يا إلهي! لقد فعلها! لقد فعلها.

ضغط أزرار سيارته، وانطلق بها إلى الخلف بسرعة، ثم دار بها حول محورها في براعة، قبل أن يثب إلى الأمام، محاولاً تفادي تلك القطعة الضخمة من البرج، التي تتدحرج نحوه..

كانت تلك القطعة تتجه إلى سيارته مباشرة، وكأنها تطارده..

وضغط (نور) دواسة الوقود.

ووثبت سيارته في مهارة..

وانحرف بها جانبًا..

وزاد من سرعتها..

و...

ولو أن سائقًا بارعًا رأى ماحدث ، لأقسم إنه أمام محترف قيادة من طراز نادر ، لايشق له غبار ..

وأن مناورته قادرته على تفادى قطعة البرج الضخمة حتمًا ..

وهذا ما وقر فى نفس (نور) أيضًا ..

ولكن ماحدث فى اللحظة التالية ، كان مذهلاً بحق ..

لقد انحرفت قطعة البرج نحوه ، وتدحرجت فى اتجاهه الجديد مباشرة ، وكأنها تطارده على نحو خاص ..

وناورها (نور) مرة أخرى ..

وثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

ولكن القطعة واصلت انحرافها نحوه فى إصرار ، كما لو أن ذلك العقل الجبار يسيطر عليها ، ويقودها فى اتجاهه طوال الوقت ..

وهتف (نور) فى عصبية :

- إذن فهذه خطته الجديدة .

ثم ضغط زر المحركات الصاروخية ، مستطردًا فى صرامة :

- فلنر إذن ، كم تبلغ سرعة عقلك .

انطلقت سيارته بسرعتها الصاروخية القصوى ، على نحو مفاجئ ، شعر معه (نور) وكأنه قد تلقى لطمة قوية ، على وجهه وصدره ..

ولكنه احتمل ..

وضغط دواسة الوقود أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ولثوان ، تصورَ أن مناورته الجديدة قد أفلحت ..

وأنه قد أفلت من هذه المطاردة الجنونية ..

حتى حدث ذلك الهجوم الجديد بغتة ..

عشرات من الطيور الصغيرة ، انقضتْ على سيارة (نور) بغتة ..

انقضتْ على زجاجها الأمامى ، وارتطمت به بعنف ..

بمنتهى العنف ..

ولولا أن زجاج سيارته من نوع مصفَّح ، مضاد للرصاصات ، وغير منفذ لأشعة الليزر ، لتحطَّم فى وجهه بقوة ..

ولكن الطيور الصغيرة لم تنقضّ على الزجاج فحسب ..

لقد انقضَّ بعضها على مداخل المحركات الصاروخية ..

واضطربت المحركات بشدة ..

ثم انفجر المحرك الأيسر ..

واختلَّ توازن سيارة (نور) دفعة واحدة ..

ومع اختلال توازنها ، فشلت مناورتها الأخيرة ، ولم تنجح فى تفادى قطعة البرج الموجَّهة ، و ....

وحدث الارتطام ..

والانفجار المحدود فى مؤخرة السيارة ..

ثم الانقلاب فى عنف ..

وتدحرجت سيارة (نور) على الطريق ..

وتدحرجت ..

وتدحرجت ..

وفى نفس اللحظة التى استقرَّت فيها على الطريق ، انقضَّت عليها قطعة البرج المحطمْ ..

وسحقتها سحقًا ..

بلا رحمة ..

* * *



وفى نفس اللحظة التى استقرَّت فيها على الطريق ، انقضَّت عليها قطعة البرج المحطَّم ..

فجأة ظهرت تلك الموجات المخيفة مرة أخرى ، على شاشة الجهاز المتطوِّر الجديد ..

ظهرت مصحوبة بأزيز تحذيرى متصل ، جعل الكل يلتفت إليها فى ذعر ، و(سلوى) تهتف :

ـ رباه ! لقد عاد .

انعقد حاجبا (نشوى) بشدة ، وهى تحدق فى الشاشة ، فى حين هتف رئيس الفريق ، متسائلاً فى هلع :

ـ ولكنها لاتبدو بنفس الشدة السابقة .

أجابته (نشوى) فى توتر :

ـ من الواضح أنه قد أسقط برج البث الرئيسى ، لجريدة (أنباء الفيديو) ، والذى كنا نستخدمه للبث العام ، ولكن نظام البث ، الذى نستخدمه داخليًا ، مازال يعمل بكفاءة ، لذا فنحن نستقبل موجاته بوساطة الهوائى الخارجى فحسب .

سألها فى توتر مذعور :

ـ أيعنى هذا أننا آمنون هنا ؟!

هزّت رأسها نفيًا ، قائلة :

ـ ليس بالضرورة .

اتسعت عيناه فى هلع ، وهو يهتف :

ـ رباه ! أيمكن أن ..

قاطعته (سلوى) فى صرامة :

ـ رويدك ياسيّدى .. دعنا لانضيع الوقت فى الذعر والفزع .

ثم أشارت إلى شاشة الجهاز المتطوّر ، مستطردة فى انفعال :

ـ لقد ظهرت موجات (محمود) أيضًا على الشاشة .. يبدو أن نظريتى الخاصة بارتباط الموجتين صحيحة .

والتفتت إلى (نشوى) ، قائلة فى حزم :

ـ ابدئى الاتصال فورًا .. لن نبحث عملية الإحلال والاستبدال الآن .

هتفت (نشوى) ، وهى تضغط أزرار الكمبيوتر فى سرعة :

ـ بالتأكيد .

استغرق الأمر ثلاث ثوان فحسب ، قبل أن تبث رسالتها إلى (محمود) ، وهى تقول فى حماسة :

ـ لقد برمجت جهازى ، بحيث يحوّل موجاته إلى كلمات مسموعة ، فور استقبال جهازكم له ، ولو نجح الاتصال ، سأستخدم برنامجًا موازيًا ، لتحويل كلماتنا العادية إلى موجات متناهية القصر أيضًا ، بحيث يتم الاتصال الصوتى بيننا وبين (محمود) فورًا .

غمغم رئيس الفريق فى عصبية :

ـ أتعشّم أن يفلح هذا .

تمتمت (سلوى) فى توتر :

- كلنا نتعشّم هذا .

مضت الثوانى بطيئة متثاقلة ، والكل يتطلّع إلى شاشة الجهاز المتطوّر ، الذى راحت الموجات المخية الفائقة ترتسم عليه على نحو متصاعد مقلق ، و ...

وفجأة ، ظهرت موجات (محمود) على الشاشة ..

وفى اللحظة نفسها تقريبًا ، ارتفع صوته ، من جهاز (نشوى) ، وهو يقول :

- رباه ! لقد وجدنا وسيلة اتصال أخيرًا يا رفاق .

تهلّلت أسارير (سلوى) ، وهى تهتف :

- يا إلهى ! إنه هو .. لقد نجحنا يا (نشوى) .. لقد نجحنا .

أسرعت أصابع (نشوى) تبث سؤالها الجديد إليه ، عبر أزرار جهازها :

- ما الوسيلة التى يمكننا أن نوقف بها ذلك الشر ،

الذى يهاجمنا بمنتهى العنف والشراسة يا (محمود) ؟!

مضت ثوان أخرى من الصمت ، قبل أن يأتيهم الجواب :

- لاتوجد وسيلة تكنولوجية للتغلُّب عليه يا رفاق .. العقل لايهزمه سوى العقل .

سألته (نشوى) ، عبر أزرار جهازها :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

خفق قلب (سلوى) فى قلق ، عندما طالت الثوانى هذه المرة ، قبل أن يأتى جوابه ، قائلاً :

- إنه أمر أعجز عن شرحه يا رفاق .. الشر الذى تواجهونه ليس بشريًا خالصًا كما تتصوّرون .. إنه شىء أشبه بـ ...

اختلّت الكلمات بغتة ، وامتزجت بشوشرة قوية ، حجبت منطوقها تمامًا ، فى نفس الوقت ، الذى هتفت فيه (سلوى) فى توتر :

الموجات المخية تتعاظم ، على نحو مخيف

يا (نشوى) .. إنها تبلغ ضعف ما كانت عليه ، قبل أن نستخدم نظام البث الداخلى ..

التقى حاجبا (نشوى) ، بكل توتر الدنيا ، عندما لاحظت أن موجات المخ الفائقة ، قد امتزجت تمامًا بموجات (محمود) هذه المرة ، وحجبتها على نحو مدهش ، فأسرعت تدق أزرار جهازها ، وهى تغمغم فى عصبية :

ـ رباه ! تُرى هل ...

بترت عبارتها دون مبرر ، ولكن رئيس الفريق هتف ، فى انزعاج مذعور :

ـ ماذا يحدث هنا ؟! ماذا يحدث ؟!

هزت (سلوى) رأسها فى قوة ، وأصابعها تحاول السيطرة على الموقف ، هاتفة فى عصبية :

ـ لست أدرى ! هذا أمر يتجاوز كل القواعد العلمية .. يتجاوزها تمامًا .

مع آخر حروف كلماتها ، اتسعت عينا (نشوى) فى ذعر ، وهى تهتف :

ـ يا إلهى ! البث الداخلى للموجة المضادة توقف أيضًا .

ثم استدارت إلى أمها ، صائحة :

ـ لقد استعاد سيطرته على كل شىء .

هتفت (سلوى) فى عصبية شديدة :

ـ بل صار أكثر قوة .

وفجأة ، ومع قولها ، انفجرت علبة الأسلاك الخلفية للجهاز المتطور الجديد ..

ثم تحطمت شاشته دفعة واحدة ..

تحطمت دون أن تنفجر ..

فقط تحولت إلى قطع مهشمة ، تساقطت عند أقدامهم ..

وصرخ رئيس فريق العلماء ، بكل ذعر الدنيا :

ـ يا إلهى ! لقد عاد .. عاد لينتقم منا .

ثم استدار ، وانطلق يعدو ، وكأنما يحاول الفرار من عدو مجهول ..

أما (سلوى) و(نشوى) ، فقد تجمدتا في مكانهما ، وكأنما أصابهما ذلك المزيج المخيف ، من الذعر والذهول ..

ولكن قلبيهما لم يتجمدا ..

لقد خفقا في عنف ..

وخفقا ..

وخفقا ..

ثم هويا بين أقدامهما ..

فشعور الفشل ، في تلك اللحظات العصيبة ، كان قاسيًا بحق ..

قاسيًا إلى أقصى حد ...

لقد فشل جهدهما ، في نفس اللحظة التي كاد (محمود) يشرح فيها ما لديه ..

ويصف كيفية المقاومة ..

ونقطة ضعف الخصم ..

وأبشع أنواع الفشل ، هو ذلك الذي يصطدم به المرء ، بعد أن تصور أنه قد اقترب من النجاح ..

وفي مرارة يائسة ، غمغمت (نشوى) :

ـ لقد عاد .

أضافت (سلوى) في مرارة مماثلة :

ـ لينتقم .

والعجيب أن كلتيهما ، ودون اتفاق مسبق ، لم تحاولا الفرار ..

ربما لأنهما أدركتا أنه ما من سبيل للفرار ..

وما من مكان للاختباء ..

فخصمهما لا يهاجم الأجساد ..

بل العقول ..

والعقل لا يفرّ ..

ولا يختبئ ..

ولقد أتاهما الدليل على هذا ، فور ورود الفكرة إلى رأسيهما ..

فأمامهما ، كان رئيس فريق العلماء يجرى هاربًا ..

ويجرى ..

ويجرى ..

ثم فجأة ، شعرت كلتاهما بتلك الموجة العقلية الجارفة ..

موجة عبرت جسديهما ..

وعقليهما ..

وكيانيهما ..

عبرتها لحظة ، قبل أن تنقضّ على رئيس الفريق ، الذى أطلق صرخة قوية ، وجسده يندفع إلى الأمام ، كما لو أنه قد تلقّى ركلة بالغة العنف فى ظهره ..

وسقط الرجل على وجهه أرضًا ، وهو يطلق صرخة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

ثم أمسك رأسه ، ودار حول نفسه ، والرعب يملأ كل لمحة فى وجهه ، وعيناه تتسعان عن آخرهما ، و ...

وسقط فجأة ..

سقط والدماء تنفجر من أنفه وفمه فى غزارة ، وتضع بركة حمراء قانية حول رأسه ..

كان مشهدًا بشعًا رهيبًا ، تخلع له قلب (سلوى) ..

أما (نشوى) ، فقد سرت فى جسدها موجة أخرى ..

موجة من الغضب ..

والثورة ..

والاحتجاج ..

موجة جعلتها تنهض فجأة ، صارخة :

- كفى .

ارتجفت كل ذرة فى كيان (سلوى) ، عندما سمعت صرخة (نشوى) ، ووجدت نفسها تهتف فى رعب :

- (نشوى) ؟! ماذا تفعلين ؟!

خيِّل إليها أن ابنتها لم تسمعها ، وهى تواصل بكل الغضب والصرامة :

- كفاك ما أرقت من الدماء .

نهضت (سلوى) تمسك يد ابنتها ، هاتفة :

- (نشوى) .. هل جننت ؟!

استدارت إليها (نشوى) ، قائلة فى حدة :

- إنه لايسعى للانتصار والسيطرة فحسب يا أمى .. إنه يعشق الشر وسفك الدماء .

قالت (سلوى) متوسلة :

- أرجوك يا (نشوى) .

أمسكت (نشوى) كتفى أمها فى قوة ، وهى تقول فى صرامة ، جعلتها أشبه ما تكون بأبيها :

- لاتتوسلى يا أمى .. كل كلمات الدنيا لن تكفى ، لإثارة ذرة واحدة من الرحمة أو الشفقة ، فى قلب هذا الوغد ؟

ثم أدارت عينيها فى المكان ، مضيفة فى صرامة :

- لو أن له قلبًا .

تفجَّرت الدموع من عينى (سلوى) ، وهى تقول :

- وماذا لو قرَّر قتلك ؟!

هزَّت (نشوى) رأسها فى قوة ، مجيبة :

- ماذا لو ؟! لقد اتخذ قراره بالفعل يا أمى .. إنه سيقتل الجميع بلا رحمة .

وأطلَّت من عينيها صرامة متناهية ، مع إضافتها :

- إنه يستمتع بهذا .

وتعقد حاجباها، وهى تعيد بصرها إلى عينى أمها، مستطردة:

ـ لذا لاتتوسلى .. لاتخافى أو تحزنى .. كل ما يمكن أن يفعله بنا هو أن يقتلنا، ولكنه لن يذل ناصيتنا، أو يحطم إرادتنا أبدًا.

تراجعت (سلوى)، وهى تتطلع إليها فى دهشة .. إنها بالفعل تشبه والدها ..

ربما كانت ملامحها أقرب إليها هى ..

ولكن قوتها وإرادتها هما صورة من قوة وإرادة أبيها ..

(نور) ..

المقدم (نور الدين محمود) ..

هو أيضًا كان من المستحيل أن يستسلم، أو ينهار ..

أو حتى يجثو على ركبتيه ..

لو أنه فى مكانها، لقرر أن يموت بنفس الأسلوب، الذى اختارته هى ..

قويًا ..

صارمًا ..

عنيدًا ..

واقفًا على قدميه ..

لذا، فقد تراجعت (سلوى) ..

تراجعت فى صمت، وهى تتطلع إلى ابنتها فى حنان ..

فى انبهار ..

وفى زهو ..

أما (نشوى)، فقد اعتدلت، وكأنها تواجه خصمًا مجهولا، قائلة بكل العناد والصرامة والصلابة:

ـ أعلم أنك هنا .. عقلك هنا فى مكان ما .. يراقب كل ما نفعله، ويسمع كل ما نقوله .. أعلم أنك هنا.

ثم رفعت قبضتها عاليًا ، لتصيح فى قوة :

- وأنا أتحداك .

وعلى الرغم منها ، شعرت (سلوى) بقلبها ينتفض هلعًا بين ضلوعها ..

بل ويبكى ..

يبكى بدموع من دم ..

ولكنها لم تعلق ..

أو تتدخل ..

أو حتى تعترض ..

فابنتها التى تعرفها ، لن تتراجع عن هذا التحدى أبدًا ..

مهما كانت النتائج ..

ومهما كان الثمن ..

وقفتها الثابتة المتحدية تثبت هذا ، وصوتها القوى الحازم الصارم يعلنه بكل وضوح ، وهى تواصل :

- هل سمعتنى جيدًا أيها الوغد ؟!

إننى أتحداك لن تمس شعرة واحدة منى .. أتحداك أن تسيطر على عقلى ، كما فعلت مع الآخرين .

وارتفع صوتها ، حتى بلغ مرتبة الصراخ ، وهى تضيف مكرّرة :

- إننى أتحداك .

راحت (سلوى) تتلفّت حولها ، وهى تتساءل فى ذعر : أهو هنا حقًا ؟!

هل سمع تحدى ابنتها ؟!

هل أدرك ما يحدث ؟!

وماذا سيكون رد فعله ، لو أنه هنا بعقله ؟!

ماذا سيفعل بها ؟!

بابنتها ؟!

ثم قفز سؤال آخر إلى ذهنها ..

تُرى لماذا تفعل (نشوى) هذا ؟!

لماذا تتحداه على هذا النحو ؟!

أهو مجرد غضب ، أو انهيار عصبىّ ؟!

أم أنه لديها خطة ما ؟!

وأية خطة تلك ، التى تستلزم تحديًا رهيبًا كهذا ؟!

أية خطة ؟!

ومرة أخرى ، صرخت (نشوى) ، وهى تلوّح بقبضتيها فى الهواء :

- أين أنت أيها الجبان ؟! قلت لك إننى أتحداك .

وهنا شعرت (سلوى) بشىء ما يعبر جسدها .

أو يعبر عقلها ..

ثم هوى قلبها بين ضلوعها ، عندما رأت (نشوى) تتراجع إلى الخلف بحركة حادة ، كما لو أنها قد تلقت لكمة فى أنفها ، قبل أن تسقط أرضًا ، وجسدها كله يرتجف فى قوة ..

عندئذ ، وعندئذ فقط ، صرخت (سلوى) :

- لا .. ليس (نشوى) .

وانهار كيانها كله ، وهى تندفع نحو ابنتها ، التى بدت وكأنها تلفظ أنفاسها ..

أنفاسها الأخيرة .

* * *

انتهى الجزء الثانى بحمد الله

ويليه الجزء الثالث بإذن الله

(الخصم الرهيب)

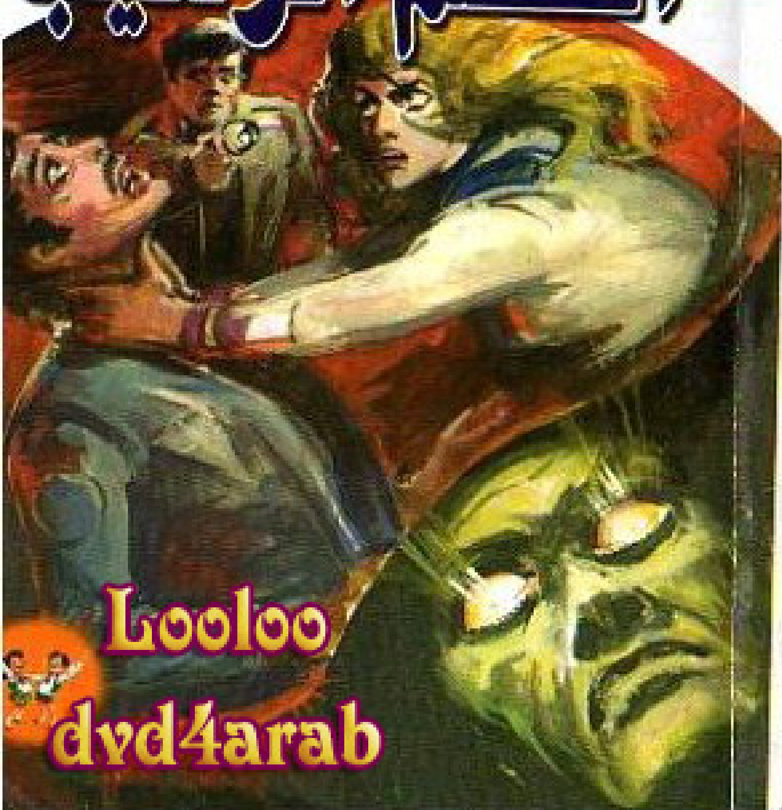
روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جدا !!

د. نبيل فاروق

145

الخصم الرهيب



Looloo
dvd4arab

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ، من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ حرب الشر ..

« لقد فقدنا السيطرة على الموقف تمامًا .. »

هتف الدكتور (جلال) ، رئيس مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية المصرية بالعبارة ، فى توتر لا محدود ، وهو يندفع داخل حجرة القائد الأعلى ، الذى هبَّ من خلف مكتبه ، قائلاً فى انزعاج شديد :

ـ حقًّا ؟!

هزَّ الدكتور (جلال) رأسه فى قوة ، وهو يقول فى عصبية :

ـ لست أجد مصطلحًا بخلاف هذا ؛ لتفسير الموقف البائس ، الذى بلغته أمورنا ، فى صراعنا مع عقل الشر المدمِّر هذا .

التقى حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وعقله يستعيد بسرعة تلك الأحداث الرهيبة ، التى انتهت بهم إلى هذا الموقف العصيب ..

فكل هذا قد بدأ برسالة عجيبة ، تلقَّاها رجل الأعمال الشهير (شريف صابر) ، عبر هاتفه المحمول الحديث ..

رسالة ، تحدث صاحبها بصوت آلى مخيف ، وهو يطالبه بمليار جنيه مصرى دفعة واحدة ، مقابل تركه على قيد الحياة ..

ولم يذعن (شريف صابر) للتهديد ، أو يرضخ للابتزاز ..

واتصل برجال الشرطة على الفور ..

ولكن الأمر كله كان محيرًا ، حتى إن رجال الشرطة أنفسهم قد وقفوا أمامه عاجزين مقيدين ..

الرسالة ، التى استقبلها الهاتف الرقمى الحديث ، لم تترك داخله أى أثر ، يمكن أن يشير إلى موعدها أو هويتها ..

لم تترك أدنى أثر ..

ولأن هذا مستحيل علميًا وتقنيًا ، مع تلك الهواتف الرقمية شديدة التطور ، والمستخدمة فى تلك الفترة ، من العقد الثانى من القرن الحادى والعشرين ، فقد تصور رجال الشرطة ، وتصورت (مشيرة محفوظ) ، رئيسة جريدة (أنباء الفيديو) ، التى ذهبت لتغطية الحادث ، أنها مجرد خدعة من رجل الأعمال ، لجذب الأضواء إليه ، ولتنشيط مبيعات شركاته ومصانعه ، بدعاية غير مدفوعة ..

ولكن (شريف صابر) فاجأ الجميع ، عندما بدا فجأة أشبه

بالمأخوذ ، أو بالواقع تحت تأثير التنويم المغنطيسى ، وهو يقدم ، أمام عيون الجميع ، وعدسات آلات التصوير ، على آخر ما يمكن أن يتخيله أى مخلوق ..

لقد ألقى نفسه عبر النافذة ..

ومن الطابق العشرين ..

وكان هذا ما ينشده قاتله الغامض بالضبط ..

الدعاية ..

ولأن (نور) وفريقه قد أدركوا هذا ، فقد حاولوا بقدر إمكانهم ، منع (مشيرة) من بث ذلك المشهد الرهيب ..

والواقع أنهم قد بذلوا قصارى جهدهم ، واستعانوا بكل خبراتهم ، وأفسدوا برنامج البث ، و ....

ولكن الفيلم تم بثه بالفعل ..

وبدون أن تعمل الآلات ..

وهنا ، أدرك (نور) وفريقه أنهم يواجهون خصمًا رهيبًا ..

خصم ، يمكنه السيطرة على العقول ..

والبشر ..

وحتى الآلات ..

وكانت هذه بداية لمواجهة رهيبة ..

رهيبة إلى أقصى حد ..

مواجهة سيطر فيها ذلك الخصم على العقول ، وجنّدها لخوض حروب مفزعة ، وتأليب الكل على الكل ..

(مشيرة) كادت تقتل (أكرم) ..

و(نور) أيضًا كاد يقتله ..

و(سلوى) أوشكت على قتل (نور) ..

عشرات خضعوا لعقله الجبار ، وتحوّلوا ، دون إرادة منهم ، إلى جنود فى جيشه ..

جيش لامحدود ، يعمل كله بتوجيه من أعمق أعماق عقله ..

وما يجهله القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وما يجهله (نور) وفريقه أيضًا ، أن ذلك العقل الرهيب ليس عقلاً عاديًا ..

إنه عقل شديد التطوّر ، تمت تنميته ، طوال عقدين من الزمن ، هناك فى أعمق أعماق جبال (التبت) ..

زمن طويل ، قضاه فى تطوير قدراته العقلية ، وتقويتها ، وتدريبها ، على يد واحد من رهبان التبت ..

هناك تضاعفت قدرات عقله المتطوّر ..

وتضاعفت ..

وتضاعفت ..

وعندما بلغ الحد الكافى ، للسيطرة على كل العقول ، حتى عقل معلّمه نفسه ، قرّر أن يعود ..

وأن ينطلق ..

وينتقم ..

وكان انتقامه رهيبًا بحق ..

(أكرم) واجه خطرًا هائلاً ..

(سلوى) حطمت كل ما حولها ..

(رمزى) كاد يلقى مصرعه ، خنقًا وحرقًا ..

ووسط كل هذا ، حدث أمر مدهش ..

أو اتصال مدهش ..

اتصال مع (محمود) ، عضو الفريق السابق ، الذى ضاع فى مجرى الزمن قديمًا(*) ..

(*) راجع قصة (الزمن ـ صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

لأول مرة ، يتم اتصال مسموع بينهم وبينه ..

ولأول مرة ، يعود إلى العمل مع الفريق ، دون أن يغادر فراغه الزمن الحر ..

وأخبرهم (محمود) ..

أخبرهم أنه ما من وسيلة تكنولوجية ، في العالم كله ، يمكنها أن تهزم ذلك الشر الرهيب ..

فقط العقل ، يمكن أن يهزم العقل ..

والعقل وحده ..

ولكن (محمود) لم يجد الوقت الكافي ، ليشرح لهم ما الذي يعنيه هذا ..

فعلى الرغم من أن (سلوى) و(نشوى) قد ابتكرتا موجة مضادة ، يمكنها معادلة موجات ذلك العقل الجبار ، إلا أنهما لم يستطيعا بثها على نطاق واسع أبدًا ..

هذا لأن ذلك الخصم الرهيب قد استخدم قواه العقلية ، للسيطرة على عدد هائل من الحيوانات والطيور ، ودفعها كلها لتحطيم البرج قبل البث ..

برج محطة (أنباء الفيديو) ..

ومع انهيار برج البث ، فشلت خطة (سلوى) و(نشوى) ..

واستعاد الخصم الرهيب قوته ..

وسيطرته ..

وانطلق كالعاصفة ..

بل كالإعصار ..

وفي نفس اللحظة ، التي سحقت فيها قطعة من البرج المنهار ، سيارة المقدّم (نور) ، بلا رحمة أو هوادة ، كانت (نشوى) تواجه ذلك العقل الوحشي ، داخل مركز الأبحاث العلمية ..

تواجهه وتتحداه ..

بكل عنادها ..

وصرامتها ..

وإرادتها ..

وانقضّ عليها ذلك العقل الرهيب ..

وأمام عيني (سلوى) المرتاعة ، انتفض جسد (نشوى) ، كما لو أنها قد تلقت لطمة قوية ..

ثم سقطت بمنتهى العنف ..

وعندما اندفعت (سلوى) نحوها ، كانت (نشوى) تبدو وكأنها تلفظ أنفاسها ..

أنفاسها الأخيرة(*) ..

« اهدأ يا دكتور (جلال) ، واشرح لى الأمر بالتفصيل » ..

نطق القائد الأعلى العبارة فى صرامة ، وهو يلتقط يد الدكتور (جلال) ، ويقوده إلى مقعد قريب ، فقال الرجل ، وكل حرف من حروف كلماته يضطرب على شفتيه ولسانه :

ـ قسم أبحاث الزمن ، الذى أنشأناه مؤخراً ، تم تدميره بالكامل ، فى نفس الوقت الذى أغلقت فيه كل المداخل التى تقود إليه ، دون أن تفلح كل أجهزتنا الإليكترونية المتطورة فى فتحها ، وآلات المراقبة الداخلية أيضاً أوقفت ، ولسنا ندرى كيف حدث هذا ، وما الذى يحدث داخل المكان !

ازدرد القائد الأعلى لعابه ، محاولاً السيطرة على أعصابه ، وهو يتساءل ، فى حذر متوتر :

ـ أهناك أحياء ، أم ....

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين ، الأول والثانى ، (بلا جسد) ، و(العقل) .. المغامرتين رقمى (١٤٣) ، و(١٤٤) .

لم يستطع إكمال سؤاله ، ولكن الدكتور (جلال) هز رأسه فى قوة ، مجيباً فى أسى ومرارة :

ـ لا أحد يمكنه الجزم ، فى الوقت الحالى .. رجال الأمن يحاولون اقتحام المكان ، لتحديد الموقف داخله ..

ثم دفن وجهه بين كفيه ، مستطرداً ، فى صوت أشبه بالنحيب :

ـ صفوة علمائنا كانوا هناك ، وكذلك (سلوى) و(نشوى) ..

يا للخسارة ! يا للخسارة !

ازداد انعقاد حاجبى القائد الأعلى ، وهو يتراجع فى توتر بالغ ، ولاذ بالصمت بضع لحظات ، قبل أن يسأل ، فى شىء من العصبية :

ـ وماذا عن الباقين ؟!

زفر الدكتور (جلال) ، مجيباً :

ـ (أكرم) مصاب فى قسم الرعاية الطبية الخاص ، داخل إدارة الأبحاث العلمية ، وبصحبته زوجته (مشيرة) ، ونحن نحيطهما بحراسة مكثفة ، باعتبار أن (مشيرة) هى مفتاح اللغز كله ، كما أكد المقدم (نور) ، و(رمزى) أيضاً ..

قاطعه القائد الأعلى ، متسائلاً فى لهفة :

ـ وماذا عن (نور) ؟!

رفع الدكتور (جلال) عينيه إليه فى بطء ، وهو يقول :

ـ لا شىء .

سأله القائد الأعلى ، فى سرعة وتوتر :

ـ ماذا تعنى ؟!

زفر الدكتور (جلال) مرة أخرى ، قائلاً :

ـ أعنى أنه ليست لدينا أية معلومات مؤكدة بشأنه ، سوى ..

بتر عبارته دفعة واحدة ، على نحو ضاعف من توتر القائد الأعلى ، مما دفع هذا الأخير إلى أن يسأل فى حدة :

ـ سوى ماذا ؟!

هز الدكتور (جلال) رأسه ، مجيبًا فى خفوت :

ـ سوى تأكيد بصرى ، من طاقم أمن محطة (أنباء الفيديو) ..

وارتجف صوته ، وهو يضيف :

ـ تأكيد بصرى مخيف .

سأله القائد الأعلى ، فى حذر عصبى :

ـ إلى أية درجة ؟!

ازدرد الدكتور (جلال) لعابه ، محاولاً السيطرة على توتره ، إلا أن ارتجافة صوته شفت عما يدور فى أعماقه ، وهو يجيب :

ـ رجال الأمن شاهدوا قطعة من برج البث المنهار ، وهى تطارد سيارة (نور) ، كما لو دبت فيها الحياة ، و ...

صمت لحظة ، ثم أضاف ، وهو يشيح بوجهه فى مرارة :

ـ وتسحقها سحقًا .

واتسعت عينا القائد الأعلى عن آخرهما ، وتراجع خطوة ، بكل توتر الدنيا ..

فالموقف كان يوحى بالفعل أنهم قد فقدوا السيطرة ، فى حرب الشر هذه ..

فقدوها تمامًا ..

* * *

لقد ربح هذه الجولة بجدارة ..

هكذا شعر ذلك الخصم الرهيب ، وهو يجلس القرفصاء في مكمنه ، وعيناه تتألَّقان على نحو مخيف ..

عقله أثبت تفوقه مرة أخرى ..

عقله الجبَّار ، الذي سعى لتنميته ، وتقويته ، وتطويره ، طوال عقدين من الزمان ، أثبت أنه أقوى من تكنولوجيتهم ..

وإرادتهم ..

وقوتهم مجتمعين ..

وها هو ذا يستعيد سيطرته على الموقف كله ..

ويسحق محاولتهم لتحجيمه سحقًا ..

بلا هوادة ..

وبلا رحمة ..

الجهاز الوحيد ، الذي كان بإمكانه كشف موجات عقله الرهيب ، وتتبُّعه وتعقُّبه ، ثم تدميره ..

وبوساطتهم هم ..

والبرج ، الذي كاد يبث الموجة المضادة لموجات مخه ، هوى وتحطَّم ..

قائد الفريق انسحق مع سيارته ..

ولم تتبق سوى خطوة واحدة ، وتتحطَّم المقاومة تمامًا ..

عليه أن يدمِّر ذلك العقل ، الذي ابتكر وسيلة تحجيمه ..

عقل (نشوى) ..

(نشوى) ، التي دفعها غرورها إلى مواجهته ..

ومقاومته ..

وتحديه ..

ويا لها من مغرورة تافهة !

وبكل قواه العقلية الجبَّارة ، انقضَّ عليها ..

على عقلها ..

وجسدها ..

وكيانها كله ..

ويا لتفاهتها !

إنها لم تبذل حتى أدنى جهد ، لمقاومة سيطرته العقلية ، أو معاندة إرادته الفولاذية ..

لذا ، فهى تستحق أن يسحقها سحقًا ..

وبأعنف وسيلة ممكنة ..

سيذيب خلايا مخها ، ويمزجها بعظام جمجمتها ، و ....

فجأة ، توقفت أفكاره ..

توقفت مع تلك الموجة ، التى اخترقت عقله فجأة ..

موجة قوية ، قادرة على تتبُّع موجات عقله ..

وتعقُّبها ..

وكشفها ..

ومن أعمق أعماق الشر ، فى كل ذرة من كيانه ، تفجَّر غضب هادر ..

وعلى الرغم منه اضطر إلى التراجع ..

وبأقصى سرعة ..

ومع غضبه العنيف ، بدا وكأن خلايا مخه تغلى ..

وتغلى ..

وتغلى ..

ومع انفعاله ، راح إيقاع تنفُّسه يتصاعد ..

ويتصاعد ..

ويتصاعد ..

ولكن لا ..

لا ينبغى له أن يطلق العنان لانفعالاته ، على هذا النحو ..

لا ينبغى أبدًا ..

وبكل إرادته المذهلة ، أغلق عينيه ..

وأطلق عقله ..

وسيطر على مشاعره وانفعالاته ..

كل انفعالاته ..

وبعقل فاق كل العقول ، راح يدرس الموقف ..

لقد تمادى كثيرًا بالفعل ..

عقله لم يتوقَّف عن الانطلاق والسيطرة أبدًا ..

وفى عدة اتجاهات ..

ولقد بدأ يشعر بالإجهاد ..

الإجهاد العقلى ..

وما تعلّمه ، طوال عقدين من الزمان ، هو ألا يجهده إلى هذا الحد قط ..

ومهما كانت الأسباب ..

والوقت مناسب تماماً للتوقف ..

والاسترخاء ..

واستعادة النشاط ..

لقد أوقف محاولة بث الموجة المضادة ، ولكنهم يسعون مرة أخرى لتعقُّبه ..

ووسيلتهم الوحيدة لهذا ، هى تتبُّع نشاطه العقلى الجبار ..

وهو لن يمنحهم هذه الفرصة

أبداً ..

وبإرادة ينثنى أمامها الفولاذ ، دفع كل خلايا جسده للاسترخاء ، دون أن يتخلّى عن وضع القرفصاء ، وخفض نبضات قلبه ، ومعدلات تنفُّسه إلى حدها الأدنى ، ثم تجمّد تماماً ، كما لو كان تمثالاً من الرخام ..

وكان هذا يعنى أنه يمر بحالة نادرة من السكون ..

السكون الذى يسبق العاصفة ..

عاصفة الشر ..

* * *

ارتجفت كل ذرة فى كيان (سلوى) ، وهى تمسك ابنتها من كتفيها ، صارخة بكل ارتياع ولوعة الدنيا :

- لا يا (نشوى) .. لا .. قاومى .. لا تسمحى له بالسيطرة على عقلك .. لا ..

وعلى الرغم من صرخاتها ، راح جسد (نشوى) يرتجف ..

ويرتجف ..

ويرتجف ..

و .....

وفجأة ، انطلق فى المكان أزيز مفاجئ ...

أزيز ، أعقبه صوت آلى ، يقول :

- بدأ تشغيل البرنامج ..

ثم عاد السكون يُخيِّمُ على المكان كله ..

حتى (سلوى)، انحبست كلماتها فى حلقها، وانعقد حاجباها بشدة، وهى تحتوى جسد ابنتها بين ذراعيها فى خوف، وعقلها يتساءل: أى برنامج هذا، الذى بدأ تشغيله ؟!

أى برنامج ؟!

وقبل حتى أن ينطلق عقلها، بحثًا عن الجواب، انتفض جسد (نشوى) انتفاضة قوية بين ذراعيها، ثم انطلقت من حلقها شهقة ..

شهقة، جعلت (سلوى) تهتف فى هلع:

ـ يا إلهى ! (نشوى).

كانت الدموع تتفجَّر من عينيها، عندما فتحت (نشوى) عينيها فى تهالك، متمتمة فى ضعف:

ـ اطمئنى يا أمى .. لقد خدعته.

حدَّقت (سلوى) فى وجهها لحظة، بكل لهفة الدنيا، قبل أن تحتضنها فى قوة، قائلة:

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله على سلامتك يا بنتى.

كررت (نشوى)، وكأنها لم تسمعها:

ـ لقد خدعته ..

أبعدتها (سلوى) قليلاً؛ لتتطلَّع إلى وجهها فى دهشة، متسائلة:

ـ خدعت من ؟!

ابتسمت (نشوى) فى ضعف، وهى تشير بسبَّابتها، قائلة:

ـ لقد هاجمنى، واخترق عقلى، وصوَّر له غروره أننى قد فقدت سيطرتى على نفسى، عندما تحديته على هذا النحو.

وتوقَّفت لحظة، ازدردت خلالها لعابها، قبل أن تضيف:

ـ ولكنها كانت خدعة.

رددت (سلوى) فى ذهول:

ـ خدعة ؟!

أشارت (نشوى) بسبَّابة مرتجفة، إلى جهاز الكمبيوتر، الذى انطلقت منه العبارة، وهى تقول:

ـ نعم .. لقد برمجت ذلك الجهاز هناك، ليطلق برنامج تعقُّب سريع، فى توقيت حددته مسبقًا.

اقتحم رجال أمن إدارة الأبحاث العلمية المكان ، بعد أن تراجعت سيطرة الخصم العقلية عن مداخله ومخارجه ، فى نفس اللحظة التى هتفت فيها (سلوى) فى لهفة :

- هل .. هل حدثت موقعه ؟!

التقطت (نشوى) نفسًا عميقًا ، وهى تغمغم :

- أعتقد هذا .

نطقتها ، وانهار جسدها تمامًا ، معلنة نهاية جولة أخرى من تلك الحرب ..

حرب الشر ..

الرهيبة .

* * *



٢ـ الخسائر ..

ثوان قليلة ، كانت تكفى لحسم الموقف كله ..

ثوان ، قد لاتتجاوز أصابع اليد الواحدة ..

قطعة البرج المنهارة تطارد سيارة (نور) ، فى استماتة عجيبة ، تخالف كل قواعد العقل والمنطق ..

ثم تنقضّ عليها ..

و ....

وبكل قوته ، وأقصى سرعته ، وذروة طاقته ، وثب (نور) ..

وثب خارج سيارته الصاروخية ، وضمّ ركبتيه إلى صدره ، وهو يحمى رأسه ووجهه بذراعيه ، تاركًا جسده يتدحرج ..

ويتدحرج ..

ويتدحرج ..

ومن خلفه ، هوت قطعة البرج الضخمة ، التى تتجاوز الطنين وزنًا ، فوق سيارته تمامًا ..

وسحقتها سحقًا ..

وكان الدوى رهيباً ..

رهيباً بحق ..

وحتى استقر جسده خارج الطريق ، وسط الغبار والحصى ، والأحجار الصغيرة ، لم يكن الدوى قد توقَّف بعد ..

وفى سرعة ، هبَّ (نور) واقفاً ، وانعقد حاجباه بشدة ، مع أنفاسه اللاهثة ، وهو يتطلَّع إلى سيارته ..

أو إلى ما تبقَّى منها ..

وفى توتر لا محدود ، غمغم :

- رباه ! إنه لا يتوقَّف أبداً .

كان يشعر بمزيج من التوتر والغضب والقلق فى أعماقه ، بعد أن انهار برج البث الرئيسى ، وفشلت خطة فريقه ، فى تحجيم طاقات وقدرات خصمهم الرهيب ، على هذا النحو ..

ومن فوقه ، حلَّقت آلاف الطيور مبتعدة ، وكأنما تحرَّرت أخيراً ، وبدت أشبه بسحابة داكنة ، غطت مشهد التلب ، التى راحت تعدو فى كل الاتجاهات ، وقد تولَّتها حالة عجيبة من الفزع ، أفقدتها صوابها ، حتى إن بعضها مرَّ على قيد مترٍ واحد منه ، وتابع طريقه بأقصى سرعته ، كما لو أنه لم يلمحه ..



وفى سرعة ، هبَّ (نور) واقفاً ، وانعقد حاجباه بشدة ، مع أنفاسه اللاهثة ، وهو يتطلَّع إلى سيارته ..

كان من الواضح أن السيطرة العقلية تصيب ضحيتها دومًا بالفزع ..

بنوع غامض مبهم من الفزع ..

والتقط (نور) نفسًا عميقًا ، وحاول أن يتجاهل كل آلامه وجراحه ، وأن يطلق لعقله العنان ؛ فى محاولة لتفسير ما حدث ..

ليس عملية سقوط برج البث ..

وإنما ما بعدها ..

فمع سقوط البرج ، كان من الطبيعى أن يستعيد ذلك الخصم الرهيب سيطرته الفائقة ..

وأن يسعى للانتصار ..

بمنتهى القسوة ..

ومنتهى السرعة ..

كان من الممكن أن يدفع الذئب إلى مهاجمته وافتراسه ..

أو يجعل الطيور تنقضّ عليه ..

أو حتى يعيد السيطرة على مخه ..

ولكنه ، وعلى عكس أى منطق ، لم يفعل هذا ..

لم يفعل شيئًا ..

أى شىء ..

فلماذا ؟!

لماذا ؟!

ظلّ السؤال يتردد فى ذهنه ، وهو يتابع ببصره سيارة (أنباء الفيديو) ، التى غادرت المحطة ، واتجهت نحوه مباشرة ، ثم أمسك مسدسه بحركة غريزية ، وهو يغمغم :

ـ ماذا لو..

قبل أن يتم تساؤله ، ارتفع رنين جهاز الاتصال المحدود ، فى قلب ساعته ، فرفعها إلى شفتيه بسرعة ، وضغط زر الاتصال ، قائلاً فى توتر ، لم يستطع حجبه :

ـ هنا (نور) .. ماذا هناك ؟!

أتاه صوت زوجته (سلوى) ، وهى تهتف :

ـ (نور) .. أسرع يا (نور) .. إنها (نشوى) .

ارتجفت الدماء فى عروقه ، وهو يهتف :

ـ ماذا أصابها ؟!

شرحت له (سلوى) ما حدث، بكلمات مرتجفة مضطربة، قبل أن تقول فى توتر :

ـ لقد حدثت بالفعل دائرة تواجده، ولكنها فقدت وعيها، وانخفض معدّل تنفّسها، والأطباء قلقون بشأنها.

التقى حاجباه فى شدة، وهو يقول فى انفعال :

ـ حدثت دائرة تواجده.

الآن فقط أدرك، لماذا لم يواصل ذلك الخصم هجومه..

لماذا توقّف بغتة..

الآن فقط..

« (نور) ... »

انتزعته (سلوى) بهتافها الغاضب من أفكاره، قبل أن تتابع فى حدة :

ـ إننى أتحدث عن ابنتنا.

بلغته سيارة (أنباء الفيديو) فى تلك اللحظة، فقال فى حزم :

ـ أنا فى طريقى إليك.

قالها، ووثب إلى سيارة (أنباء الفيديو) :

دون أن يدعوه أحد لهذا، وأشار إلى قائدها بالانطلاق، وعقله كله يحمل فكرة واحدة..

لقد حدثت (نشوى) دائرة تواجده..

وهذا يعنى ضرورة التحرك الآن..

وبأقصى سرعة ممكنة..

بهذا فقط قد يكون هناك أمل..

آخر أمل..

* * *

« إنها بخير.. »

نطق طبيب الملحق الطبى، فى إدارة الأبحاث العلمية العبارة فى ارتياح، بعد أن انتهى من فحص (نشوى)، قبل أن يبتسم، قائلاً :

ـ لقد استنفدت طاقتها فحسب، وبعض النوم سيعيد إليها نشاطها، إن شاء الله (العلى القدير).

أطلقت (سلوى) تنهيدة حارة، من أعماق قلبها، وهى تقول :

ـ حمداً لله.. حمداً لله.

ثم انعقد حاجباها ، وهى تضيف فى توتر :

ـ كنت أتمنى لو أن (نور) هنا ؛ ليسمع هذه الكلمات بنفسه .

ابتسم الطبيب مرة أخرى ، وهو يقول فى رصانة :

ـ زوجك رجل رائع ياسيّدتى ، يؤدّى عمله دومًا بكفاءة ، من أجلنا جميعًا .

زفرت فى أسى ، قائلة :

ـ هذا صحيح ، ولكنه يولى عمله اهتمامًا أكثر مما ينبغى ، حتى إنه ألقى نظرة واحدة على ابنته ، وألقى عليك سؤالين ، ثم انطلق ليرى ما كشفته ، قبل أن تسقط فى غيبوبتها .

وافقها الطبيب بإيماءة من رأسه ، قبل أن يقول :

ـ هذا يثبت أنه شخصية فريدة ياسيّدتى .

حاولت أن تعترض ، إلا أنه استطرد فى سرعة :

ـ هل تعتقدين أنه لايحب ابنته ، بنفس القدر الذى تحبينها به ؟!

هتفت مخلصة :

ـ بالتأكيد .. إنه والدها .

قال على الفور :

ـ وعلى الرغم من هذا ، فقد ألقى عليها نظرة واحدة ، واطمأن إلى أننا نوليها الرعاية الكاملة ، ثم انطلق ليواصل عمله ، ولينقذ العالم كله من خطر قائم رهيب .. خطر يتهددنا جميعًا .

ثم مال نحوها ، مضيفًا بلهجة ذات مغزى :

ـ وعلى رأسنا ابنته نفسها .

احتقن وجهها ، مع هذا المنطق الواضح ، وغمغمت :

ـ هذا صحيح .

كانت تشعر بالخجل ؛ لأن انفعالها جرفها ، إلى اتخاذ مثل هذا الموقف من زوجها (نور) ..

وفى هدوء رصين ، قال الطبيب ، وابتسامته تحمل كل المودّة :

ـ من النادر أن نجد شخصًا يدافع عنا بكل هذا الإخلاص .. أليس كذلك ؟!

غمغمت :

ـ بالتأكيد .

وألقت نظرة حانية أخرى على ابنتها ، قبل أن تضيف ، وقد تسلل شيء من الحزم إلى صوتها :

- هذا واجبه .

وصمتت لحظة ، ثم استطردت ، وقد تضاعفت نبرة الحزم فى صوتها أكثر :

- وواجبنا ..

فى نفس اللحظة ، التى نطقت فيها عبارتها ، كان الدكتور (جلال) يحدق فى وجه (نور) فى دهشة ، قبل أن يقول فى حماسة :

- اشرح لى مرة أخرى ما تريد فعله بالضبط يا (نور) .

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

- إنها خطة للسيطرة على الموقف يا دكتور (جلال) ، أو لاستعادة السيطرة عليه ، لو شئنا الدقة ، وأول خطوة فى هذه الخطة ، هى إطلاق تلك الموجة المضادة ، التى ابتكرتها (نشوى) ، عبر شبكة الإذاعة الداخلية ، التى تشمل مركز الأبحاث ، وإدارة المخابرات العلمية ، وذلك لصنع ما يشبه الدرع ، الذى يمنع قدرته العقلية من الوصول إلينا ، والسيطرة على عقولنا ، أو عقول العاملين هنا .

هتف الدكتور (جلال) مبهورًا :

- فكرة عبقرية بحق يا (نور) .. كيف لم تخطر ببال أحد علمائنا هنا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- ربما لأن تطورات الأحداث ، هى التى قادتنى إليها ؛ فلقد انتبهت إلى أننا الجهة الوحيدة تقريبًا ، القادرة على مواجهته والتصدى له ، ولكنه يشغلنا عن هذا بدفعنا إلى مجموعة من المواجهات ، التى لا تنتهى ، وبالتسلل إلى عقولنا ، والهيمنة على تصرفاتنا ، ودفعنا إلى تدمير كل ما يمكن أن يوقفه ، لذا ، فأول ما ينبغى أن نفعله ، هو أن نعزل عقولنا عن تأثيره ، ونمنح أنفسنا هدنة مناسبة ، يمكننا خلالها دراسة الموقف فى هدوء ، وتطوير وسائلنا ، وابتكار نظام قادر على التصدى له ، خارج حدودنا هنا .

ابتسم الدكتور (جلال) ، قائلاً :

- ألم أقل لك : إنها فكرة عبقرية ؟!

ثم التقط جهاز الاتصال الداخلى ، مضيفًا فى حزم :

- سآمر بتنفيذها على الفور .

لقى أوامره بالفعل ، ثم قال :

ـ لقد تم نسخ برنامج (نشوى) بالفعل ، إلى الكمبيوتر المركزى ، وسيتم بث الموجة المضادة ، عبر شبكة الاتصالات الداخلية ، خلال عشرين ثانية فحسب .

وأعاد جهاز الاتصال الداخلى إلى حزامه ، وهو يتساءل فى شغف :

ـ وماذا عن الخطوة الثانية ؟!

شدّ (نور) قامته ، قائلاً فى حزم صلب :

ـ لن يضيرنا أن ننتظر ، حتى تنتشر تلك الموجة المضادة هنا بالفعل .

سأله فى دهشة مستنكرة :

ـ ولماذا ؟!

أجاب (نور) ، فى لهجة حاسمة :

ـ دكتور (جلال) .. الجهاز الوحيد المتطوّر ، الذى كان بوسعه بث واستقبال الموجات فائقة القصر ، تم تدميره هنا ، بوساطة السيطرة العقلية على أقراننا ، من خصم رهيب ، يمتلك قوة عقلية

جبارة ، لا قبل لنا بها ، ولولا ذلك البرنامج المدهش ، الذى طوّرته (نشوى) ، والقادر على بث تلك الموجات ، عبر جهاز البث التقليدى ، لما أمكننا إيقاف نشاطه مؤقتًا ، ومن يدرى ، ما الذى يمكن أن يحدث ، لو أن توقّف النشاط هذا مؤقت .

سأله الدكتور (جلال) فى قلق :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه (نور) :

ـ أعنى أنه لو كان خصمنا قد عاود نشاطه بالفعل ، دون أن ينبهنا إلى هذا ، فمن المحتمل جدًا أن تكون له عيون وآذان هنا ، يمكن أن تكشف كل ما سنعده لمواجهته .

أدرك الدكتور (جلال) ما يعنيه (نور) ، فقال بحزم :

ـ أنت على حق أيها المقدّم .

لم يكد ينطقها ، حتى ارتفع أزيز من جهاز الاتصال الخاص به ، فالتقطه بسرعة ، واستمع إلى محدّثه لحظة ، قبل أن يقول فى حماسة وارتياح :

ـ لقد تم بث الموجة المضادة بالفعل .

انتقل ارتياحه إلى (نور) ، الذى أغمض عينيه ، متمتمًا :

ـ عظيم .

تابع الدكتور (جلال) ، فى لهفة واضحة :

ـ والآن ، ما خطوتك التالية ؟!

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً :

ـ مادامت (نشوى) قد حددت دائرة تواجده ، إذن فالخطوة المنطقية الآن ، هى أن ننطلق خلفه .

بهت الدكتور (جلال) ، وهو يقول فى توتر :

ـ تنطلقون خلفه ؟! ولكنكم بهذا تخرجون من دائرة الحماية يا (نور) ، وتصبحون تحت رحمة قواه العقلية الرهيبة .

قال (نور) فى صرامة :

ـ نحن لم نصنع درع الموجات هذا ، حتى نحتمى به ، ونترك ذلك الحقير ليفترس العالم كله يادكتور (جلال) .. إنها عملية مؤقتة فحسب ، وينبغى أن نطور خلالها جهاز التتبع ، بحيث نصنع نسخة صغيرة منه ، يمكننا بوساطتها تعقب نشاطه المخى الفائق ، عندما تنتهى الهدنة ، ويواصل خطته الجهنمية مرة أخرى .. نسخة مزودة بوسيلة تمنعه من كشف ما نفعله .

أجابه الدكتور (جلال) فى سرعة :

ـ يمكننا أن نزود نظام الاتصال فى سيارتكم ، بجهاز بث داخلى ، يطلق تلك الموجة المضادة ، و...

« هذا مستحيل ! »

التفت الاثنان فى آن واحد ، إلى البقعة التى انطلقت منها العبارة ، قبل أن يهتف الدكتور (جلال) :

ـ السيدة (سلوى) .

تابعت (سلوى) ، وهى تتجه نحوهما :

ـ إطلاق الموجة المضادة يتعارض تماماً مع استقبال إشارات المخ فائقة القصر .. لايمكنك أن تستخدم هذا وذاك ، فى آن واحد ، فكل موجة منهما ستلغى مفعول الثانية تماماً .

بدا الحرج على وجه الدكتور (جلال) ، وهو يغمغم :

ـ آه .. لم تكن فكرة جيدة إذن .

قالت فى سرعة :

ـ بل هى فكرة عبقرية .

ثم أشارت بسبابتها ، مستدركة :

ـ ولكنها تحتاج إلى تطوير .

سألها (نور) فجأة ، فى اهتمام قلق :

ـ كيف حال (نشوى) ؟!

ابتسمت ، وهى تربت على كتفه فى حنان ، مغمغمة :

ـ بخير حال .. اطمئن .

سألها الدكتور (جلال) فى اهتمام :

ـ ما التطوير الذى تقترحينه ، يا سيدة (سلوى) ؟!

التقطت نفسًا عميقًا ، قبل أن تقول :

ـ سأخبرك .

ثم راحت تشرح فكرتها ..

بالتفصيل ..

* * *

تهللت أسارير (أكرم) ، عندما رأى (رمزى) يدلف إلى حجرته ، داخل الجناح الطبى ، فى مركز الأبحاث العلمية ، وهتف وهو ينهض من مكانه ، عند طرف فراش زوجته (مشيرة) :

ـ (رمزى) .. حمدًا لله على سلامتك .. (نور) أبلغنا بما فعله بك ذلك الحقير .

صافحه (رمزى) بابتسامة هادئة ، وهو يقول :

ـ وأبلغنى بما فعله بكما أيضًا .

وتطلع إلى إصابات (أكرم) ، مستطردًا :

ـ إنك مصاب .

ضحك (أكرم) قائلاً :

ـ لا عليك .. إنها إصابات بسيطة ، وستشفى سريعًا بإذن الله .. لقد عانيت من إصابات أكثر عنفًا ، فى مشاجرات الشوارع قديمًا .

ثم استدار إلى زوجته ، مستطردًا فى أسى :

ـ إصابات (مشيرة) هى التى تستحق الاهتمام .

انعقد حاجبا (مشيرة) ، عندما التفت إليها (رمزى) ، وقالت فى شىء من العصبية :

ـ إصاباتى ليست جسدية .

قال (رمزى) فى هدوء :

ـ أعلم هذا .

وحملت شفتاه ابتسامة هادئة ، وهو يضيف :

ـ ولهذا أنا هنا .

بدا التوتر واضحًا فى صوتها ، وهى تقول :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

جلس (رمزى) على طرف فراشها، وهو يتطلع إلى عينيها مباشرة، قائلاً بصوت عميق:

- الذى أعنيه هو أن كلينا قد مرّ بتجربة رهيبة، أسفرت بالنسبة لى عن بقعة سوداء دائمة، فى أعمق أعماق مخى، تحجب عنى معلومات كنت أعرفها جيدًا، أما بالنسبة لك، فقد أسفرت عن رعب مبهم، يتملك كل ذرة فى كيانك، كلما حاولت استعادة ما حدث.

انعقد حاجبا (أكرم)، وسرى توتر عجيب فى أطرافه، عندما انتبه إلى أسلوب حديث (رمزى)، وصوته الهادئ العميق، وأدرك ما يسعى إليه بالضبط..

ولوهلة، كاد ينفجر فى وجهه معترضًا ومستنكرًا..

ولكن شيئًا ما فى أعماقه، منعه من هذا..

شىء ارتبط بطبيعته، وإحساسه بالواجب..

لذا فقد تراجع فى عصبية، وعقد حاجبيه أكثر وأكثر، وأشاح بوجهه فى توتر، دون أن ينبس ببنت شفة..

أما (مشيرة)، فقد راح توترها يتلاشى تدريجيًا، وهى تتطلع إلى عينى (رمزى) الذى تابع بصوت أكثر هدوءًا، وأكثر عمقًا:

- ومن الواضح أن خصمنا الرهيب لم يتسلل إلى عقولنا وأمخاخنا فحسب، وإنما زرع فيها شيئًا ما، يمنعنا من استخراج أية معلومات خاصة به منها.. باختصار، عقولنا لم تعد كسابق عهدها.. لقد أصبح جزء منها يعمل لحسابه.. أو ربما هى نقطة وثب، يمكنه أن يقفز منها، فى أية لحظة، إلى عقولنا كلها.

لم تعد تعى كثيرًا ما يقوله، مع ذلك الضباب العجيب، الذى أحاط بعقلها، والذى بدت معه عينا (رمزى)، وكأنهما تتسعان..

وتتسعان..

وتتسعان..

ومع استمراره فى الحديث، أصبحت عيناه بالنسبة لها أشبه ببحيرة عميقة..

عميقة..

وبلا قرار..

أما صوته، فلم يعد يصلها عبر أذنيها..

بل يتردد فى مخها مباشرة..

يتردد هادئًا، منسابًا..

تماماً كذلك الضباب ، الذى راح يهيمن على مخها أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم لم يعد (رمزى) يتكلم ..

ولم تعد هى تسمعه ..

ولكن عيونهما ظلت تلتقى ..

عيناه العميقتان المسيطرتان ..

وعيناها الجامدتان الشاردتان ..

« أكان من الضرورى أن تفعل هذا ؟! »

ألقى (أكرم) السؤال فى عصبية بالغة ، على الرغم من خفوت صوته ، فالتفت إليه (رمزى) فى هدوء ، قائلاً :

ـ هل تقترح سبيلاً آخر ؟!

تطلع (أكرم) إلى زوجته فى توتر بضع لحظات ، قبل أن يغمغم بنفس العصبية :

ـ هل سيؤذيها هذا ؟!

صمت (رمزى) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى حذر :

ـ سأبذل قصارى جهدى ؛ حتى أجنبها أى أذى محتمل .

غمغم (أكرم) فى توتر :

ـ احرص على هذا .

تمتم (رمزى) :

ـ بالتأكيد .

ثم عاد يدير عينيه إلى (مشيرة) ، التى بدت شاردة تماماً ، وقال بنفس الهدوء العميق :

ـ (مشيرة) .. أفرغى عقلك من كل توتراته ، وكل مشكلاته ، واجعلى جسدك كله يسترخى ، ويهدأ ، ثم دعينا ننطلق معاً إلى نهر ذكرياتك العميق .

ظلت هادئة شاردة ، إلا أنه لاذ بالصمت بضع لحظات ، ريثما يمنحها الفرصة للاسترخاء ، جسدياً وعقلياً ، ثم لم يلبث أن قال :

ـ عقلك كله مضاء الآن .. كل خلية فيه مستيقظة .. كل شىء رأيته ، أو سمعته ، أو شعرت به ، أو حتى جال بخاطرك ، أصبح متاحاً .. كل شىء .. أهذا صحيح ؟!

غمغمت فى بطء :

ـ نعم .

التقط نفساً عميقاً ، وقال :

ـ فلنعد بذاكرتنا إذن إلى ذلك الموقف العصيب ، الذى واجهته فى محطة البث الفرعية لـ (أنباء الفيديو) .. لقد سيطر بعضهم على مخك .. أليس كذلك ؟!

تمتمت :

ـ بلى !

قال فى هدوء أكثر عمقاً :

ـ ولكن عقلك رآه .

ترددت لحظة هذه المرة ، قبل أن تجيب :

ـ هذا صحيح .

مال نحوها أكثر ، دون أن يبعد عينيه عن عينيها ، وقال :

ـ هناك ظلام مخيف يحيط به .

قالت ، وقد بدأ صوتها يرتجف :

ـ نعم .. ظلام مخيف جداً .

قال بعمق أكثر وأكثر :

ـ لاتجعلى هذا يقلقك .. سنشعل مصباحاً .. سنضىء وجهه ، ونرى ملامحه .. هل يمكنك هذا ؟!

لاذت بالصمت طويلاً هذه المرة ، حتى إن (أكرم) قال فى توتر :

ـ إنك تزعجها .

أشار إليه (رمزى) بالصمت ، وهو يواصل التطلّع إلى عينيها ، ولكن (أكرم) هتف فى حدة :

ـ لقد وعدت ألا تفعل ؟!

استدار إليه (رمزى) هذه المرة ، قائلاً فى حزم :

ـ رويدك يا (أكرم) .. إننى ..

قبل أن يتمّ عبارته ، اندفعت يد (مشيرة) فجأة ، لتقبض أصابعها على عنقه فى قوة ، على نحو جعله يُطلق شهقة مذعورة مندهشة ..

أما (أكرم)، فقد ارتجفت كل ذرة من كيانه، واتسعت عيناه عن آخرهما، فى ذهول تام، وهو يحدّق فى وجه زوجته..

تلك الوجه، الذى بدا ـ لأول مرة فى حياته ـ أشبه بصورة مجسّمة للشر..

كل الشر.

* * *



٣ ـ الظلام..

عدّل عالم الاتصالات الشاب، فى مركز الأبحاث العلمية، منظاره الطبى عتيق الطراز، فوق أنفه الضخم، وهو يطالع التصميمات، التى وضعتها (سلوى) على عجل، قبل أن يقول:

ـ رائع.

سأله الدكتور (جلال) فى لهفة:

ـ هل تعتقد أنها صالحة للتنفيذ؟!

أجابه فى سرعة وحسم:

ـ بالتأكيد.

ثم هزّ رأسه، قبل أن يضيف، فى انبهار تام:

ـ إنها تصميمات عبقرية بحق، فمع استخدام سماعات الأذن الواقية، وإطلاق الموجة المضادة من خلالها، عبر أذنى لابسها، سيمحى أى تأثير للموجات العقلية القاتلة عليه، فى نفس الوقت الذى لا يحدث فيه تعارض، مع جهاز تتبّع تلك الموجات الرهيبة.

والتقط نفساً عميقاً ، ليسأل (سلوى) مبهوراً :

ـ سيدتي .. كيف لم نتشرف بانضمامك إلينا ، في قسم أبحاث الاتصالات هنا ؟!

أجابته في ارتباك :

ـ إنني أستغل خبراتي في مجال آخر .

همّ بإلقاء تساؤل آخر ، لولا أن سأله (نور) في اهتمام :

ـ كم يستغرق إنتاج خمس قطع على الأقل ، من هذه التصميمات ، التي وصفتها بالعبقرية ؟!

بدا التردد على العالم الشاب ، وهو يقول :

ـ الواقع أن هذا يتوقف على ...

قاطعه (نور) في صرامة :

ـ أريدها خلال ساعة واحدة على الأكثر .

انتفض جسد الشاب ، وهو يهتف مستنكراً :

ـ ساعة واحدة ؟!

كرر (نور) ، في صرامة أكبر :

ـ وعلى الأكثر .

استدار العالم الشاب إلى الدكتور (جلال) ، وهو يهتف مستنجداً :

ـ دكتور (جلال) .. هذا الخا ...

قاطعه الدكتور (جلال) ، في حزم مماثل :

ـ ابذل قصارى جهدك .

احتقن وجه العالم الشاب ، وعاد يعدل منظاره فوق أنفه ، مغمغماً في عصبية :

ـ هذا سيحتاج إلى اعتمادات إضافية ، و...

عاد الدكتور (جلال) يقاطعه ، قائلاً :

ـ كل العقبات سيتم تذليلها فوراً .. هذا الأمر موضوع الآن ، على قمة أولويات الأمن القومي ، لذا فالأفضل أن تبدأ عملية التنفيذ فوراً ، حتى نربح كل دقيقة ممكنة .

قال (نور) في صلابة :

ـ أو كل ثانية ، لو أمكننا هذا .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع أزيز جهاز الاتصال الداخلي ، المعلق في حزام الدكتور (جلال) ، على نحو يوحي بحدوث

طارئ ما ، فأسرع الرجل يلتقطه فى سرعة ، وهو يتساءل فى توتر :

ـ ماذا هناك ؟!

خفق قلب (سلوى) فى قلق ، وهى تهتف :

ـ ماذا حدث ؟!

لم يجبها الدكتور (جلال) ، إلا أن تلك النظرة المذعورة ، التى بدت فى عينيه ، اشتركت مع شهقته القوية ، ليُسقطا قلبها بين قدميها ، وليدفعا (نور) إلى أن يقول فى توتر :

ـ هل استعاد نشاطه ؟!

رفع الدكتور (جلال) عينيه إليه ، هاتفًا فى ارتياع :

ـ إنها (مشيرة) .

صاحت (سلوى) :

ـ ماذا أصابها ؟!

اختنقت الكلمات فى حلق الرجل لحظة ، قبل أن يهتف بصوت مبحوح ملتاع :

ـ آلات الرصد داخل حجرتها ، كانت تنقل أحداثًا عادية ، حتى حدث ما حدث فجأة .

هتف به (نور) :

ـ وماذا حدث بالله عليك ؟!

هزَّ الدكتور (جلال) رأسه ، قائلاً فى دهشة مبهوتة :

ـ لن تصدق يا (نور) .. لن تصدق أبدًا ..

وكانت كلماته هذه أكثر إثارة للفزع ، من أى شىء محتمل ..

ألف مرة ..

* * *

من المؤكد أن ما حدث ، فى حجرة (مشيرة) ، كان أمرًا مهيبًا ..

ومخيفًا ..

إلى أقصى حد ..

فعلى الرغم من أن الموجة المضادة ، التى ابتكرتها (سلوى) ، كانت تنتشر ، فى كل أنحاء إدارة المخابرات العلمية ، ومركز الأبحاث الملحق بها ، إلا أن (مشيرة) قد بدت وكأنها واقعة تمامًا ، تحت تأثير عقل ذلك الخصم الرهيب ..

لقد أمسكت عنق (رمزى) فى قوة، حتى إن أصابعها كانت تنغرس فيه، وهى تقول بذلك الصوت الآلى الرنان المخيف:

ـ هل تتصور أنه من السهل أن تفعل هذا ؟!

صاح (أكرم)، وهو يندفع نحوها:

ـ يا إلهى (مشيرة)! ما الذى ...

استدارت إليه بزمجرة مخيفة، أشبه بزمجرة وحش أدغال رهيب، وبدت عيناها أشبه بجمرتين مشتعلتين، وهى تطوّح يدها فى وجهه، وتلطمه لطمة هائلة، اقتلعته من مكانه، وألقت به عبر الحجرة، ليرتطم بالجدار، ثم يسقط أرضًا، فى نفس اللحظة التى أطلق فيها (رمزى) حشرجة مؤلمة، وهو يجاهد للتخلص من أصابعها القوية، الممسكة بعنقه، فالتفتت إليه بعينيها الناريتين، قائلة بصوتها الرهيب:

ـ كان ينبغى أن تعلم أننى قد توقعت شيئًا كهذا.

وانغرست أصابعها فى عنقه أكثر وأكثر، وهى تضيف فى شراسة:

ـ واتخذت احتياطى تجاهه.

لم يصدق (أكرم) عينيه، وهو ينهض من مكانه، والآلام تنتشر فى جسده كله..

حتى فى أعمق أعماق قلبه..

فيا له من مشهد رهيب، ذلك الذى يراه أمامه!!

زوجته تحاول قتل زميله!

مع تلك السيطرة الرهيبة على عقلها، تعتصر عنق (رمزى) أكثر..

وأكثر..

وأكثر..

وكان من المستحيل أن يظلّ هو ساكنًا، أمام ما يحدث!!

من المستحيل أن يترك زوجته تقتل زميله، دون أن يحرك ساكنًا.

عليه أن يفعل شيئًا..

أى شىء..

كان الألم والحزن يعتصران قلبه فى عنف، إلا أنه حسم أمره، واتخذ قراره، و...

وانقضّ..

انقض على زوجته ، هاتفًا فى مرارة :

ـ أعلم أنك لن تغفرى لى هذا أبدًا .

ثم ضمّ قبضتيه ، ليهوى على مؤخرة عنقها بضربة عنيفة ، مستطردًا :

ـ ولكن ليس أمامى خيار .

كانت الضربة قوية عنيفة بالفعل ، حتى إنها جعلت أصابعها تتراخى ، حول عنق (رمزى) ..

ولكنها لم تسقطها فاقدة الوعى ..

كل ما حدث هو أنها قد دفعت (رمزى) جانبًا ، وألقته على فراشها ، وهى تستدير لمواجهة (أكرم) ، قائلة :

ـ ولقد توقّعت شيئًا كهذا أيضًا .

كان (رمزى) يسعل فى قوة ، وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة ، فى حين تراجع (أكرم) فى عصبية ، وهو يلوّح بيده ، قائلاً :

كلاً يا (مشيرة) .. لاتقتليها .. قاومى .. قاومى يا (مشيرة) .. قاومى بالله عليك .

تلفتت نحوه ، قائلة فى سخرية :

ـ وماذا لو لم أفعل ؟! هل ستقتلنى ؟!

اشتركت سخريتها ، مع صوتها الآلى الرنان ، لصنع صورة مخيفة ، أمام عينى (أكرم) ، الذى راح يتراجع ويتراجع ، محاولاً تجنب مواجهة مباشرة معها ، وهو يقول بعصبية مفرطة :

ـ أرجوك يا (مشيرة) .. لاتجعليه يفعل بك هذا .

اقتحم (نور) الحجرة فى هذه اللحظة ، وهو يحمل مسدسه الليزرى ، الذى صوّبه نحو (مشيرة) ، فهتف (أكرم) :

ـ لا يا (نور) .. لا .

انعقد حاجبا (نور) ، وسرى فى جسده توتر لا محدود ، وهو يدرك جيدًا طبيعة ذلك الصراع ، الذى يشتعل فى أعماق زميله ، وتمتم فى توتر :

ـ هل من حل بديل يا صديقى ؟!

زاغت عينا (أكرم) ، وهو يغمغم فى مرارة :

ـ فلندع الله (سبحانه وتعالى) أن يكون هناك حل بديل يا (نور) .

اعتدل (رمزى) على طرف فراش (مشيرة)، وهو يسعل مرة أخرى، قائلاً:

ـ ربما كان هناك بالفعل.

وصلت (سلوى) فى تلك اللحظة، وأطلقت شهقة ذعر، مع المشهد الرهيب، وهتفت:

ـ رباه! ولكن الموجة المضادة تحمى المكان بالفعل.

أجابها (رمزى)، وهو يتنحنح فى توتر:

ـ لن يكون لها أدنى تأثير هنا.

مع آخر كلماته، اندفع رجال أمن المركز داخل المكان، وصوبوا جميعهم أسلحتهم نحو (مشيرة)، التى التفتت إليهم فى بطء، قائلة بذلك الصوت الآلى الرهيب:

ـ والآن ماذا؟! هل اجتمعت كل القوى لمواجهتى وحدى.. فليكن.. هيا.. صوّبوا أسلحتكم، و...

وثبت فجأة وثبة مدهشة، قبل أن تتم عبارتها، لتهبط خلف (أكرم)، وتحيط عنقه بساعدها فى سرعة مدهشة، مكملة فى شراسة:

ـ وأطلقوا النار، لو كنتم تجرءون.

شهقت (سلوى) مرة أخرى، وانعقد حاجبا (نور) بشدة، وسرى التوتر فى كل رجال الأمن، وانتقل إلى الدكتور (جلال)، الذى وصل إلى المكان، وهو يلهث فى انفعال، و...

« سنخرج من هذه المنطقة يا (مشيرة).. »

خرجت العبارة فجأة، من بين شفتى (رمزى)، بصوت هادئ عميق، أدهش الجميع بشدة، فيما عدا (نور)، الذى تمتم فى خفوت شديد، حتى إن أحداً سواه لم يسمع كلماته:

ـ ترى هل..

لم يتم تساؤله، وهو يتطلع إلى (مشيرة)، التى التفتت إلى (رمزى) بحركة حادة، إلا أن هذا الأخير تابع بنفس الهدوء العميق:

ـ هذه المنطقة المظلمة لم تعد تناسبنا يا (مشيرة).. سنغادرها فى هدوء، وننسى كل ما يتعلق بها.

التمعت عيناها فى غضب هائل، ولكنها لم تنبس ببنت شفة، فى حين بدأ ساعدها يضغط عنق (أكرم)..

ويضغط..

ويضغط..


واصلت (مشيرة) ضغطها على عنق (أكرم) ، الذي جحظت عيناه ، وانقطعت أنفاسه ..

واحتقن وجه (أكرم) ..

واتسعت عيناه فى ألم ..

وبدأ يقاوم ساعد (مشيرة) فى استماتة ..

وبكل ذعرها ، هتفت (سلوى) :

ـ افعل شيئاً يا (نور) .. يا إلهى ! افعل شيئاً .

أشار إليها (نور) بالصمت ، وهو يتطلّع فى توتر إلى (رمزى) ، الذى بدا قويًا متماسكًا للغاية ، وهو يواصل :

ـ دعنا نتجه إلى ذكرى التحاقك بجريدة (أنباء الفيديو) .. لقد كان حدثًا فريدًا ، لا يمكن أن ينمحى من ذاكرتك أبدًا .. أليس كذلك ؟!

واصلت (مشيرة) ضغطها على عنق (أكرم) ، الذى جحظت عيناه ، وانقطعت أنفاسه ، وازداد احتقان وجهه ، وتصاعدت من حلقه حشرجة مخيفة ، جعلت (سلوى) تصرخ باكية :

ـ أرجوك يا (نور) .. افعل شيئاً .

ولكن (نور) لم يفعل شيئاً ..

أى شىء ..

كان يدرك جيدًا أنه لايوجد سوى أمل واحد ، فى الخروج من هذا الموقف الرهيب دون خسائر ..

أمل يكمن فيما يحاوله (رمزى) ..

فلقد فهم تمامًا ما يسعى إليه ..

إنه يحاول جذب عقل (مشيرة) ، التى مازالت تحت تأثير التنويم المغناطيسى بالفعل ، إلى منطقة بعيدة ..

منطقة خارج حدود مازرعه ذلك الخصم الرهيب ، فى أعمق أعماق مخها ..

ولكن من الواضح أنه لم يبلغ المنطقة المناسبة بعد ..

فمازالت (مشيرة) تعتصر عنق (أكرم) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

و(أكرم) المسكين مازال يقاوم فى استماتة ، وأنفاسه تتحشرج ، ووجهه يحتقن ..

ويحتقن ..

ويحتقن ..

ومرة أخرى صرخت (سلوى) :

ـ لابد أن تفعل شيئًا يا (نور) .. لابد .

وفى هذه المرة ، شعر (نور) بأنها على حق ..

لايمكنه أبدًا أن يقف ساكنًا ، بعد أن وصلت الأمور إلى هذا الحد ..

وفى توتر ، قبضت أصابعه على مقبض مسدسه الليزرى ، وهو يرفعه نحو (مشيرة) ..

كان من المحتم أن يتخذ قرارًا حازمًا ..

قرار قاتل ..

وفى محاولة أخيرة ، قال (رمزى) ، بذلك الصوت الهادئ العميق ، القادر على اختراق عقل (مشيرة) :

ـ تذكرى علاقتك بـ (أكرم) ، وزواجكما ، و...

قاطعه فجأة ، بذلك الصوت الرهيب ، وقد أضيفت إليه رنة ساخرة مخيفة :

ـ ألا تعتقد أننى قد توقعت هذا أيضًا ؟!

ثم انطلقت من حلقها ضحكة رهيبة ..

مخيفة ..

بشعة ..

ومع انطلاق تلك الضحكة المرعبة ، شهقت (سلوى) شهقة قوية مذعورة ، تموج بالارتياع والفزع ..

وانتفضت قلوب الباقين في عنف ..

ففي تلك اللحظة ، كانت كل لمحة من لمحات (مشيرة) وكل خلجة من خلجاتها ، تؤكد أنها ، وخلال الثانية التالية ، ستعتصر عنق (أكرم) اعتصاراً ..

بلا عقل ..

وبلا رحمة ..

وكان هذا يعني أنه من المحتم أن يتخذ (نور) قراراً ..

فوراً ..

وأن يضعه موضع التنفيذ ، في أقل من ثانية واحدة ..

وكان القرار عسيراً بحق ..

عسيراً إلى أقصى حد ..

فالتجارب السابقة تؤكد أن إطلاق النار على الأطراف غير مجدٍ ، ولن يوقف ما يحدث أبداً ..

لا بد من نسف الرأس ..

مباشرة ..

ويا له من إجراء !

ولكن (نور) ، كالقائد ، كان عليه أن يتخذ ذلك القرار الرهيب ..

وبثبات ..

ودون أدنى تردد ..

لذا ، فقد انعقد حاجباه في شدة ، وارتفعت فوهة مسدسه نحو رأس (مشيرة) مباشرة ، و...

وفجأة ، وقبل أن يضغط (نور) زناد مسدسه الليزري ، بجزء واحد من الثانية ، دوت فرقعة قوية داخل الحجرة ..

أما ما حدث ، في الجزء المتبقي من الثانية ، وما رآه الجميع بعيونهم ، فقد كان بالفعل أمراً مذهلاً ..

مذهلاً إلى أقصى حد ممكن ..

* * *

فجأة ، فتح ذلك الرهيب عينيه ..

شىء ما ، أيقظ مخه بغتة ، كما لو أن صفارة إنذار قوية قد انطلقت داخله ..

وفى لحظة واحدة ، وعلى الرغم من استحالة حدوث هذا علميًا ، مع أى بشرى عادى ، قفز نشاطه العقلى إلى الذروة دفعة واحدة ..

وبرقت عيناه على نحو مخيف ..

وبتصاعد سريع مدهش ، راحت عملياته الحيوية كلها تستعيد معدلاتها الطبيعية ، وخلايا مخه تكاد تذوب ، من فرط التركيز ..

إنهم هنا ..

لقد كشفوا أمره ..

وحددوا موقعه ..

وانطلقوا خلفه ..

صحيح أنه قادر على سحق كل منهم ، فى أية منازلة عقلية منفردة ..

أو حتى مزدوجة ..

ولكن اتحاد عقولهم يصنع قوة هائلة ..

قوة لا يمكن لأى مخلوق أن يتصدى لها ..

حتى هو ..

ولكن نقطة تفوقه لا تكمن فى قوته العقلية وحدها ..

بل فى ذكائه الخارق أيضًا ..

والأهم أنها تكمن فى تلك الخطة المحكمة ، التى قضى عقدين من الزمان فى إعدادها ..

وتنسيقها ..

وتفنيدها ..

ومراجعتها ..

ودراسة كل احتمالاتها ..

وسد كل ثغراتها ..

وبمنتهى منتهى الدقة ..

خطة استغرقت عشرين عامًا ، لا يمكن أن تكون فيها نقطة ضعف واحدة ..

وبخاصة عندما يضعها هو ..

لقد علم أنهم قد تحركوا ..

وأصبحوا هنا ..

على مسافة كيلومترات قليلة منه ..

ولكن خطته تضمنت أيضًا هذا الاحتمال ..

واستعدت لمواجهته ..

وكل ما عليه الآن ، هو أن ينتظر ..

وأن يتابع ..

ثم يهجم فى اللحظة المناسبة ..

ولكن مهلاً .. لقد أحاطوا أنفسهم بدرع من موجة مضادة ، يعجز عقله ، بموجته الحالية عن اختراقها ..

موجة يمكن أن تحميهم منه ..

لولا أمر واحد ..

أن هذا أيضًا كان أحد الاحتمالات ، التى توقعها فى خطته ..

والتى استعد لها تمامًا ..

وهذا يعنى أنه مازال يمضى فى خطته بنجاح ..

خطته التى ستضعه عما قريب ، على القمة ..

قمة العالم ..

بلا منازع .

* * *



٤ ـ المفاجآت ..

كل شىء كان يتموّج ، على نحو هادئ ناعم ، وجسد (نشوى) ينساب عبر الفراغ ، وقد استرخت كل خلية فيه ، وذهنها يشعر باستمتاع وسكينة ، لم تشعر بهما فى حياتها قط ، حتى إنها لم تحاول أن تسأل نفسها ، أين هى ؟! ولا ما الذى يحدث من حولها ؟!

فقط تركت جسدها ينساب فى نعومة ..

وينساب ..

وينساب ..

« أهلاً بك يا (نشوى) .. »

تسلّل صوت (محمود) إلى أعماقها هادئاً ، دافئاً ، فأسبلت جفنيها ، وسألته مبتسمة :

ـ أهو أنت يا (محمود) ؟!

أجابها فى هدوء :

ـ نعم .. هو أنا .

لم يراودها أدنى شعور بالدهشة ، أو القلق ، أو حتى الحيرة ، وهى تترك جسدها لانسيابيته بضع لحظات ، قبل أن تسأله :

ـ (محمود) .. لماذا يسهل عليك أن تلتقى بنا ، فى فترات النوم أو الغيبوبة ؟! ما العامل الذى نفتقر إليه ، فى لحظات اليقظة ؟!

لم تكن تراه من حولها ، ولكنها ، وعلى الرغم من هذا ، شعرت أنه يبتسم ، وهو يقول :

ـ حتى فى نومك ، تسعين للبحث عن الأجوبة يا (نشوى) .

ضحكت ، قائلة :

ـ أظنها جينات موروثة .

غمغم :

ـ بالتأكيد .

ثم أضاف فى اهتمام :

ـ ولكن دعينا لانضيع الوقت فى هذه الأحاديث ، فالجهد الذى أبذله ، حتى يتمّ هذا الاتصال ، يجعل فترته قليلة جدًّا ، ولابد أن أخبرك كل ما لدىّ بسرعة ..

سألته ، دون أن يفارقها هدوؤها أو استرخاؤها :

ـ وماذا لديك ؟!

أجاب في سرعة :

ـ أنت يا (نشوى) !

سألته في حيرة :

ـ أنا ماذا ؟!

أجاب في حزم :

ـ أنت الأمل الوحيد للفريق .

تضاعفت حيرتها ، وزايلها ذلك الاسترخاء الممتع ، وهي تسأله :

ـ وكيف هذا ؟!

التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب :

ـ سبق أن أخبرت (سلوى) ، أن العقل لا يدحضه سوى العقل .

غمغمت :

ـ هذا صحيح .

هتف بها :

ـ استخدمي عقلك إذن يا (نشوى) .

تساءلت ، بكل حيرة الدنيا :

ـ أستخدم عقلي ؟! وكيف هذا ؟!

بدا صوته خافتًا أكثر مما ينبغي ، وهو يقول :

ـ الموجات العقلية مثل أية موجات ، ولو أوصـ ...

انقطع صوته بغتة ، وخيّل إليها أن جسدها ينسحب إلى الخلف في سرعة ، فهتفت :

ـ أو ماذا يا (محمود) ؟!

تضاعفت سرعة انسحابها الخلفية ، وبدت كما لو أنها تنطلق كالصاروخ ، وسط فراغ سرمدي ، فصرخت ، وقد شملها خوف مبهم عجيب :

ـ (محمود) .

مع صرختها ، توقف جسدها بغتة ، لخفق قلبها بين ضلوعها بمنتهى العنف ، و...

واستيقظت ..

استيقظت جالسة على حافة فراشها ، بحركة حادة للغاية ، حتى إن الممرضة المرافقة لها قد وثبت فى فزع ، قبل أن تهتف :

- هل .. هل استعدت وعيك ؟!

سألتها (نشوى) فى توتر :

- أين أبى وأمى ؟!

اندفعت الممرضة نحوها ، محاولة تهدئتها ، وهى تقول :

- سنبلغهما بالتأكيد ، ولكن لابد أن يفحصك الطبيب أولاً ، و...

قاطعتها (نشوى) وهى تثب من فراشها ، قائلة فى إصرار :

- أريد أبى وأمى فوراً .. أريدهما الآن .

ارتبكت الممرضة ، وهى تفرك كفيها ، قائلة :

- أخشى أن هذا مستحيل الآن ، يا سيدة (نشوى) !

خفق قلب (نشوى) فى عنف ، وهى تسألها :

- ولماذا مستحيل ؟

أجابتها فى سرعة هذه المرة :

- هناك مشكلة فى حجرة السيدة (مشيرة) .

ثم مالت نحوها ، مضيفة بكل توتر الدنيا :

- مشكلة خطيرة .. للغاية ..

وخفق قلب (نشوى) مرة أخرى ..

بمنتهى العنف ..

* * *

من المؤكد أن ما حدث هناك ، فى قلب حجرة (مشيرة) ، المحاطة بحراسة قصوى ، والموجودة فى قلب مركز الأبحاث العلمية الرئيسى ، التابع للمخابرات العلمية المصرية ، أمر مذهل بكل المقاييس ..

بل ولن ينمحى قط ، من ذاكرة كل من شاهدوه ..

ففى نفس اللحظة ، التى همّ فيها (نور) بضغط زناد مسدسه الليزرى ، لينسف رأس (مشيرة) ، حفاظاً على حياة (أكرم) ، وبعد أن دوت تلك الفرقعة فى المكان ، ظهر شخص ما فى قلب الحجرة ، وعلى مسافة متر واحد من (أكرم) و(مشيرة) !

ظهر بغتة، وكأنما نشأ من الفراغ، ليبرز هناك دفعة واحدة، دون أية مقدمات !!

باستثناء تلك الفرقعة !

شخص ضئيل، نحيل، أصلع الرأس، حاد النظرات، على الرغم من ملامحه الرصينة الهادئة، ومن ذلك الثوب الخشن، الذى يرتديه ..

ثوب الرهبان ..

رهبان (التبت) ..

وفى ذهول تام، حدّق الجميع فى ذلك الراهب، الذى بدا وكأنه لا يشعر بوجودهم تمامًا، وهو يتطلّع إلى (مشيرة) مباشرة ..

ثم قطع (نور) حبل الصمت والذهول، وهو يصوّب مسدسه الليزرى إلى الراهب، مغمغمًا فى عصبية :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

ومع قوله، وفى حركة آلية غريزية، رفع رجال الأمن فوهات أسلحتهم فى آن واحد، نحو ذلك الراهب ..

وفى صرامة آمرة، هتف بهم (نور) :

ـ لا تطلقوا النار .

هتف بها؛ لأن نظرات (مشيرة) قد تجمّدت تمامًا، وهى تتطلّع إلى عينى الراهب مباشرة، فى حين تراخى ساعدها، المحيط بعنق (أكرم)، فسعل هذا الأخير فى شدة، واستعاد وجهه لونه الحقيقى، وهو يهتف بصوت مختنق :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

أزاحت (مشيرة) ساعدها تمامًا، وسقط ذراعاها إلى جوارها، وهى تتطلّع إلى الراهب كالمأخوذة، فاتسعت عينا الدكتور (جلال) فى دهشة بالغة، فى حين غمغم (رمزى) فى توتر :

ـ يا إلهى !! هذا يبدو كما لو أنه ...

أشار إليه (نور) بالصمت، فأطبق شفتيه على الفور، وانعقد حاجباه فى شدة، وهو يتابع (مشيرة)، التى راح جسدها يرتجف ارتجافة باهتة، لم تلبث أن تصاعدت ..

وتصاعدت ..

وتصاعدت ..

ثم فجأة ، انتفض جسدها فى عنف ..

كل هذا ، دون أن يحرك الراهب التبتى ساكنًا ، أو يبعد عينيه عن عينيها لحظة واحدة ..

وتلاشت نظرة (مشيرة) الوحشية ..

وحلت محلها نظرة مذعورة ، وهى تهتف فجأة :

ـ ماذا يحدث هنا ؟!

اندفع (أكرم) نحوها ، واحتواها بين ذراعيه ، هاتفًا فى ارتياح غامر كبير :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا حبيبتى .. حمدًا لله .

ولكن جسدها ظلّ يرتجف بين ذراعيه ، وهى تدير عينيها فى الجميع برعب هائل ، قبل أن تتوقف عند الراهب التبتى ، وتكرّر ، والدموع تتفجر من عينيها كالسيل :

ـ ماذا يحدث هنا يا (أكرم) ؟! ماذا يحدث ؟!

ولم يجب (أكرم) ..

هذا لأنه ، وبكل بساطة ، لايملك جوابًا ..

أى جواب ..

وهذا لم يكن حاله وحده ..

الجميع كانوا كذلك ..

كلهم لايملكون جوابًا ..

ولكنهم كانوا يحدقون جميعًا فى بقعة واحدة ..

تلك البقعة التى وقف فيها الراهب ، هادئًا ساكنًا ، يدير عينيه فى وجوههم ، كما لو أنه يرى البشر ، للمرة الأولى فى حياته ..

وران على المكان كله صمت رهيب ..

صمت لم يقطعه سوى صوت بكاء (مشيرة) ونحيبها ، و...

وفجأة ، انتفض جسد الدكتور (جلال) ، وهو يهتف فى صرامة عصبية آمرة :

ـ ألقوا القبض على هذا الراهب .

قبل حتى أن تكتمل عبارته ، كان رجال الأمن قد اندفعوا نحو الراهب ، وأحاطوا به فى تحفز ، ومدافعهم الليزرية مشهورة ..

وفى توتر ، قال (نور) :

ـ لاداعى لهذا يا دكتور (جلال) .

صاح به الدكتور (جلال) ، فى عصبية زائدة :

ـ لاتتدخل فى هذا الأمر يا (نور) .. أنا رئيس هذه الإدارة ، والمسئول الأول عن سلامتها وأمنها .

قال (نور) فى توتر :

ـ ربما اقترن ظهور هذا الراهب بظاهرة مدهشة مخيفة ، ولكنه أنقذ (أكرم) أمامنا .

قال الدكتور (جلال) فى حدة :

ـ ومن أدراك أنه ليس من وضعه فى هذا الموقف ؟!

تساءلت (سلوى) فى دهشة :

ـ وكيف هذا ؟!

أجابها فى عصبية :

ـ من أدراك ، بل ومن أدرانا جميعًا ، أن هذا الراهب الصامت ، هو خصمنا منذ البداية ؟! ألم يخطر ببالكم قط أن

ما فعله الآن ، يعد حيلة مثالية ، ليضع لنفسه وسطنا ، بعد أن حمينا أنفسنا منه بدرع للموجات المضادة ؟! إنها تبدو لى لعبة مثالية .. يضرب ضربته ، ويترك خلفه لمحة مجهولة ، تسبب لنا مشكلة مخيفة ، ثم يظهر فجأة ، فى اللحظة الأخيرة ، ليخلصنا من المشكلة ، ويبدو أمامنا فى صورة البطل الهمام ، و...

« أنت مخطئ .. »

سرت ارتجافة عجيبة ، فى أجسادهم جميعًا ، عندما استقبلت عقولهم تلك الكلمة ..

لم تستقبلها آذانهم ، ولكن استقبلتها عقولهم ..

وبحركة سريعة ، التفت الكل إليه ..

إلى الراهب التبتى ..

التفتوا إليه مذعورين ، فاستدار فى هدوء مثير ، ليواجه (نور) و(سلوى) والدكتور (جلال) ، ثم رفع يده وخفضها ، فخفض رجال الأمن من حوله أسلحتهم ، وبدوا كالمشدوهين ، وهو يتجاوزهم فى بساطة مدهشة ..

« أنا لست خصمكم .. »

لم تنفرج شفتاه ، ولكنه قالها ..

نطقها بعقله ..

واستقبلتها عقولهم ..

وفى انبهار مذعور ، هتف الدكتور (جلال) :

ـ أرأيتم ؟!

« خصمكم هو خصمنا ، ولقد أتيت من أجله .. »

مرة أخرى ، استقبلت عقولهم عبارته ، فغمغمت (سلوى) فى عصبية :

ـ ما الذى يحدث بالضبط ؟!

أما (رمزى) ، فقد هبَّ من مكانه ، وهو يقول فى انبهار منفعل :

ـ رباه ! هذا أقوى اتصال عقلى ، شعرت به فى حياتى كلها .

وفى عصبية ، نقل (أكرم) بصره بينهم جميعًا ، واحتوى زوجته (مشيرة) فى صدره أكثر ، وهى ترتجف كطير مُبتَلّ ، من فرط ارتياعها ، فى حين شد (نور)

قامته ، فى محاولة للسيطرة على انفعاله ، وهو يسأل :

ـ وكيف وصلت إلى هنا ، على هذا النحو المدهش ؟!

« العقل قادر على تخطى حدود الزمان والمكان .. »

سمعها (نور) فى عقله مباشرة ، فانعقد حاجباه فى شك شديد ..

« ولكن هذا يحتاج إلى قوة ، يستحيل أن تتوفر لشخص واحد .. فقط لمجموعة من الأفراد ، الذين يربطهم يقين واحد .. »

هتف الدكتور (جلال) ، وهو يتطلّع فى ذهول إلى فريق الأمن ، الذى تحوّل إلى تماثيل بشرية متجمدة :

ـ إنه خصمنا .. أرأيتم ما فعله بطاقم الأمن .

« خصمكم كان تميزنا .. »

لم يكد عقل (نور) يستقبل العبارة ، حتى هتف لسانه :

ـ إذن فأنت تعرفه ! أعنى بما يكفى لوصفه ، ومنحنا بعض البيانات عنه .

« بالتأكيد .. »

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) فى شدة، واحتقن وجهه على نحو عجيب، وهو يتراجع، قائلاً فى صرامة:

- مهلاً أيها المقدم (نور).. ليس بإمكاننا التعاون مع هذا الرجل، قبل أن يثبت حسن نواياه.

ظل الراهب هادئاً صامتاً، فى حين تساءل (نور) فى ضيق:

- وكيف يمكنه أن يفعل ؟!

أجابه الدكتور (جلال)، فى سرعة وحدة:

- يستسلم لنا.. هذا وحده يثبت حسن نواياه، وأنه ليس خصمنا الفعلى.

لم يحاول الراهب الدفاع عن نفسه قط، فى حين عقد (نور) ساعديه أمام صدره، قائلاً:

- وهل تعتقد أن هذا يكفى، يا دكتور (جلال) ؟!

بدا الرجل شديد العصبية والتوتر، وهو يجيب:

- إلى حد ما.

سأله (نور):

- هل رأيت ما فعله بطاقم الأمن الأساسى هنا ؟! إشارة واحدة من يده، أنهت الموقف كله فى لحظة واحدة.. ألم تدرك مع هذا، أنه حتى لو استسلم لنا، يمكنه أن يحرر نفسه فى لحظة مماثلة ؟

نقل الدكتور (جلال) بصره فى توتر، بين (نور) والراهب التبتى، قبل أن يلوّح بيده فى وجه هذا الأخير، هاتفاً فى عصبية:

- ألم تر كيف أتى إلى هنا يا (نور) ؟! هل يبدو لك هذا طبيعياً ؟!

هزّ (نور) رأسه نفياً، وقال:

- كلا بالطبع، ولكنه بدا لى أيضاً كدليل حتمى على حسن النية، فالرجل الذى اخترق كل دفاعاتنا وتحصيناتنا، وتجاوز كل نظم الأمن وأطقم الحراسة، التى تحيط بالمكان، ليظهر هنا فى قلب حجرة (مشيرة)، على هذا النحو العجيب، كان يمكنه أن يقضى علينا جميعاً، دون الحاجة إلى خدعة كهذه.

كان من الواضح أن الدكتور (جلال) حائر مرتبك ، عاجز عن اتخاذ قرار حاسم ، فى هذا الموقف العجيب ، وأن مشاعره مرتبكة ، بين تصديق ما يقوله (نور) ، أو رفض الموقف بأكمله ..

وفى توتر بالغ ، تطلّع إلى الراهب الصامت الهادئ ، قائلاً :

ـ إنها مسألة أمن قومى يا (نور) .

قال (نور) فى حزم :

ـ وهناك دليل قاطع ، على أنه ليس خصمنا بالتحديد .

بدا وكأن الرجل قد تعلّق بجملة (نور) الأخيرة ، كما يتعلّق الغريق بقشة صغيرة ، طمعًا فى النجاة ، وهو يهتف فى لهفة :

ـ وما هو ؟!

أدار (نور) سبابته فى الهواء ، مجيبًا :

ـ الموجة المضادة ، التى يتم بثها فى المكان كله .. إنها موجّهة إلى موجات مخ خصمنا بالتحديد ، ويمكنها أن تحجب

تمامًا قواه العقلية الفائقة .. داخل هذا المكان على الأقل ، ولكننا رأينا جميعًا أنها لم تفعل .

برزت (نشوى) فى تلك اللحظة ، وهى تقول :

ـ هذا صحيح .. الموجة المضادة دقيقة للغاية ، بحيث لا يمكن أن تعترض سوى موجة عقلية بعينها .

ارتفع حاجبا (نور) فى دهشة ، لم تلبث أن تحولت إلى ابتسامة هادئة ، فى حين احتضنت (سلوى) ابنتها ، فى لهفة وسعادة ، هاتفة :

ـ حمدًا لله على سلامتك .

أما الدكتور (جلال) ، فقد بدا شديد الحيرة والتوتر ، وهو يغمغم :

ـ وماذا عن (مشيرة) ؟! موجتنا المضادة لم تستطع حمايتها ، من سيطرته العقلية عليها !

قال (رمزى) فى حزم :

ـ أمر (مشيرة) يختلف يا دكتور (جلال) ، فما أصابها يعود إلى جزء غرسه خصمنا فى عقلها ، تحسبًا لأية

محاولة مستقبلية ، لانتزاع حقيقته منها ، وما إن أخضعتها أنا للتنويم المغنطيسى ، وحاولت أن أقودها إلى منطقته المظلمة ، حتى انطلق نظامه الدفاعى يعمل ، بكل ما تمت برمجتها عليه مسبقًا .

« تفسير صحيح تمامًا .. »

ترددت العبارة فى عقولهم جميعًا ، فحدق الدكتور (جلال) فى الراهب بشىء من الارتياع ، قبل أن يلقى جسده على مقعد قريب ، ويردد :

ـ لست أدرى .. لم أعد أدرى شيئًا .

وضع (نور) يده على كتفه ، قائلاً :

ـ لا عليك يا دكتور (جلال) .. إنها مهمة فريقى ، وعلينا أن نتخذ القرارات .

ثم أدار عينيه إلى الراهب ، مستطردًا :

ـ وأن نتحمل كل المخاطر .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ترنح الراهب فجأة ، واتسعت

عيناه على نحو عجيب ، ثم مد يده إلى الأمام ، وكأنما يحاول أن يتشبث بشىء ..

أى شىء ..

وفى توتر ، غمغم (نور) :

ـ رباه ! ما الذى ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يثب إلى الأمام ، ليلتقط الراهب بين ذراعيه ، عندما انهار جسده فجأة ، فصاحت (سلوى) فى رعب :

ـ رباه ! ماذا أصابه ؟!

أسرع (رمزى) يعاون (نور) ، على نقل الراهب إلى الفراش ، و(نور) يقول فى توتر :

ـ رباه ! إنه خفيف الوزن إلى حد مدهش .

تساءل (أكرم) ، وهو يضم (مشيرة) إلى صدره مرة أخرى ، وكأنما يحاول حمايتها من خطر مجهول :

ـ ماذا أصابه ؟!



يزيح جاره بدفعة ، وهو يثب إلى الأمام ، ليتلقف الراهب بين ذراعيه ، عندما انهار جسده فجأة ..

ألقى سؤاله ، وتعلقت عيون الجميع بأصابع (رمزى) ، وهو يفحص الراهب فى سرعة ، وران على الحجرة صمت رهيب مهيب ، قطعه (رمزى) ، وهو يعتدل فجأة بوجه شاحب ، قائلاً :

ـ رباه ! لقد .. لقد ..

ثم أدار عينيه إليهم ، مكملاً فى ارتياع :

ـ لقد مات ..

وانتفضت قلوب الجميع فى عنف ، مع المفاجأة ..

أكبر مفاجأة .

* * *



٥ ـ جولة جديدة ..

على الرغم من الإرهاق الشديد ، الذى يشعر به (تامر وجدى) ، خبير المتفجرات والمفرقعات ، بعد يومين كاملين ، قضاهما فى الإشراف على مناورة بالذخيرة الحية ، فى قلب (سيناء) ، إلا أنه عجز عن الاستسلام للنوم فى بساطة ، فراح يتقلّب فى فراشه لساعة كاملة ، قبل أن ينهض ، مغمغمًا فى حنق :

ـ ماذا أصابنى ؟! هل اعتدت النوم تحت دوى القنابل أم ماذا ؟!

غادر فراشه فى سخط ، وراح يدور فى حجرته ، كمحاولة لاستهلاك تلك الطاقة ، التى تمنعه من النوم ، إلا أنه لم يلبث أن شعر بالضجر ، فتوقّف فجأة ، قائلاً فى حدة :

ـ فليكن .. سأتلقى نصائح واعتراضات طبيبى خلف ظهرى الليلة ، وأتناول قرصًا منومًا .

اندفع نحو مكتبه الصغير ، والتقط القرص المنوّم من أحد أدراجه ، مستطردًا :

ـ من المؤكّد أننى أستحقه عن جدارة الليلة .

ابتلع القرص ، وعاد يسترخى فى فراشه ، والتقط واحدة من المجلات الرقمية الحديثة ، و ...

وفجأة ، انتفض جسده كله ..

انتفض فى عنف ، كما لو أنه قد تلقّى لكمة مفاجئة فى أنفه ..

ثم تجمّدت ملامحه كلها دفعة واحدة ..

ولدقيقة أو يزيد ، ظلّ قابعًا فى فراشه ، جامدًا ، ساكنًا ، كتمثال قديم ، من الرخام الوردى ..

وبعدها غادر الفراش ..

كان يسير كالمأخوذ ، وهو يستقل سيارته ، وينطلق بها إلى مخزن المتفجرات ، الخاص بالمناورة الحية ، والذى لم يكد حارساه يبصراه ، حتى غمغم أحدهما فى دهشة عارمة ، شاركه إياها زميله :

ـ سيادة العقيد (تامر) .. مرحبًا بك يا سيّدى ، ولكن أى ..

قبل أن يتمّ عبارته ، فتح (تامر) باب سيارته فجأة ، فبتر الرجل عبارته ، وهو يحدّق فى منامته المنزلية فى دهشة ، قبل أن يتراجع زميله بحركة حادة ، وهو يرفع فوهة مدفعه ، هاتفًا :

- يا إلهى ! ما الذى ..

ولم يكتمل هتافه ..

لم يكتمل أبدًا ..

هذا لأن العقيد (تامر) التقط من جيب منامته بغتة، مسدسًا ليزريًا عسكريًا قويًا ..

وأطلق النار ..

خيطان من خيوط الليزر القاتلة، انطلقا فى صمت تام، من فوهة مسدسه، ليخترقا جبهتى الحارسين بدقة مذهلة، لم تتوافر للرجل قط، فى حالة اليقظة ..

وقبل حتى أن يهوى الرجلان جثة هامدة، كان الرجل يتجه نحوهما، ثم يتجاوزهما دون أن يلقى عليهما نظرة واحدة، كما لو أنه قد تحوَّل إلى رجل آلى بلا مشاعر ..

وأمام باب مخزن المتفجرات الرئيسى، توقَّف العقيد (تامر)، فارتفع أزيز خافت، من جهاز الأمن، وانبعث خيط دقيق من الليزر، يمسح وجهه فى سرعة، مع صوت آلى يقول:

- عرِّف هويتك.

أجابه الرجل فى هدوء جامد:

- العقيد (تامر وجدى) .. الرقم الكودى (غ. م - ٢٩٧٢) ..

هبط خيط الليزر الدقيق، ليمسح قزحيته فى سرعة، قبل أن يقول الصوت الآلى مرة أخرى:

- يمكنك استخدام شفرة الدخول السرية.

استجاب الرجل فى سرعة، ودون ذرة واحدة من التردد، وراحت أصابعه تضغط أزرار رتاج الباب، فى ترتيب مدروس انتهى بصوت آلى، يقول:

- تم السماح بالدخول.

ومع ذلك القول الآلى الأخير، انزاح باب مخزن المتفجرات الرئيسى، ليفسح الطريق أمام العقيد (تامر)، وليكشف ذلك المخزون الهائل من المتفجرات الحربية الحديثة، والذى يكفى لنسف (القاهرة) كلها ..

مائة مرة ..

* * *

«على الرغم من أننا نعرف منطقة تواجده بدقة، فلابد وأن نلتزم منتهى الحيطة والحذر ..»

نطق (نور) العبارة ، وهو يشير إلى الخريطة الإليكترونية لمدينة (القاهرة) الجديدة ، ثم يدير عينيه فى وجوه العسكريين المحيطين به ، متابعاً :

ـ سأقود فريقاً من أربعة رجال ، وسيتم إسقاطنا جواً ، فى خمس مناطق مختلفة ، حول نقطة الهدف ، وسنتبع خطة مدروسة مسبقاً ، بحيث لانحتاج إلى إجراء أية اتصالات مباشرة ، أو حتى مشفرة ، سواء عبر أجهزة اتصال مفتوحة أو محدودة ، حتى لا يمكن لعقله أن يلتقطنا أبداً ، بأى حال من الأحوال ، ثم إن أجهزة الموجة المضادة ، التى ستشغل آذاننا طوال الوقت ، ستمنعنا من استخدام أجهزة الاتصال ، على أية حال .

هز العسكريون رءوسهم ، دون أى تعليق ، فتابع (نور) بلهجته الحازمة :

ـ سنتحرك فى دائرة تناقصية ، بحيث نقترب من المركز طوال الوقت ، وليتذكر الجميع أن مهمتنا الرئيسية هى تحديد أنه مازال فى ذلك الموقع فحسب .

تساءل أحد العسكريين فى دهشة مستنكرة :

ـ لن تتم مهاجمته فوراً ؟!

قال (نور) فى صرامة :

ـ كلاً .. ذلك الوغد واسع الحيلة ، شديد البراعة والذكاء ، ومازالت جعبته تحوى الكثير من الوسائل ، التى يمكن أن يهاجمنا بها ، حتى ولو كنا نستخدم أجهزة الموجة المضادة المحدودة ، لذا فنحن سنتيقن من وجود الهدف فى موقعه فحسب ، مع استعدادنا التام للتدخل الفورى ، إذا ما استلزم الأمر هذا ، وعندما نحصل على تأكيد إيجابى ، سنقوم بزرع أجهزة استقبال قوية حول مكمنه ، ثم نرسل الإشارة .

ردد أحد العسكريين فى حذر :

ـ الإشارة ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ نعم يا سيدى .. الإشارة ! الإشارة التى ما إن يتلقاها لرفاق هنا ، حتى يطلقوا الموجة المضادة بكل قوتهم ، إلى المستقبلات التى أحطنا بها خصمنا .. عندئذ سنحيطه بغلاف واق ، يحيد موجاته العقلية ، ويفسد سلاحه الأساسى ضدنا ، فى نفس اللحظة التى نشن نحن فيها هجومنا عليه ، مع تعزيزات من قوات الصاعقة ، التى يتم إنزالها بوساطة الحوامات جواً .

تبادل العسكريون نظرة دهشة فيما بينهم ، قبل أن يهتف أحدهم مستنكرًا :

ـ كل هذا ، من أجل رجل واحد ؟!

شدّ (نور) قامته ، قائلاً :

ـ إنه ليس رجلاً عاديًا يا سيِّدى .

هتف الرجل ممتعضًا :

ـ ولكنه مجرَّد رجل واحد ، وما تقوله هنا يخالف كل القواعد العسكرية المعروفة .

قال (نور) فى حزم :

ـ لا تستهن بخصمنا يا سيِّدى .

هتف العسكرى :

ـ ولا تبالغ فى تقدير قوته أيضًا أيها المقدَّم ..

صمت (نور) لحظة ، قبل أن يشدّ قامته مرة أخرى ، قائلاً :

ـ صدقنى يا سيِّدى .. لو عرفت خصمنا مثلما نعرفه ، لأدركت أننا لا نبالغ فى تقدير قوته إطلاقًا .

شدّ الرجل قامته بدوره ، قائلاً فى عناد .

ـ مازلت أصرّ على أن هذا يخالف القواعد العسكرية .

تطلَّع (نور) إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول فى بطء :

ـ لعل هذا هو المقصود بالفعل يا سيِّدى .

اتسعت عيون العسكريين فى دهشة ، وهم يتبادلون نظرة مستنكرة ، قبل أن يهتف أحدهم :

ـ أى قول هذا أيها المقدَّم ؟!

أجاب (نور) فى حزم :

ـ من الواضح أن نظمنا تخالف نظمكم تمامًا أيها السادة ؛ فبالنسبة لنا ، نعتبر أن كسر القواعد هو ما يصنع عامل المفاجأة ، الذى يساعدنا على مباغتة خصمنا ، أما الالتزام بها ، فيمنح الخصم فرصة مثالية ؛ لفهم ما يمكن أن نقدم عليه ، فى المرحلة التالية ، والاستعداد لمهاجمتنا ، إذ إن كل ما عليه ، فى هذه الحالة ، أن يعود إلى كتاب القواعد العسكرية فحسب .

انتفض أحدهم ، قائلاً فى حدة :

ـ هل تسخر من قواعدنا ونظمنا أيها المقدَّم ؟!

هتف (نور) فى سرعة :

ـ محال يا سيّدى .. ما من وطنى مخلص ، يمكن أن يشكك فى قدرات قواته المسلّحة ، وبراعة وقدرة قادتها ، ولكننا نتحدث هنا عن خصم غير تقليدى ، ولا بد أن نواجهه بوسائل غير تقليدية .

عاد الرجال يتبادلون نظرة متوترة ، قبل أن يقول أحدهم :

ـ وما من عسكرى مخلص ، يمكن أن يشكك فى نزاهة أجهزة مخابرات دولته ، وسعيها لحماية أمنها القومى أيها المقدّم .

وافقه الكل على رأيه فى حماسة ، ثم قال أحد العسكريين :

ـ ودعونا لاننسى أبدًا أن (أدولف هتلر) قد حقق انتصاراته الساحقة ، فى بدايات الحرب العالمية الثانية ؛ بسبب لجوئه إلى وسائل عسكرية غير تقليدية(*) ..

وعادوا يتبادلون نظرة صامتة ، قبل أن يقول أكبرهم رتبة فى حزم :

(*) حقيقة .

ـ سنأمر قواتنا كلها بالاستعداد أيها المقدّم ، وسنمنحك أربعة من أفضل رجال قواتنا الخاصة ، و ....

« ثلاثة فقط يا سيّدى .. »

انبعث الصوت فجأة فى المكان ، صارمًا ، حازمًا ، قويًا ، فالتفت إليه الجميع فى دهشة ، وتساءل أحد العسكريين فى توتر :

ـ من هذا بالضبط ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يجيب :

ـ إنه زميلنا (أكرم) .. مقاتل من الطراز الأوّل .

أضاف (أكرم) ، وهو يقف إلى جوار (نور) ، ويشدّ قامته فى اعتداد :

ـ هذا يجعلنا اثنين من المخابرات العلمية ، مقابل ثلاثة من القوات الخاصة .

تساءل أحد العسكريين :

ـ أيندرج هذا تحت بند عدم التقليدية أيها المقدّم ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

ـ (أكرم) .. أعتقد أن إصاباتك تجعل الـ ...

قاطعه (أكرم) فى حدة :

ـ سأشارك فى هذه العملية يا (نور) .

لم يرق لـ (نور) أبدًا أن يناقشا هـذا الأمر ، فى وجود فريق العسكريين هذا ، إلا أنه تمالك نفسه ، وقال فى حزم :

ـ المفترض أن تبقى ؛ لحماية زوجتك .

هتف (أكرم) :

ـ الوسيلة الوحيدة لحماية زوجتى ، هى سحق تلك الوغد يا (نور) وسأبذل كل طاقتى ، فى سبيل تحقيق هذا الهدف .

بدا الغضب على العسكريين ، وقال أحدهم فى حدة :

ـ هل يفترض بنا احتمال سماع هذا النزاع الصبيانى .

التفت إليه (أكرم) فى غضب ، هاتفًا :

ـ نزاع صبيانى ؟! هل تتصور أن ..

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع فجأة أزيز جهاز الاتصال الداخلى ، فى ساعة (نور) ، فرفعها إلى شفتيه مباشرة ، وهو يشير إلى الجميع بالتزام الصمت ، ثم يضغط زر الاتصال ، قائلاً :

ـ ماذا هناك يا (رمزى) ؟!

هتف به (رمزى) ، فى انفعال واضح :

ـ (نور) .. لقد أخطأنا .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يردد :

ـ أخطأنا .

هتف به (رمزى) :

ـ نعم يا (نور) .. الراهب التبتى لم يمت .. إنه حى يا (نور) .. حى ..

وازداد انعقاد حاجبى (نور) بمنتهى الشدة ..

فقد كانت هذه مفاجأة جديدة ..

مفاجأة مدهشة ..

* * *

هز رئيس القسم الطبى ، فى إدارة الأبحاث العلمية رأسه فى حيرة ، وهو يراجع البيانات الحيوية للراهب ، على الشاشات الإليكترونية المحيطة به ، قبل أن يقول :

ـ الواقع أننا كنا على وشك إصدار شهادة وفاة رسمية له ، لولا أن النظم تحتم تأكيد الوفاة أولاً ، من خلال أجهزة الفحص الإليكترونية ، وعندئذ كانت المفاجأة .

انعقد حاجبا (نور) في شدة، وهو يتطلع إلى الراهب، الذي بدا، مع نحوله الشديد، أشبه بمومياء قديمة بالفعل، والطبيب يتابع، بنفس الحيرة المرتبكة:

ـ بالنسبة لأي إنسان عادي، يبلغ معدل النبض ما بين سبعين أوثمانين نبضة في الدقيقة الواحدة، قد ترتفع إلى مائة أو مائة وعشرين، في بعض الحالات المرضية، أو تنخفض إلى الأربعين نبضة، في حالات أخرى، أما بالنسبة لهذا الراهب، فنبضات قلبه لم تتجاوز الثلاث، في كل دقيقة كاملة.

ازداد انعقاد حاجبي (نور)، في حين اندفع (رمزي) يقول:

ـ هذا مستحيل طبيًا يا (نور)! حتى لو حدث هذا، فمن المستحيل أن تحافظ باقي أجهزة الجسم على حيويتها ونشاطها، أو تبقى في حالة سليمة منتظمة، مع معدل نبض كهذا، ومعدل تنفس انخفض إلى مرة واحدة في الدقيقة.

هتف الطبيب:

ـ بمعدلات كهذه، يمكنك أن تدفن هذا الرجل، وتهيل

عليه التراب لساعة كاملة، ثم تنبش قبره بعدها، ليعود سليمًا معافى.

غمغم (نور):

ـ قرأت أن بعض رهبان (التبت)، وفقراء (الهند)، يفعلون هذا فعليًا.

سأله الطبيب في دهشة:

ـ يخفضون معدلات نبضهم وتنفُّسهم؟!

قال (نور) في حزم:

ـ بل يتم دفنهم لبعض الوقت، دون أن يصابوا بأدنى ضرر فعلي(*).

اتسعت عينا الطبيب في دهشة بالغة، وهو يهتف:

ـ حقًا؟!

أما (رمزي)، فقال في توتر:

ـ أنا أيضًا قرأت عن هذا يا (نور)، في مراجع علمية محترمة، ولكن هذا الراهب كان يقف أمامنا، ويواجه سيطرة

(*) حقيقة مسجلة.

ذلك الخصم الشرير على عقل (مشيرة) ، ثم سقط فجأة ، ودون أية مقدمات : ما الذى يمكن أن يعنيه هذا بالضبط يا (نور) ؟!

ثم اتسعت عيناه فى ارتياع ، قبل أن يضيف :

- هل تعتقد أن خصمنا الرهيب قد ..

قاطعه (نور) فى حزم :

- كلاّ .. هذا مستحيل تمامًا ! (نشوى) أكدت لى أن تلك الموجة المضادة ، التى يتمّ بثها فى المكان ، تحمينا من تأثيراته العقلية تمامًا ، و ..

بتر عبارته بغتة ، وازداد انعقاد حاجبيه فى شدة ، فسأله (رمزى) فى لهفة :

- ألديك فكرة ما يا (نور) ؟!

أشار (نور) بسبّابته ، قائلاً فى شرود :

- الموجة المضّادة .

تطلّع إليه الطبيب فى اهتمام ، فى حين سأله (رمزى) :

- ماذا عنها ؟!

لوّح (نور) بسبّابته فى الهواء ، وكل خلجة من خلجاته تشفّ عن التفكير العميق ، وهو يلوذ بالصمت لبضع لحظات ، قبل أن يلتفت إلى الراهب ، الراقد على فراش صغير ، وقد اتصلت عشرات من أجهزة الفحص الإليكترونية بجسده ، قائلاً :

- هذا الراهب خاض ، خلال فترة قصيرة ، ما يصعب أن يحتمله أى مخلوق بشرى ، مهما بلغت قدراته ، فقد وثب عبر الزمان والمكان ؛ ليصل من (التبت) إلى هنا ، وليظهر وسطنا مباشرة ، وعندما فعل ، كانت تحيط به موجة مضادة قوية ، تُحجّم قدراته العقلية إلى حد كبير ، وعلى الرغم من هذا ، كان عليه التصدى لحالة سيطرة مخيفة ، على عقل (مشيرة) .. كل هذا استنفد طاقته بشدة .

تساءل (رمزى) فى اهتمام :

- هل تعنى أنه يعانى من استنفاد الطاقة فحسب ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

- بالضبط .. ولأنه يمتلك قدرة مدهشة ، على السيطرة على جسده كله ، فقد لجأ الجسد إلى وسيلة دفاعية فريدة ، للحفاظ على ما تبقّى به من طاقة ، عن طريق خفض معدلاته الحيوية إلى الحد الأدنى .

بدا الطبيب مبهوتًا ، وهو يقول :

ـ لم أتصور أبدًا أن أى مخلوق فى الدنيا ، يمكنه أن يفعل هذا بإرادته .

أجابه (نور) :

ـ لا ريب فى أنك تقصد أى مخلوق بشرى أيها الطبيب ، ففى عالم الحيوانات والحشرات والزواحف ، يحدث هذا كثيرًا ، وبالذات فى المرحلة التى نطلق عليها اسم البيات الشتوى ، والتى تخفض فيها المخلوقات عملياتها الحيوية ، إلى أدنى حد ممكن ، لتدخل فى سبات شتوى طويل(*) ..

تطلع الطبيب إلى الراهب لحظة أخرى ، ثم هز رأسه ، مغمغمًا :

ـ رباه ! المرء يتصور أحيانًا أنه قد تعلم الكثير ، عن قدرات الجسم البشرى ، ثم يفاجأ دومًا بأن ..

قبل أن يتم عبارته ، انطلقت صفارة الإنذار فجأة فى المكان ، وارتفع صوت آلى يقول :

ـ انتباه .. انتباه .. سيارة مجهولة تقترب من المكان ، بسرعة تفوق السرعة المسموح بها .. انتباه .

(*) حقيقة علمية .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يندفع نحو باب الحجرة ، مغمغمًا فى توتر شديد :

ـ رباه ! أتعشم ألا يكون هذا جزءًا من هذه الحرب الرهيبة .

قطع الممر الموصل بين إدارة الأبحاث ، ومبنى المخابرات العلمية ، بأقصى سرعة ممكنة ، و(رمزى) يتبعه ، هاتفًا :

ـ (نور) .. هل تعتقد أنه هجوم جديد ؟!

أجابه (نور) ، وقد تضاعف توتره :

ـ أيبدو لك خلاف هذا ؟!

خفق قلب (رمزى) بين ضلوعه فى عنف ، ولاذ بالصمت تمامًا ، وهو يتبع (نور) إلى حجرة الفريق ، وهناك ضغط (نور) أزرار شاشة الرصد ، وذلك الصوت الآلى يتابع ، فى المكان كله :

ـ انتباه ! تم تحذير السيارة ، ولكنها لم تستجب .. على الكل أن يستعد لحالة طوارئ قصوى .

هتف (رمزى) ، وهو يراقب ، على شاشة الرصد ، مشهد سيارة العقيد (تامر وجدى) ، التى تنطلق نحو مبنى إدارة الأبحاث العلمية ، غير مبالية بالتحذيرات والتهديدات الصوتية القوية :

- رباه ! لابد من إيقافها يا (نور) .. لابد .

أجابه (نور) ، وهو يراقب الموقف فى توتر بالغ :

- هناك نظام أمن إليكترونى، مسئول عن هذا يا (رمزى) ، فلو تجاوزت تلك السيارة ذلك الخط البرتقالى اللون ، سيتم إطلاق أشعة الليزر على مستوى منخفض ، بحيث تنسف إطاراتها نسفًا ، فى نفس اللحظة التى تستبدل فيها شريحة كبيرة من الأرضية ، بأخرى ذات أطراف مسمارية حادة ، وكل هذا يكفى لإيقافها تمامًا ، أما لو تجاوزت كل هذا ، وبلغت الخط الأحمر ، فسيتم إطلاق ثلاثة مدافع ليزرية قوية نحوها مباشرة ؛ لنسفها قبل أن تبلغ منطقة الحظر .

كانت السيارة تواصل انطلاقها بالفعل ، بسرعة مخيفة ، بحيث لم يعد يفصلها عن الخط البرتقالى سوى أمتار قليلة ، و...

وفجأة ، دوى انفجار آخر ..

انفجار ارتجّ معه مبنى إدارة المخابرات العلمية فى قوة ، ثم انطفأت بعده شاشة الرصد مباشرة ، فهتف (رمزى) :

- رباه ! ماذا حدث يا (نور) ؟!

تراجع (نور) فى حدة ، هاتفًا :

- لقد انشغلنا جميعًا بالسيارة المهاجمة ، فى الوقت الذى استخدم فيه خصمنا وسيلة ما ، لنسف نظام الأمن الإليكترونى يا (رمزى) !

اتسعت عينا (رمزى) فى رعب ، وهتف :

- لم تعد هناك وسيلة لمنع تلك السيارة إذن !

أجابه (نور) فى توتر شديد :

- النظام الأمنى الإليكترونى البديل سيعمل فورًا ، خلال ثلاث ثوان فحسب ..

ثم انعقد حاجباه بمنتهى الشدة ، وهو يضيف فى مرارة :

- ولكن هذا أكثر مما يحتاج إليه بالفعل .

مع آخر حروف كلماته ، عادت الشبكة الأمنية للعمل بالفعل ، وأضيئت شاشة الرصد مرة أخرى ..

ونقلت مشهد السيارة ..

السيارة ، التى تجاوزت الخط الأحمر ..

بالفعل ..

وبمنتهى القوة ، انتفض جسد (نور) ..

وبمنتهى الشدة ، انعقد حاجباه ..

وفى أعمق أعماق صدره ، خفق قلبه ..

وبمنتهى العنف ..

أما (رمزى) فقد تراجع بحركة حادة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، بكل هلع وارتياع الدنيا ، وهو يهتف :

ـ (نشوى) .. لا .. لا ..

فسيارة العقيد (ثامر) كانت قد تجاوزت الخط الأحمر ..

واندفعت نحو مبنى إدارة الأبحاث العلمية ..

وبسرعة جنونية ..

رهيبة ..

مميتة ..

ومع عودة نظم الأمن الإليكترونية ، بدأت مدافع الليزر القوية عملها على الفور ..

وانطلقت ..

ومع نظم التصويب والتوجيه الإليكترونى الفائق ، كان من الطبيعى ألا تخطئ مدافع الليزر هدفها قط ..

وهذا ما حدث ..

لقد أصابت السيارة ، التى تنطلق بالمواد شديدة الانفجار بالفعل ..

السيارة التى أصبحت على مسافة مترين فحسب ، من مبنى إدارة الأبحاث العلمية ..

لذا فقد كان الانفجار هائلاً بحق ..

انفجار رهيب ، ارتجت معه إدارة المخابرات العلمية بمنتهى العنف ..

انفجار يكفى لسحق إدارة الأبحـاث العلميـة ، بكـل ما فيها ..

وكل من فيها ..

بلا استثناء .

* * *



٦ ـ الدمـار ..

ران صمت وسكون رهيبان مهيبان ، على ذلك المعبد البوذى العريق ، القابع منذ مئات السنين ، وسط قمم الجبال العالية فى (التبت) ..

صمت وسكون ، يُخيّل إليك معهما ، أنه لا أثر للحياة ، فى ذلك المكان ..

بل وفى المنطقة كلها ..

ولكنك لو تجاوزت قمم الجبال ، المغطاة بطبقة كثيفة من الجليد ، وهبطت إلى المعبد نفسه ، وتجاوزت بوابته الهائلة المهيبة ، التى لن تعلم أبدًا ، لماذا جعلها صانعوها بهذه الضخامة ، وتقدّمت إلى ساحته ، الغارقة فى ظلام عجيب ، لاتخالطه سوى لمحة من ضوء باهت ، تسلّل عبر فرجة ضئيلة ، وسط السحب الكثيفة ، فى تلك الليلة التى اكتملت فيها استدارة القمر ، ليسمح لك برؤية تلك الحلقة البشرية ، المجتمعة فى منتصفه ، والتى غلّفها ذلك الصمت والسكون ، حتى بدت وكأنها لمجموعة من التماثيل الحجرية القديمة ..

كانت مجموعة من رهبان التبت، يصعب تمييز أفرادها على نحو جيد، مع التحول الذى تشاركوا فيه، والرءوس الصلعاء، والنظرات الجامدة، وتلك الأثواب البنية الخشنة، التى يدهشك أن يكتفوا بها، فى مناخ يبلغ البرودة، إلى هذا الحد القارس ..

ولكنك لو تمعّنت فى ملامحهم جيدًا، لأدركت أنهم حتمًا لا يشعرون بهذا البرد القارس ..

بل ولا يشعرون بأى شىء مما يدور حولهم ..

لا يشعرون بالأحداث ..

أو المكان ..

أو حتى الزمان ..

هذا لأنهم، فى جلستهم الدائرية هذه، كانوا يتشاركون طاقتهم العقلية الفائقة، لصنع جهاز بشرى مدهش، لإرسال واستقبال موجات المخ ..

إلى أبعد مدى ممكن ..

كانت عيونهم مغمضة ..

وعقولهم مفتوحة عن آخرها ..

وتنطلق بعيدًا ..

بعيدًا جدًا ..

جدًا ..

ولا أحد، حتى هم أنفسهم، يدرى كم بقوا فى هذا الوضع ..

ففى أمر روحانى كهذا، لا تكون هناك قيمة للزمان أو المكان ..

أدنى قيمة ..

ولو أنهم ظلوا على مجلسهم هذا لسنوات، لما حرك أحدهم ساكنًا، أو بدا عليه مظهر واحد، من مظاهر الحياة، أو ..

ولكن مهلاً ..

فجأة وفى آن واحد، وبتوافق مدهش، انتفض كل رهبان الدائرة دفعة واحدة ..

انتفضت أجسادهم فى قوة ..

ثم ارتفعت رءوسهم بحركة واحدة تقريبًا ..

ولكن عيونهم ظلت مغمضة ..

فلقد استقبلت عقولهم بغتة موجة قوية ..

قوية ..

قوية إلى حد مخيف ..

ولكن تلك الأجساد ، التى انتفضت فى قوة ، عادت تستقر فى مجلسها ، وتستعيد وضع القرفصاء مرة أخرى ..

وعادت الوجوه تنخفض ..

والعقول تنطلق ..

وبأقصى قوة ..

هذا لأن عقولهم كان عليها أن تؤدى مهمة ..

مهمة عاجلة ..

وبالغة الخطورة ..

إلى حد لا يمكن تصوره ..

أبدًا ..

* * *

انخلع قلب (نور) و(رمزى) بحق ، وهما يهرعان مع فريق الأمن الرئيسى ، لإدارة المخابرات العلمية المصرية ، إلى مبنى إدارة الأبحاث ، الذى حدث عنده الانفجار الرهيب ..

ومن اللحظة الأولى ، بدا من الواضح أن الأمر مفزع بحق ..

وبكل المقاييس ..

فواجهة المبنى بأكملها كانت منهارة ، والنيران تشتعل فى أجزاء عديدة مما تبقى ، وأصوات الصراخ والتأوهات تصمّ الآذان ..

صورة بشعة رهيبة ، جعلت قلب (رمزى) يهوى بين قدميه ، وهو يهتف :

ـ رباه ! (نشوى) .. (أكرم) .. (سلوى) .. (مشيرة) .. يا إلهى ! يا إلهى !

أما (نور) ، فقد منعه هلعه الشديد من أن ينطق بحرف واحد ، وهو يعدو متجاوزًا الحطام ، وقلبه يرتجف بين ضلوعه ..

ويرتجف ..

ويرتجف ..

ومن بعيد ، هتف أحد رجال الأمن :

ـ يا للبشاعة ! السيارة لم تترك خلفها أية بقايا .. الانفجار سحقها مع راكبيها سحقًا !!



فواجهة المبنى بأكملها كانت منهارة ، والنيران تشتعل فى أجزاء عديدة مما تبقّى ..

وهتف صوت آخر :

ـ هل من أخبار عن الضحايا بالداخل ؟

أجابه صوت ثالث :

ـ ليس بعد .

ضاعف (نور) من سرعته ، ووثب متعلقًا بحاجز معدنى نصف منهار ، ليقفز داخل المبنى ، فصاح به أحد الرجال :

ـ احترس يا سيادة المقدّم .. النيران ما زالت تشتعل ، فى بعض أنحاء المبنى ، وهناك أشياء عديدة ، قابلة للانفجار فى الداخل ، وبعض الجدران قد تنهار فى أية لحظة .

صاح (رمزى) ، وهو يتبع (نور) إلى الداخل :

ـ هذا يمنحنا دافعًا أكبر للدخول يا رجل .

لم يحاول (نور) الدخول فى حوار أو مناقشة ..

لم يكن باستطاعته أبدًا أن يفعل ..

كل ذرة فى كيانه كانت تصرخ بالخوف ..

والقلق ..

واللهفة ..

والهلع ..

واللوعة ..

والارتياع ..

كل خلية فى جسده كانت تتمنى معرفة مصير زوجته ، وابنته ، وزميله ، و(مشيرة) ، والدكتور (جلال) أيضاً ..

ومع توغّله فى المكان أكثر وأكثر ، كانت مشاعره هذه تتضاعف ..

وتتضاعف ..

وتتضاعف ..

فعلى الرغم من أن تلك السيارة الملغومة ، قد انفجرت على مسافة مترين من المبنى، إلا أن الدمار الذى أحدثته امتد لمسافة كبيرة ..

كبيرة جداً ..

وهذا يصيبه بالهلع ، على مصير الجميع فى الداخل ..

أما (رمزى) ، فقد راح يردد ، بأنفاس مضطربة لاهثة :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

اعترض طريقه أحد العسكريين ، والدماء تنزف فى غزارة ، من جرح كبير فى جبهته ، وهو يصيح فى غضب هادر :

ـ أهذه هى نتائج خططك غير التقليدية أيها المقدّم ؟ أهذا ما تسميه بالمواجهة غير العادية ؟

تجاوزه (نور) ، دون أن يتوقّف لمناقشته ، فلوّح الرجل بسبابته خلفه فى غضب ، صائحاً :

ـ كان ينبغى أن تتبع القواعد العسكرية الأساسية أيها المقدّم المتحذلق .. كان ينبغى أن تضرب ضربتك فوراً ، بأقصى سرعة ، ودون أن تمنح خصمك الفرصة ، لتوجيه ضربة كهذه إليك .

عضّ (نور) شفتيه ، دون أن يجيب ، وتجاوز قطعة كبيرة من الحطام ، وهو ينطلق نحو القسم الطبى ، والعسكرى يلوّح بقبضته خلفه ، صائحاً فى حدة :

ـ سنتولّى الأمر منذ هذه اللحظة ، وسنريك ما الذى يمكن أن تفعله الوسائل التقليدية ، التى لم ترق لك .

كانت المشاعر ، التي ترتجف بها كل خلية في جسد (نور) ، أقوى من أن يتوقف لمناقشة حديثه ، لذا فقد انحرف داخل الممر ، الذي يقود إلى القسم الطبي ، ليجد أمامه الدكتور (جلال) ، واثنان من رجال الإسعاف السريع ينقلانه إلى محفة هيدروليكية ، والدماء تنزف من صدره وذراعه ..

وما إن رآه الدكتور (جلال) ، حتى هتف :

ـ (نور) .. فريقك يا (نور) .. إنهم .. إنهم ..

لم يستطع إتمام عبارته ، مع نوبة السعال العنيفة ، التي انتابته في منتصفها ، وتناثرت قطرات الدم من بين شفتيه ، مع سعاله العنيف ..

ولم يتوقف (نور) أو (رمزي) ، لسماع ما أراد أن يقوله ..

لم يتوقف أيهما لحظة واحدة ، وقد تصور أن الأمر بشع ..

بشع بحق ..

وعندما بلغا تلك الجناح ، الذي يضم أفراد الفريق ، و(مشيرة) ، وذلك الراهب التبتي ، خفقت قلوبهم في هلع ، مع مرأى الباب المحطم ، والجزء المنهار من الجدار ، و ...

وفجأة ، اصطدمت عيونهما بمشهد ، لم يتخيل أحدهما رؤيته قط حتى في أحلامه ..

أو كوابيسه ..

مشهد طبيب وثلاث من الممرضات ، وقد سقطوا أرضًا ، وانسحقت أجسادهم سحقًا ، تحت ثقل أجهزة طبية ضخمة ، أوقعها الانفجار على رءوسهم ..

وصاح (رمزي) :

ـ لا .. لا يمكن أن .. أن ..

لم يستطع إتمام عبارته ، إلا أن (نور) اندفع نحو باب جناح الفريق الخاص ، وخفق قلبه في عنف ، وهو يمسك مقبضه ، ويفتحه ، و ...

وتجمدت كل ذرة في كيانه ..

وكل ذرة في كيان (رمزي) أيضًا ..

فما رآه كلاهما كان مذهلاً ..

مذهلاً بحق ..

ميكار المقاتلين ـ

* * *

الآن يعلمون ..

الآن أدركوا أنه ما من وسيلة لمواجهته ..

لقد بذلوا كل ما بوسعهم ، ولم يظفروا به ..

بل ولم يقتربوا حتى من هذا الحد .

كل محاولة منهم لتحجيمه ، واجهها بمنتهى الذكاء ..

ومنتهى العنف ..

ومنتهى القسوة ..

لابد أن يتعلموا الدرس ..

ويستوعبوه ..

كل مرة يقتربون فيها منه ، تتم معاقبتهم ..

وتدميرهم ..

بلا أدنى رحمة ..

ومع الدرس الأخير هذا ، استعاد سيطرته على الموقف كله ..

موجتهم المضادة انتهت ..

انسحقت سحقًا ..

والضحايا بالعشرات ..

أو بالمئات ..

كادت عيناه تبرقان فى الظلام ، قبل أن يغلقهما فى قوة ، ويطلق العنان لطاقاته العقلية الرهيبة ..

نعم .. لم يعد هناك ما يعترض قوته ..

كل الحواجز أزيلت ..

عليه أن يستغل الفرصة إذن ، لتدمير ذلك الفريق ، الذى كشف نقاط ضعفه ..

سيدفعهم ، أو سيدفع من تبقى منهم على قيد الحياة ، إلى قتل الباقين ..

هذا هو الأسلوب الذى يروق له دومًا ..

أن يدفع الناس لقتل بعضهم البعض ..

وكم يروق له الموقف ، عندما تربط بينهم صلات صداقة ، أو قربى ، أو صلات دم مباشرة ..

عندئذ تكون المتعة أكبر ..

أكبر بكثير ..

شعر بلذة وحشية تسرى فى عروقه ، وعقله ينطلق ..

وينطلق ..

وينطلق ..

ولكن مهلاً ..

إنه لم يلتقط أية موجة ، من موجات عقول فريق (نور) ..

أية موجة على الإطلاق !!

ترى هل يمكن أن يكون الفريق كله قد لقى مصرعه ، مع انفجار المبنى ؟

أم أن ..

التقط عقله بغتة تلك الموجة القوية ..

موجة ، يعلم جيداً أنه من المستحيل أن يطلقها عقل آدمى عادى ..

موجة يحفظها عقله عن ظهر قلب ، منذ عقدين كاملين من الزمان ..

موجة عقل راهب ..

راهب تبتى ..

كان هناك غضب هادر ، يتصاعد فى أعماقه ، إلا أن إرادته الفولاذية سيطرت على مشاعره وانفعالاته ، وهو يتراجع بعقله فى سرعة ، قبل أن يكشف ذلك الراهب التبتى موقعه ..

وهدفه ..

من المؤكد أن وجوده سيفسد أموراً كثيرة ..

هذا لأنه ليس وحده ..

كلهم هناك يمدونه بالقوة ..

والطاقة ..

والأفكار ..

ولكن هذا لن يخيفه ، ولن يوقفه ..

فقط سيدفعه إلى تغيير خطته ..

وتطوير أسلوبه ..

ارتفع رأسه على نحو عجيب ، وتجمد جسده كله ، وترك عقله ينطلق ..

وينطلق ..

وينطلق ..

كان يدرس كل العقول ، فى موقع الحادث ..

كل العقول ..

وكل الأفراد ..

وفى أعماقه ، بدأت تتكون فكرة جديدة ..

ورهيبة ..

فكرة تعتمد على أنه يعلم جيدًا كيف ستكون الضربة القادمة ..

وأين ..

* * *

« هنا .. » ..

نطق القائد العسكرى الكلمة ، بكل الحزم والصرامة ، وهو يشير إلى البقعة التى حددتها (نشوى) ، قبل أن يتابع فى حدة ، فى مكتب وزير الدفاع :

– بعدما فعله ذلك الشىء ، لابد أن نواجهه بمنتهى الحزم والصرامة .. وبمنتهى العنف أيضًا .

انعقد حاجبا وزير الدفاع ، وهو يقول فى قلق :

– المنطقة التى تتحدث عنها ، إحدى المناطق السكنية الراقية ، فى (القاهرة الجديدة) ، وليس من السهل أن تدير فيها عملية عسكرية عنيفة كهذه .

هزّ القائد العسكرى رأسه فى قوة ، وتحسّس الضمادة التى تغطى جرح جبهته الحديث ، وهو يقول فى صرامة :

– العملية ستكون سريعة ومحدودة جدًا يا سيادة وزير الدفاع .. سنستخدم ثلاثًا من فرق الكوماندوز دفعة واحدة .. اثنتان ستنقضّان من الجانبين ، والثالثة سيتم إنزالها جوًا ، فى منطقة الهدف مباشرة ، وستدير العملية كلها قبل الفجر ، بحيث تبدأ وتنتهى ، دون أن يشعر سكان المنطقة بحدوثها .

التقط وزير الدفاع نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول فى قلق شديد :

– ما زال الأمر مزعجًا ، ويحتاج إلى قرار سياسى ، قبل أن يكون قرارًا عسكريًا .

انتفض القائد العسكرى ، وهو يهتف :

– قرار سياسى ؟ إنها عملية عسكرية محضة يا سيادة وزير الدفاع ، وتطويرها إلى عملية سياسية ، سيؤدى إلى مشكلات لا حصر لها .

تساءل وزير الدفاع فى اهتمام .

ـ أى نوع من المشكلات ؟

شدّ القائد العسكرى قامته فى صرامة ، وهو يقول فى حزم :

ـ سيادة الوزير .. إننا نواجه خصمًا رهيبًا ، يمكنه السيطرة على عقول البشر ، ودفعهم إلى القيام بكل ما يفيد مخططه الشيطانى ؛ السيطرة على العالم كله ، وتوسيع دائرة هذه العملية العسكرية قد يؤدى إلى معرفته بها ، وعندئذ سيصبح علينا أن نواجه السؤال الرهيب .

سأله الوزير فى حذر :

ـ أى سؤال هذا ؟

مال القائد العسكرى نحوه ، قائلاً بلهجة خاصة :

ـ ماذا لو أمكنه السيطرة ، على عقل الرئيس مباشرة ؟

اتسعت عينا وزير الدفاع عن آخرهما فى ارتياع ، وحدّق فى عينى القائد العسكرى بضع لحظات ، قبل أن يتنحنح ، قائلاً فى توتر :

ـ أنت على حق .

ثم استدار ، ليوقّع أمر تنفيذ العملية ، واعتدل يناول إياه القائد العسكرى ، وهو يقول بلهجة ، لم يفارقها انفعالها بعد :

ـ كلما أسرعت بالتنفيذ ، كان هذا أفضل .

تألقت عينا القائد العسكرى ، واعتدل فى وقفته ؛ ليؤدى التحية العسكرية فى قوة ، قائلاً :

ـ بالتأكيد يا سيادة وزير الدفاع .. بالتأكيد .

والعجيب أنه قد شعر فى أعماقه ، بأنه قد انتصر فى معركته ..

انتصر بالفعل ..

* * *

جناح فريق (نور) تم تدميره بالكامل ..

هذا أول ما يمكن أن تلاحظه ، عندما تدلف إليه ..

لقد تهشمت الجدران ، وتحطمت الأجهزة الطبية ، وانفجرت مواسير الغاز ، وتصدعت الأرضية ..

ولكن العجيب أن الفريق كله لم يصب بسوء ..

كانوا كلهم يقفون فى منتصف الجناح ، والدهشة تملأ

وجوههم ، وذلك الراهب النحيل يقف وسطهم ، وقد أغلق عينيه ، وبدا ساكنًا هادئًا ، أكثر مما ينبغى ..

وعلى نحو لا يتناسب قط مع الدمار المحيط به ..

والأعجب أنه كانت هناك سحابة خفيفة من الدخان ، تحيط بأفراد الفريق والراهب ..

سحابة اتخذت شكلاً كرويًا تام الاستدارة ، على نحو يستحيل حدوثه فى الطبيعة .

وفى ذهول ، حدّق (نور) و(رمزى) فيما أمامهما ، فى حين تهللت أسارير الجميع عند رؤيتهما ، وهتفت (سلوى) فى سعادة:

ـ (نور) .. (رمزى) .. حمدًا لله على سلامتكما .. لقد خشينا أن ..

قاطعها (نور) فى لهفة :

ـ أأنتم جميعًا بخير ؟

احتضن (أكرم) زوجته ، وهو يومئ برأسه إيجابًا ، وتنهّدت (نشوى) ، قائلة :

ـ نعم يا أبى .. كلنا بخير والحمد لله .

ثم هزت رأسها ، مستطردة :

ـ ولكن ما حدث هنا كان أمرًا مذهلاً بحق ..

كان ذلك الضباب الباهت ، المحيط بهم ، يتلاشى تدريجيًا ، وهى تشير إلى الراهب ، متابعة فى انبهار وانفعال :

ـ عندما دوت صفارات الإنذار ، هرعنا أمى وأنا إلى حجرة (مشيرة) ، وتساءلنا عما يحدث بالضبط .. وفجأة ، وجدنا هذا الراهب بيننا ..

تحدّثت فى سرعة ، وراحت تلوّح بكفيها فى انفعال ، مكملة :

ـ لم يكن الانفجار قد حدث بعد ، ولكنه أحاطنا بغتة بكرة الضباب هذه ، والتى تلقّت عنا كل ما حدث .. كل العنف ، والشظايا المتناثرة ، والحطام المتطاير .. باختصار ، لقد عزلتنا تمامًا عما يحيط بنا ، وكأننا قد أصبحنا فى عالم آخر ، لا علاقة له إطلاقًا بعالمنا هذا .. إننا حتى لم نشعر بالارتجاج ، أو باهتزازات الانفجار .. كل شىء مرّ بنا ، دون أن يمسّنا بأدنى سوء .

التقطت نفسًا عميقًا ؛ للسيطرة على مشاعرها ، قبل أن تضيف فى حماسة شديدة :

ـ لابد أن أدرس موجات المخ هذه .. من المؤكّد أنها ستفيدنا كثيرًا ، فى تطوير دفاعاتنا ، ضد خصمنا الرهيب ، فى حربنا الشرسة معه ، و ...

« لستم وحدكم .. »

انطلقت الكلمات فجأة فى عقولهم ، فالتفتوا إلى الراهب فى دهشة ، تضاعفت عندما بدا أمامهم صامتاً ساكناً ، فى حين أن كلماته ما زالت تتتابع فى أعماق عقولهم ..

« كلنا نسعى خلفه .. »

تساءل (نور) فى اهتمام :

ـ ومن كلكم ؟

« نحن مجموعة من رهبان (التبت) .. »

الجواب كان مدهشاً بحق ، مما جعل (رمزى) يتساءل فى حيرة :

ـ وما شأنه بكم ؟

لم تستقبل عقولهم أى جواب ، لما يقرب من نصف الدقيقة ، فتمتم (نور) :

ـ أظنهم المسئولون عما وصل إليه .

« نحن دربناه .. »

انعقد حاجبا (أكرم) فى غضب شديد ، وهو يقول فى حدة :

ـ أنتم ؟ إذن فأنتم المسئولون عما نعانيه !

فى هذه المرة ، لم ينبس الراهب ببنت شفة كعادته ..

ولم يسمع أحدهم صوته فى عقله ..

ولكن ما حدث كان أكثر غرابة وعجباً ، من كل ما مر بهم من قبل ..

أكثر بكثير .

* * *



٧ـ رحلة عقل ..

شدّ القائد العسكرى قامته فى اعتداد، وهو يستعرض قوات الصاعقة، التى اصطفّت فى أحد المطارات العسكرية الحديثة، عند أطراف (القاهرة الجديدة)، فى انتظار بدء مهمتها، ثم قال فى حزم عسكرى صارم:

ـ أريد أن تتمّ مهمتكم بأسرع وقت ممكن .. ضربة واحدة مركّزة؛ لتصفية الهدف، بأقل خسائر ممكنة.

سأله أحد ضباط الصاعقة، وهو يؤدى التحية العسكرية:

ـ ما مقدار المقاومة المتوقّعة يا سيّدى.

انعقد حاجبا القائد العسكرى، وهو يقول فى صرامة:

ـ خطتنا تعتمد على عامل المفاجأة، وقوة الهجوم، بحيث لا نمنح الخصم فرصة للمقاومة.

بدت الحيرة على الضابط، وهو يتساءل فى تردد:

ـ سيّدى .. أليس من المفترض أن نعرف طبيعة الخصم، واستعداداته فى مواجهتنا على الأقل؟

بدا الغضب على القائد العسكرى، وهو يقول:

ـ كل ما عليك أن تعرفه، هو أنكم تهاجمون بؤرة واحدة تحوى العدد الأكبر من الأعداء، وأنه من المحتّم أن يكون التدمير شاملاً، ولقد قدّمنا موعد الهجوم إلى منتصف الليل؛ لحسم الأمر بسرعة.

صمت الضابط لحظة، ثم شدّ قامته بغتة، وهو يؤدى التحية العسكرية فى قوة، قائلاً:

ـ معذرة يا سيّدى .. أنا ورجالى سننفذ كل ما نتلقّاه من أوامر، وفقًا للتقاليد العسكرية، ولمقتضيات واجبنا، الذى تدرّبنا على القيام به، على أكمل وجه ممكن، ولكن هذا لايعنى أن نلقى الرجال وسط جحيم، نجهل كل شىء عنه .. إننا مستعدون لدفع حياتنا ثمنًا لوطننا يا سيّدى، ولبذل كل قطرة دم فى عروقنا، من أجل أمنه وسلامته، ولكن وفقًا للقواعد المنطقية، التى تضمن نجاح مهمتنا، وتمنحنا القدرة على تطوير الهجوم، أو تغيير النظم، لو اقتضت الأحداث هذا، ومن المستحيل أن تمتلك القدرة على هذا، ونحن نفتقر إلى أهم مقومات النجاح..

والتقط نفسًا عميقًا، قبل أن يضيف فى حزم:

ـ المعلومات يا سيّدى.

اشتعلت عينا القائد العسكرى غضبًا ، وانعقد حاجباه فى شدة ، حتى خُيِّل للضابط أنه سينفجر فى وجهه ، إلا أنه فوجئ بملامحه تلين فجأة ، وهو يقول ، دون أن يتخلى عن صرامته العسكرية :

ـ ما الذى تريد معرفته بالضبط أيها الضابط ؟

قال الضابط فى سرعة :

ـ الأساسيات يا سيدى .. عدد الخصوم ، واستعداداتهم القتالية ، و ...

قاطعه القائد العسكرى فى صرامة :

ـ الخصوم فى أدنى حد ممكن ، أما بالنسبة لاستعداداتهم القتالية ، فثق بأنه لن تنطلق رصاصة واحدة .

ارتفع حاجبا الضابط فى دهشة ، وهو يقول :

ـ لماذا إذن نهاجم بثلاث فرق دفعة واحدة ، ما دام خصومنا فى أدنى حد ممكن ، ولا يمتلكون أية أسلحة ؟

أجابه القائد العسكرى ، فى لهجة شديدة الصرامة هذه المرة :

ـ هذه مسألة أمن قومى أيها الضابط ، وليس من حقك أن تعرفها ، ولا من حقى أنا أن أخبرك بها .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد فى حدة :

ـ فهل ستقبل المهمة من هذا المنطلق ، أم أنه علينا أن نسندها إلى ضابط آخر ؟

اعتدل الضابط على الفور ، وأدى التحية العسكرية فى قوة ، وهو يقول :

ـ حياتى فداء لأمن الوطن يا سيدى .

ثم التفت إلى رجال الصاعقة ، هاتفًا فى قوة :

ـ استعد .

راقبهم القائد العسكرى ، وهم يتخذون أماكنهم ، داخل الطائرة الحربية ، التى ستنقلهم إلى موقع الهبوط ، ثم تمتم فى توتر :

ـ وكيف يمكننى أن أخبرك أن خصمكم رجل واحد أيها الضابط ؟ كيف ؟

نطقها والطائرة الحربية تُقلع بالفعل ، نحو الهدف ..

الهدف الذى يقتصر على رجل واحد ..

أو عقل واحد ..

ولكنه يساوى ألف عقل ..

وألف شر ..

على الأقل ..

★ ★ ★

صرخات طفل وليد ترددت فى ذلك المكان ..

مكان تقليدى ، عتيق الطراز ، تشير نتيجة الحائط على جداره ، إلى أنه ينتمى إلى زمن قديم ..

إلى أواخر ستينات القرن العشرين ..

وهناك رجل يجلس على أريكة بسيطة ، خارج الحجرة ، التى تأتى منها صرخات الوليد ..

وفى حيرة ، تلفتت (نشوى) حولها ، وهتفت :

ـ أين نحن بالضبط ؟

ولو شئنا الدقة ، لقلنا إنها أرادت أن تهتف ..

ولكنها لم تفعل ..

أو أن هتافها لم يتجاوز حلقها ..

أو حتى عقلها ..

ولكن الحيرة ملأت كيانها وكيانك ..

فها هى ذى تقف مع رفاقها ، وسط ذلك المكان ، دون أن يشعر الرجل الجالس بوجودهم ، كما لو أنهم مجردُ أشباح غير منظورة ..

والراهب التبتى لم يعد بينهم ..

وعندما تطلّعت إلى وجوه الباقين ، رأتهم يتابعون الموقف مثلها ، فى اهتمام مشوب بالتوتر ..

« طفلك غير عادى »

خرج الطبيب من الحجرة ، وهو يلقى العبارة ، فهبَّ الرجل من مكانه ، وتساءل فى انزعاج :

ـ غير طبيعى ؟ ماذا تعنى ؟

بدت الحيرة على الطبيب ، وهو يجيب :

ـ إنها حالة عجيبة ، لم أر لها مثيلاً ، فى حياتى كلها .. إنها لم ترد حتى ، فى أى مرجع طبى .

كاد الرجل ينهار ، وهو يهتف به :

ـ أية حالة تلك ؟

لوّح الطبيب بذراعيه في الهواء ، وكأنما يبحث عن جواب شاف ، قبل أن يسقط ذراعاه على جانبيه ، وهو يجيب في أسى :

ـ جمجمته ليست طبيعية .. إنها مشقوقة .

ردّد الرجل في ذعر ذاهل :

ـ مشقوقة ؟ هل .. هل وُلِدَ ميتاً ؟

هزّ الطبيب رأسه نفياً ، وقال :

ـ كلا .. المشكلة أنه وُلِدَ حياً .

بدا الرجل مبهوتاً ، وهو يتساءل :

ـ وما المشكلة في هذا ؟

أطلق الطبيب زفرة طويلة ، قبل أن يدفع باب الحجرة ، قائلاً :

ـ أعتقد أنه من الضروري أن ترى بنفسك .

قالها الطبيب ، ودلف إلى الحجرة ، فاندفع الرجل خلفه ، قبل أن يصرخ من الداخل في ارتياع :

ـ لا .. مستحيل ! هذا ليس طفلي .. ليس طفلي .

شعرت (سلوى) بفضول شديد ، لدخول تلك الحجرة ..

علك تريد أن تعرف ما الذي أفزع الرجل إلى هذا الحد ..

ولقد تحركت بالفعل نحو الحجرة ، و ...

ولكن المشهد كله تغير فجأة ..

المكان أصبح قاعة فحص طبية ، انهمك داخلها طبيبان ، في فحص بعض صور الأشعة ، وأحدهما يقول في توتر :

ـ هذا أمر مستحيل ! إنها ليست جمجمة مشقوقة فحسب .. الطفل له مخان ، وليس مخاً واحداً .

هزّ الثاني رأسه ، قائلاً :

ـ هذا غير منطقي ، من الناحية العلمية .. إنه نوع من التحور الجنيني غير المسبوق .. لا بد أن يتم تسجيلها ، في كل المراجع الطبية .. المخان منفصلان تماماً عند قمتيهما ، ثم يمتزجان عند قاعدتيهما ، مع مخيخ واحد ، وحبل شوكي واحد .. ترى ما الذي يمكن أن يُسفر عنه هذا .. أي خلل عقلي يمكن أن يصاب به هذا الطفل في مستقبله ؟

تابع (رمزي) هذا الحوار في اهتمام بالغ ، ودهشة بلا حدود ، وتعلق بصره بصور الأشعة ؛ ليشاهد هذا المخ نصف المزدوج ، الذي لم يتصور وجوده أبداً ..

وحاول أن يلقي سؤالاً ما ..

حاول أن يُشبع نهر الفضول العلمى فى أعماقه ..

وخُيِّل إليه أنه قد ألقى سؤاله بالفعل ، فى نفس اللحظة ، التى قال فيها الطبيب الأوَّل فى حزم :

- هذا الطفل ينبغى أن يخضع للفحص .. الفحص الدقيق ..

كان هذا الحديث ملائمًا تمامًا لسؤال (رمزى) ..

إلا أنه لم يحصل على جواب شافٍ أبدًا ..

فالمشهد انقلب مرة أخرى ، وبدا وكأن المطر ينهمر فى المكان فى غزارة ، أو أنهم يقفون جميعًا فى طريق مظلم ، فى يوم مطير ..

ولكن الأمطار لم تصل إليهم أبدًا ..

وكم أدهش هذا (أكرم) ، الذى تساءل فى أعماقه ، عما فعله بهم ذلك الراهب بالضبط ، عندما أرسلهم فى هذه الرحلة العجيبة ؟

كان الفضول يملأ نفسه ، إلا أنه تابع فى اهتمام الرجل والمرأة ، اللذين يعدوان تحت المطر ، نحو سيارة قديمة ، والرجل يحمل طفلاً رضيعًا ، أحاطه بثوب واقٍ فى إحكام ، وهو يهتف :

- لن يجعلوا من ابنى فأر تجارب .. لن يعذبوه فى حياته أبدًا .. سنغادر المدينة .. سنذهب إلى أى مكان آخر .. سنبدأ حياة جديدة ، حتى لا يعثروا علينا أبدًا ..

سألته زوجته ، بصوت أقرب إلى البكاء :

- وبمَ يُجدى الفرار .. الناس ستضايقنا فى كل مكان نذهب إليه .. ابننا ليس طبيعيًا ، ولا بد أن نعترف بهذا .

هتف بها فى صرامة ، وهو يفتح لها باب السيارة :

- الأطباء أخبرونى أن نمو الشعر سيُخفى شكل الجمجمة المشوَّهة ، أما العينان ، فمنظار طبى يمكن أن يحجب شكلهما المخيف .

قالت فى عصبية :

- أنت تعلم أنها ليست المشكلة الوحيدة .

انعقد حاجباه ، وهو يناولها الطفل ، ويحتلّ مقعد القيادة ، ثم ينطلق بالسيارة ، مكررًا فى عصبية :

- ابنى لن يُصبح أبدًا فأر تجارب .. أبدًا .

وانطلقت السيارة مبتعدة ، لتغيب وسط الظلام والمطر ..

والتقى حاجبا (نور) ، وهو يتساءل : لماذا لا يظهر وجه الطفل أبدًا ؟

لماذا يبقى مجهولاً ؟

لماذا ؟

لماذا ؟

مع تساؤله ؛ تبدّل المشهد مرة أخرى ، ليصبح ساحة مدرسة ..

ساحة يسير فيها طفل ، يوليهم ظهره ..

وحوله التفّت مجموعة من الأطفال المشاغبين ..

كانوا جميعهم يسخرون منه ، ومن ملامحه العجيبة ..

يسخرون ..

ويسخرون ..

ويسخرون ..

ثم تمادى أحدهم ، والتقط حجراً ، ورماه به ..

وارتطم الحجر بمؤخرة رأس الطفل ..

وأسقطه أرضاً ..

وعلى الرغم منها ، شعرت (سلوى) بالأسف من أجله ، وتذكّرت (محمود) الصغير ، وخفق قلبها من أجل كل الأطفال المعذبين فى الأرض ..

أما (نشوى) ، فقد تذكّرت ابنها بدورها ، وسالت الدموع من عينيها فى صمت ، وتمنّت لو أنها استطاعت أن تتدخّل ..

وأن تمد يدها لمساعدته ..

ولكن الطفل نهض فى بطء ..

ثم تجمّد فى مكانه ..

والتقط طفل آخر حجراً ، وهم بإلقائه عليه ، وهو يطلق تعليقاً ساخراً ، و ..

ولكن فجأة ، امتلأت ملامحه بالذعر ..

ليست ملامحه وحدها ، ولكن ملامح الأطفال كلهم ..

ثم انطلقوا يعدون بغتة ، وكأنما أصابهم رعب الدنيا كله ..

ولثوان ، ظلّ الطفل على جموده ..

وظلّ الأطفال على رعبهم ..

ثم تخلّى هو عن جموده فجأة ، وعاد يواصل طريقه فى هدوء ..

وفى هذه المرة ، وقف الأطفال جامدين مبهوتين ، يراقبونه بشىء من الفزع ، وهو يبتعد ..

ويبتعد ..

ويبتعد ..



ثم انطلقوا يعدون بغتة ، وكأنما أصابهم رعب الدنيا كله ..

وكم تمنَّت (مشيرة) لحظتها لو أنها تحمل واحدة ، من آلات تصوير (أنباء الفيديو) ؛ لتسجّل كل ما يدور حولها ..

ولكن المشهد عاد يتبدّل في سرعة ..

أصبح المشهد الآن حديقة داخل كلية جامعية ، وشاب يجلس على أريكة خشبية بسيطة ، ويوليهم ظهره ، في حين تعتدل فتاة إلى جواره ، وهي تهتف في استنكار شديد :

ـ تحبني ؟ أنا ؟ يا لك من وقح !

ثم نهضت بحركة حادة ، صائحة :

ـ ألا تعلم أنك تهينني بهذا ؟ أنا ، الفتاة المثلى في الكلية ، لا يحبني سوى .. سوى .. ماذا أقول بالضبط ؟ إنني أجهل حتى كيف أصف شيئًا مثلك ؟

واستدارت مبتعدة عنه ، فاعتدل في مجلسه ، وارتجف جسده في غضب ، وصرخت الفتاة ، وكأنما أصابتها لكمة في ظهرها .. ثم انطلقت تعدو مبتعدة عنه ، وهي تصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

وتغيّر المشهد في سرعة ، لترى رجلاً يصرخ :

ـ لا .. ليس لدينا عمل لمثلك .

ثم ظهر آخر ، في مشهد مخالف ، يقول في اشمئزاز :

ـ لا .. لا عمل لك هنا .

وظهرت امرأة ، أطلقت صرخة رعب ..

وبعدها تحوّل المشهد إلى الجبال ..

جبال (التبت) ..

وهليكوبتر تنطلق عبرها ، نحو معبد بوذي قديم ، لا يحمل لمحة من لمحات الحياة ، باستثناء الدخان المتصاعد من مدخنة صغيرة ..

وهنا ، بدأ (نور) يركّز على الأحداث ، وذلك الأمر ما زال يُحيّره ..

لماذا لا يظهر وجه خصمهم أبدًا ..

كانت الأحداث تتوالى ، كما لو أنهم يعيشون داخلها ..

التدريبات مع الراهب السابق ..

المواجهة ..

مقتل راهب المعبد البوذي ..

كل المشاهد عاشوها ، كما لو أنهم جزء منها ..

جزء مشاهد ، لا مشارك ..

كانوا وكأنهم يشاهدون عرضًا سينمائيًا كرويًا مجسمًا ..

بل وتضمنتهم شاشته ثلاثية الأبعاد أيضًا ..

وهتف (نور) :

ـ إذن فهذا هو ؟

وفي هذه المرة ، كان هتافه مسموعًا ..

ليس بالنسبة له وحده ..

بل بالنسبة لهم جميعًا ..

وفي نفس اللحظة ، التي أصبح صوته فيها مسموعًا ، اختفت كل المشاهد من حولهم ..

وعادوا إلى ذلك الجناح الطبي المحطّم ..

وهنا فقط ، عاد الراهب للظهور بينهم ..

وفي ذهول تام ، تطلّع كل منهم إلى الآخرين ، قبل أن تهتف (نشوى) ، وهي تلهث في انفعال :

ـ رباه ! هل عشنا جميعًا هذه التجربة ؟

ازدرد (رمزى) لعابه، وهو يغمغم :

ـ بالتأكيد .

وهتفت (مشيرة) مرتجفة :

ـ وماذا كان هذا بالضبط ؟

أجابها (نور) فى سرعة :

ـ رحلة .

التفت إليه الجميع فى دهشة، فتابع فى حزم، وهو يدير عينيه إلى ذلك الراهب التبتى :

ـ رحلة عقلية، انطلقت بنا جميعًا فيها؛ لنستعرض حياة خصمنا الرهيب.. رأينا مولده، ونموه، ومعاناته.. عرفنا أنه طفرة وراثية خاصة، كرهت البشر كلهم، وقررت أن تنتقم منهم .

تساءل (رمزى) فى حيرة :

ـ ولكنه كان يمتلك قوة عقلية فريدة بالفعل، كنتاج فائق لمخه نصف المزدوج، فلماذا احتاج إلى تلك التدريبات الطويلة، فى معبد (التبت) ؟

« قدراته لم تكن تكفى؛ لتنفيذ انتقامه .. »

استدار الجميع إلى الراهب، الذى ظلّ صامتًا ساكنًا، وقال (أكرم) فى غضب شديد :

ـ لذا فقد دربتموه، لتنفيذه على أكمل وجه .. أليس كذلك ؟

« لم نكتشف هدفه عندئذ .. »

استقبلت عقولهم العبارة، التى تغلغلت داخلهم على نحو عجيب، دون أن يحرك الراهب ساكنًا، فتساءل (نور) فى اهتمام :

ـ وكم بقى عندكم .

ولم ينقل الراهب جوابه إلى عقولهم على الفور هذه المرة ..

لقد انتظر لنصف دقيقة كاملة، وكأنما يؤلمه أن يجيب ..

« عشرون عامًا .. »

اتسعت عيون الجميع فى دهشة بالغة، وهتفت (سلوى) :

ـ رباه ! أى مدى يمكن أن يبلغه عقل كهذا، بعد عشرين عامًا من التدريب ؟

أجابها (نور) فى سرعة وحزم، وهو يشير إلى الدمار المحيط بهما :

ـ العدو الذى نواجهه الآن .

هتف (أكرم) بنفس الغضب :

ـ هل تريد إقناعنا أن ذلك الحقير، قد ظل لديكم عشرين عامًا، دون أن تكشفوا أهدافه الحقيقية أبدًا ؟

« نحن نحترم خصوصية بعضنا، ولا يحاول أحدنا قط اختراق عقول الآخرين .. »

أتى الجواب إلى عقولهم سريعًا، ولكن (أكرم) هتف فى غضب :

ـ ألست أبكم يا رجل ؟ ألا يمكنك أن تتحدث مثلنا ؟

أغلق الراهب جفنيه، وجوابه يتسلل إلى عقولهم :

« بل إننى أتحدث ككل البشر .. »

هتف (أكرم) فى حدة :

ـ لماذا لا تتحدث إلينا مباشرة إذن، بدلاً من هذا الأسلوب المستفز .

« لأننى لا أتحدث لغتكم .. »

أدهشهم الجواب العقلى كثيرًا هذه المرة، فتساءلت (مشيرة) فى حيرة شديدة :

ـ أى جواب هذا ؟ إنك تتحدث بلغتنا طوال الوقت .. أعنى عبر عقولنا .

شاركها الجميع تساؤلها فى أعماقهم، ولكن الجواب جاء هادئًا للغاية ..

« هذا ما تتصورونه، ولكن الواقع أن عقلى ينقل إليكم الفكرة فحسب، وعقولكم هى التى تترجمها إلى اللغة التى تفهمونها، وعندما تلقون أسئلتكم بلغتكم، لا يمكننى أن أفهم حرفًا واحدًا مما أسمعه منها، ولكننى أستقى المعنى من عقولكم وحدها .. »

انعقد حاجبا (مشيرة)، وكأنما لم يقنعها الجواب، أو لم يرق لها، فى حين بدت (نشوى) مبهورة، وهى تقول :

ـ رباه ! هذا صحيح تمامًا .. الحوار عبر العقول يلغى كل الحواجز، بين لغات العالم المختلفة .. بل وبيننا وبين أية لغة فى الوجود، فالعقول تخاطب العقول بلغة واحدة، بغض النظر عن اختلاف الألسن .

ولأول مرة منذ رأوه ، ابتسم الراهب ..

ابتسم ابتسامة هادئة ، لم تلبث أن تلاشت سريعًا ..

« هذا تحليل صحيح تمامًا .. »

لم تدرك (نشوى) أن هذه العبارة لم يستقبلها سوى عقلها وحدها ، فهتفت فى لهفة وحماسة :

ـ هل يمكنك أن تعاوننى ، على دراسة هذا الأمر ؟

إنه سيحدث حتمًا ثورة ، فى عالم الاتصالات ، و ..

قاطعها (نور) فى صرامة مفاجئة :

ـ استيقظى يا (نشوى) .

التفتت إليه ، متسائلة فى دهشة عما يعنيه ، فأشار إلى الخراب والدمار من حوله ، مستطردًا :

ـ إننا وسط كارثة ، والوقت لا يناسب الأحلام ، أو طموحات المستقبل ، ولقد رأينا بأنفسنا كيف نشأ خصمنا ، ولماذا يبغض البشر ، ويسعى لتدميرهم ، والسيطرة عليهم ، وما ينبغى أن يدركه الجميع الآن ، هو أن تدمير إدارة الأبحاث قد أوقف بث الموجة المضادة ، التى كانت تصنع

درعًا يحمينا منه ، وهذا يعنى أنه قد استعاد كل سيطرته على الأمور ، وسينطلق الآن كالوحش ، للانتقام منا ، ومن البشر جميعهم .

هبط الوجوم على وجوههم جميعًا ، مع كلماته الأخيرة ، وران عليهم صمت رهيب ، قطعته (مشيرة) فجأة ، وهى تقول :

ليت لدى آلة تصوير الآن ، لتسجيل كل ما يحدث .

التفتت إليها الجميع فى دهشة ، وقال (أكرم) فى عصبية :

ـ (مشيرة) .. ألا يمكنك نسيان عملك أبدًا ؟

اغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تقول :

ـ ولِمَ أنساه ؟ ما دام قد استعاد سيطرته على الأمور ، فسيعاود حتمًا محاولته للقضاء علىّ ، ولن يضيرنى أن أترك خلفى سبقًا صحفيًا يخلد ذكراى .

احتواها (أكرم) بين ذراعيه ، وهو يقول فى حسم حنون :

ـ لن يصل إليك ، إلا على جثتى يا حبيبتى .

أراحت رأسها على صدره ، وتركت دموعها تنسكب عليه ، وهى تقول فى مرارة :

ـ وهل تعتقد أن هذا سيوقفه ؟

« أنا هنا لحمايتكم جميعًا .. »

استقبلت عقولهم القول ، فالتفتوا جميعًا إلى الراهب ، وسأله (نور) فى حزم :

ـ وهل تعتقد أنك قادر على هذا ؟

خُيِّلَ إليه أنه يستقبل تنهيدة خافتة ، نقلت إليه مشاعر الراهب التبتى النحيل ، قبل أن يستقبل جوابه ..

« ربما كانت قواه العقلية تفوقنى كثيرًا ، إلا أننى ما زلت أستطيع منع تأثيراته العقلية عليكم .. إنه شىء أشبه بمنع موجة ما ، من بلوغ الحد اللازم ، للتأثير فيما حولها .. إن عقلى سيمنعه من اختراق عقولكم ، وسيمكنه حمايتكم إلى حدٍ ما .. »

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ وهل يستلزم هذا أن نحافظ على مسافة بعينها ، بيننا وبينك ؟

« إطلاقًا »

جاء الجواب لعقلى سريعًا ، على نحو أراحهم جميعًا ، لولا أن أضاف الراهب التبتى فى هدوء ، عبر اتصاله العقلى بهم ..

« هذا لو استخدم وسائل السيطرة العقلية المباشرة .. »

ارتجفت أجسادهم ، مع المغزى الذى يشير إليه ، وهمّت (سلوى) بإلقاء سؤال ما ، و ...

وفجأة ، انطلق أزيز جهاز الاتصال الخاص ، فى ساعة (نور) ، الذى رفع الساعة إلى فمه على الفور ، وجذب مسماعًا فى طرفها ، ليدسه فى أذنه ، وهو يضغط زر الاتصال ، قائلاً :

ـ المقدّم (نور الدين) .. ماذا هناك ؟

تعقد حاجباه ، وتوترت ملامحه بشدة ، على نحو جعل (أكرم) يهتف به فى توتر بالغ :

ـ ماذا هناك يا (نور) ؟

ولكن (نور) لم يجب سؤاله ..

فما كان يبلغه إياه القائد الأعلى ، كان تطورًا خطيرًا للغاية ، فى حربهم الشرسة مع ذلك الخصم ..

الخصم الرهيب ..

جدًا .

* * *



٨- الهجوم ..

« دقيقة واحدة ، وتبلغ الهدف .. »

ترددت العبارة داخل الطائرة العسكرية ، التى تنقل فرقة الصاعقة المحمولة جوًا ، نحو المنطقة ، التى تم فيها رصد الموجات العقلية الفائقة ، فاعتدل قائد الفرقة ، وهو يقول فى صرامة :

- استعد .

استعدت الفرقة كلها للقفز بالمظلات ، فوق الهدف مباشرة ، وغمغم أحد الجنود ، وهو يتجه مع رفاقه إلى باب القفز :

- لست أصدق أننا سنفعل كل هذا فى قلب (القاهرة) .

همس زميله :

- أما أنا ، فلست أصدق أنهم يستخدموننا ، مع فرقتين أرضيتين ، وثلاث حوامات مقاتلة ، مزودة بالصواريخ الموجهة ، للهجوم على منزل صغير ، وسط ذلك الحى الراقى .

قال ثالث ، وهو يراجع أسلحته :

ـ من يدرى ؟ ربما يضمّ ذلك المنزل بعض الأعداء ، الذين تبلغ خطورتهم الحد الكافى ، لإطلاق كل هذه القوة نحوهم .

ضحك رابع ، قائلاً فى سخرية :

ـ ولكن مع ثلاث فرق من الصاعقة ، وثلاث حوامات مقاتلة ، يمكننا أن نسحق ذلك المنزل سحقاً ، دون أن يدرك قاطنوه حتى أننا فى الجوار .

هتف الأول :

ـ بالضبط .

ألقى قائد الفرقة نظرة ، على شاشة جهاز الرصد العسكرى ، التى تنقل مشهد فرقتى الصاعقة الأرضيتين ، وهما تطوّقان المنزل المنشود ، على نحو متقن ، من الناحية العسكرية ، وتطلّع إلى ساعته ، وهو يرفع يده ، ليطلق إشارة الهجوم ، و ...

وفجأة ، تجمّدت يده فى الهواء ..

وتجمّدت عيناه فى محجريهما ..

وبحركة حادة ، نهض من مكانه ، ورفع فوهة مدفعه الليزرى ، فسأله أحد الجنود فى توتر :

ـ ماذا هناك بالضبط أيها القائد ؟

فوجئ الجنود بذلك الصوت الآلى الرنّان ، الذى انبعث من بين شفتى قائدهم ، وهو يقول فى برود :

ـ المهمة ألغيت ..

وقبل أن يستوعب أحدهم ما يعنيه هذا ، ضغط قائدهم زناد مدفعه الليزرى ، وهو يصوّبه نحوهم ..

وانطلقت خيوط الأشعة القاتلة ، تحصد الجنود ..

وتفجّرت الدماء ..

وتفجّرت ..

وتفجّرت ..

وجذب بعض الجنود أزندة مدافعهم الليزرية ..

وانطلقت خيوط أشعة أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

واخترقت أشعة الليزر جسد القائد ..

اخترقت صدره ..

ومعدته ..

وساقيه ..

وعلى الرغم من الدماء ، التى تدفقت من جسده فى غزارة ، واصل مدفعه الليزرى إطلاق أشعته نحوهم ..

وواصل حصدهم حصداً ..

وواصل من تبقّى منهم إطلاق الأشعة نحوه ..

ومع ذعره لما يحدث ، صرخ قائد طائرة نقل الجنود ، عبر جهاز الاتصال :

ـ الجميع أصابهم الجنون .. إنهم يقتلون بعضهم داخل الطائرة ..

لم يكد يتم صرخته ، حتى اقتحم قائد الجنود كابينة القيادة ، والدماء تغرق جسده كله ، وملامحه تبدو مخيفة رهيبة ، مع عينيه الزائغتين ، ونظراته المضطربة ، فهتف قائد الطائرة فى رعب :

ـ ما .. ماذا حدث ؟

أجابه القائد ، بنفس الصوت الآلى الرنان :

ـ المهمة ألغيت .

اتسعت عينا قائد الطائرة ، وهو يحدّق فيه بكل رعب الدنيا ، وفى فوهة المدفع الليزرى ، التى ارتفعت نحو رأسه ، وصرخ فى ارتياع بلغ ذروته :

ـ لا .. لن يمكنك أن تطلق النار علىّ .. لا أحد يمكنه قيادة مثل هذه الطائرة سواى .. لا ..

ولكن قائد الجنود لم يسمعه ..

لقد نفذ الأمر ، الذى سيطر على عقله تماماً ، وضغط زناد مدفعه الليزرى فى آلية ..

وانطلقت الأشعة ..

انطلقت تنسف رأس قائد الطائرة ، التى اختلّ توازنها دفعة واحدة ، مع غياب قائدها ، فمالت جانبًا فى عنف ، ثم انحدرت إلى أسفل ، واندفعت بسرعة مخيفة نحو المنطقة السكنية الراقية ..

وعلى الرغم من سرعة الهبوط الرهيبة ، خفض قائد الجنود فوهة مدفعه الليزرى فى هدوء آلى ، ووقف جامد النظرات ، ينتظر مصيره المحتوم ..

وأمام عيون قادة الحوامات المقاتلة الثلاث ، وجنود فرقتى الصاعقة الأرضيتين ، هوت ناقلة الجنود ، لترتطم بواحدة من الفيلات الفاخرة ، فى ذلك الحى الراقى ، وتنفجر بدوى رهيب ، ارتجت له المنطقة كلها ، بمنتهى العنف ..

ومع الانفجار ، الذى أيقظ المنطقة كلها ، والمناطق المجاورة أيضًا ، انطلقت موجة عقلية رهيبة ، لتكتسح أمامها كل شىء ..

وتحمل للجنود مجموعة جديدة من الأوامر ..

الأوامر الرهيبة ..

وتجمدت عيون رجال فرقتى الصاعقة فجأة ..

ثم ارتفعت فوهات مدافعهم الليزرية ..

وبدأت عملية الانقضاض العسكرى ، على أعنف نحو ممكن ..

ولكن ليس على الهدف المنشود ..

وعلى شاشة جهاز الرصد ، المتصلة بالأقمار الصناعية مباشرة ، شاهد القائد العسكرى الذاهل ، ووزير الدفاع شخصيًا ، معركة تصادمية رهيبة(*) ..

(*) المعركة التصادمية : هى الحرب التى يتواجه فيها الخصوم ، على أرض المعركة المفتوحة ، وجهًا لوجه ، فى قتال مباشر عنيف .

فرقتا الصاعقة انقضت إحداهما على الأخرى ، بمنتهى العنف والشراسة ، وراحت مدافعهما الليزرية تحصد بعضهما البعض بلا رحمة ..

وبلا تمييز ..

وفى ارتياع ، هتف وزير الدفاع :

- رباه ! هذا جنون مطبق .. ماذا يحدث يا رجل ؟ أى قتال شيطانى هذا ، الذى ورّطتنا فيه .

هزّ القائد العسكرى رأسه فى ذهول ، قائلاً :

- لست أدرى .. حقًا لست أدرى ..

استعاد ذهنه ، فى هذه اللحظة ، تلك الخطة التى وضعها (نور) ؛ للسيطرة على الموقف كله ، قبل أن يبدأ الهجوم المباشر ، وتصاعدت موجة رهيبة من الغضب والسخط فى أعماقه ، وبدا له وكأن ما يحدث ، على أرض المعركة ، هو إهانة شخصية له ، فالتقط جهاز الاتصال بحركة حادة ، وضغط أزرار البث ، الخاصة بالحوامات المقاتلة الثلاث ، ليهتف فى عصبية :

- من القائد إلى (صقر - ١) ، و(صقر - ٢) و(صقر - ٣) .. أطلقوا صواريخكم نحو منطقة الهدف مباشرة .. الآن .

صاح به وزير الدفاع :

ـ هل جننت يا رجل ؟ هل تعلم ما الذى يمكن أن تفعله كل هذه الصواريخ ، فى حىٍّ سكنى كهذا ؟ إنها ستسحقه سحقًا .. لن يتبقَّى منه حتى ما يكفى لملء حفنة يد .

صاح القائد العسكرى ، فى عصبية جنونية :

ـ لم يعد لدينا خيار .. إنه يعلم الآن أننا قد أطلقنا قواتنا نحوه ، ولو بقى على قيد الحياة سيقتلنا حتمًا .. وبلا أدنى رحمة .. ما أفعله هو أملنا الوحيد فى الحياة .

أشار وزير الدفاع إلى شاشة الرصد ، هاتفًا فى حدة :

ـ ولكن حوّاماتنا لم تستجب لأوامرك .. ألم تنتبه إلى هذا ؟

واتسعت عينا القائد العسكرى عن آخرهما ، وهو يحدّق فى شاشة الرصد ، التى تنقل صورة الحوّامات المقاتلة الثلاث ، التى استدارت فى الهواء ، وانطلقت مبتعدة عن منطقة القتال ، فضغط زر الاتصال مرة أخرى ، وهو يهتف بتوتر عنيف :

ـ من القائد إلى الصقور .. إلى أين تذهبون ؟ ولماذا لم يتم تنفيذ الأوامر ؟ المفترض أنه لديكم مهمة محدودة ؟

واتسعت عينا وزير الدفاع عن آخرهما ، فى حين انتفض جسد القائد العسكرى فى عنف ، عندما انبعث من جهاز الاتصال الخاص ، صوت مخيف ..

صوت رنّان جاف ، أشار الكمبيوتر إلى أنه يأتى من قائد الحوّامة (صقر ـ ٣) ، وهو يقول :

ـ المهمة ألغيت .

اتسعت عينا وزير الدفاع أكثر ، وبدا القائد العسكرى مذعورًا ، وكلاهما يتطلّع إلى الآخر ذاهلاً ..

ثم جاء ذلك الصوت المماثل ، من (صقر ـ ١) ..

جاء ليقول ، على نحو مخيف :

ـ لدينا الآن مهمة جديدة .

وأضاف صوت مطابق ، من (صقر ـ ٢) :

ـ مهمة حاسمة .

وسرت قشعريرة باردة كالثلج ، فى جسدى الرجلين ..

وتجمدت أطرافهما فى ارتياع ..

وبصعوبة بالغة، انتزع وزير الدفاع نفسه من ذهوله وارتياعه، وضغط زر الاتصال، قائلاً:

- أية مهمة جديدة؟

ولم يتلق جوابًا هذه المرة..

ليس هذا فحسب، ولكن الكمبيوتر أعلن أن قادة الحوامات الثلاث قد أوقفوا الاتصالات تمامًا..

وبكل عصبية الدنيا، قال وزير الدفاع، وهو يلتقط جهاز الاتصال الذي يوصله مباشرة بكل أفرع الجيش، وضغط أزراره في سرعة، قبل أن يهتف في صرامة عصبية:

- أنا الوزير.. اسمعني جيدًا يا قائد الدفاع الجوي.. لدينا ثلاث حوامات مقاتلة، خرجت عن السيطرة، ونفترض أنها قد تهاجم أهدافًا حيوية، ولا بد من إسقاطها فورًا.. إنها (صقر - ١) و(صقر - ٢)، و(صقر - ٣)، وشفراتها الإليكترونية الرقمية هي..

بتر عبارته مرة أخرى، قبل أن تتسع عيناه عن آخرهما، وهو يهتف في ذهول مذعور:

- ماذا تقول؟ هذا مستحيل يا رجل!

انتفض جسد القائد العسكري، وهو يهتف به:

- ماذا حدث يا سيادة الوزير؟

رفع الوزير إليه عينين زائغتين، وهو يقول في ذعر:

- كارثة.. كارثة رهيبة..

وهوى قلب القائد العسكري بين قدميه..

بعنف..

* * *

بدا القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية شديد التوتر والعصبية، وهو يشير إلى شاشة راصده، قائلاً:

- حرب طاحنة، في قلب أرقى أحياء العاصمة يا (نور).. إنه أمر لم يحدث في تاريخنا قط.. إننا نواجه قوة هائلة أيها المقدّم.. قوة نعجز بكل قوتنا وإمكانياتنا عن التصدّي لها.

كان (نور) يشعر بسخط شديد لما يراه، حتى إنه عضّ شفته السفلى، وهو يقول:

- كان ينبغي أن يتريّثوا.. كان ينبغي أن يتبعوا الخطة.

أشار القائد الأعلى بيده، قائلاً في توتر:

ـ ولكنهم لم يتبعوها أيها المقدّم ، والأمور تدهورت على نحو مخيف ، يذكرنى بما حدث إبان الاحتلال(*) .. لابد أن نجد وسيلة لحسم الأمر .. وبأى ثمن .

هزّ (نور) رأسه فى مرارة ، قائلاً :

ـ تسرُّع العسكريين أضاع منا فرصة نادرة يا سيّدى .

جلس القائد الأعلى على مكتبه ، ولوّح بيده ، قائلاً فى توتر :

ـ المشكلة أننا لا نعرف حتى كيف نواجه هذا الخطر أيها المقدّم .. كيف نواجه عقلاً جباراً يمكن أن يدير كل الأمور من حولنا ، دون أن يمكننا منعه أو تحجيمه ؟

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ هناك حتماً وسيلة ما يا سيّدى .. الله (سبحانه وتعالى) جعل لكل داء دواء ، ولكل مشكلة حل ..

زفر القائد الأعلى فى مرارة ، قائلاً :

ـ ليت لدى نصف تفاؤلك يا (نور) .

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ إنه ليس تفاؤلاً محضاً يا سيّدى ، بل حسابات عقلية ومنطقية .. وإيمانية أيضاً ؛ فلست أتصور أن توافق ظهور ذلك الخصم الرهيب ، مع اختراع علمائنا لجهاز بث والتقاط الموجات بالغة القصر ، مجرّد مصادفة بحتة ، كما أن وصول ذلك الراهب التبتى إلينا ، ليس عشوائياً أيضاً .. إنه تصريف إلهى للأمور .. وسيلة من الخالق (عزّ وجلّ) ؛ لإحداث التوازن المطلوب .

زفر القائد الأعلى مرة أخرى ، وقال فى مرارة :

ـ لو أن الله (سبحانه وتعالى) لا يريد لنا الهزيمة ، لما حدث هذا الأمر من الأساس يا (نور) .

هزّ (نور) رأسه نفياً ، وهو يقول :

ـ معذرة يا سيّدى ، ولكننى لا أتفق مع منطقك هذا ، فى رؤية الأمور ، وإلا ما كنا ندعو دوماً بقولنا : « اللهم إنى لا أسألك رد القضاء ، ولكننى أسألك اللطف فيه » .. فالعبارة تعنى أننا سنواجه قدرنا دوماً يا سيّدى ، ولكن الله (سبحانه وتعالى) سيعمل على تخفيفه عنا .

اعتدل القائد الأعلى ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـ وهل يبدو لك ما حولنا تخفيفاً يا (نور) ؟

أجاب (نور) فى قوة وحزم :

ـ لو علمنا الغيب ، لاخترنا الواقع يا سيدى .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وهو يتطلع إليه بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ الواقع أنك شخصية نادرة بالفعل يا (نور) .. لست مقاتلاً صنديداً ، متحرياً عبقرياً ، وقائداً عظيماً فحسب ، ولكنك أيضاً شديد الإيمان بالله (عز وجل) ، وشديد الارتباط بدينك وعقيدتك ، دون إسراف أو تقتير .. وهذه الصفة الأخيرة بالذات ، تبدو لى وكأنها المفتاح الحقيقى ، لكل ما تحققه من نجاحات .

*

تخضب وجه (نور) بحمرة الخجل ، وهو يغمغم :

ـ يسعدنى أن هذا رأيك يا سيدى .

قال القائد الأعلى فى إعجاب :

ـ أضف إلى كل هذا بساطتك وتواضعك الشديدين ، و ..

قاطعه فجأة أزيز جهاز الرصد والاتصال ، فاعتدل بحركة حادة ، يتطلع إلى شاشة الرصد ، التى انبعث منها صوت آلى ، يقول :

ـ ثلاث حوامات تحلق فى سماء (القاهرة الجديدة) ، دون أن تستجيب إلى أية محاولة للاتصال أو التواصل .

كان هذا هو أحدث تقرير إليكترونى مباشر ، لمكتب القائد الأعلى ، الذى قال فى توتر :

ـ ثلاث حوامات ؟ ما الذى يمكن أن يعنيه هذا بالضبط ؟

أشار إليه (نور) ، قائلاً فى اهتمام :

ـ ترى أكانت تلك الحوامات الثلاث مشاركة ، فى عملية الانقضاض الفاشلة على الخصم ؟

ضغط القائد الأعلى أزرار الكمبيوتر ، المتصل بشاشة الرصد المباشر ، قبل أن يجيب فى توتر :

ـ هذا صحيح .. كيف استنتجت هذا يا (نور) .

انتقل التوتر ، من جسد (نور) إلى لسانه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ إنه يسيطر عليها .

اتسعت عينا القائد الأعلى عن آخرهما ، وهو يهتف :

ـ رباه ! أهذا ممكن ؟



ضغط القائد الأعلى أزرار الكمبيوتر ، المتصل بشاشة الرصد الباشر ..

قال (نور) بنفس الصرامة المتوترة :

- ليس هناك تفسير آخر .. قادة الحوامات مجرد بشر ، يمكنه أن يسيطر على عقولهم ، كما فعل مع فرقتي الصاعقة ، اللتين تسحقان بعضهما أمام عيوننا ، ونحن عاجزون عن إنقاذهما ، بعد أن خسرنا كل شيء ..

ضغط القائد الأعلى أزرار شاشة الرصد ، التي نقلت على الفور صورة الحوامات الثلاث المقاتلة ، وهي تحلق في سماء (القاهرة الجديدة) ، وصواريخها الموجهة مستعدة للانطلاق نحو هدف جديد ..

هدف حيوي للغاية ..

وبكل دهشته واستنكاره ، هتف القائد الأعلى :

- ولكن أين وسائل الدفاع الجوي الرقمية ؟ لماذا تركتها تحلق في السماء على هذا النحو .

قالها ، وضغط أزرار جهاز اتصاله الخاص ، قبل أن يهتف عبره في حدة وتوتر :

- ماذا يحدث بالضبط يا وزير الدفاع .. ثلاث حوامات مقاتلة ، مزودة بأحدث الصواريخ ، التي يتم توجيهها ، عبر

الأقمار الصناعية ، تعربد في سماء العاصمة ، دون أن تتصدى لها وسائل الدفاع الجوى الرقمية ؟ أية سياسة عبثية تلك ، التي تتبعونها في الدفاع عن العاصمة ، التي تضمّ كل الـ ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يستمع إلى الوزير ، قبل أن يهتف :

ـ مستحيل ! كلانا يعلم أنه من المستحيل إيقاف عمل وسائل الدفاع الجوى ، حتى ولو ...

بتر عبارته مرة أخرى ، وعيناه تتسعان أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وبمنتهى الشدة ، انعقد حاجبا (نور) ، حتى كادا يخترقان جبهته ، مع إدراكه لما حدث ..

خصمهم الرهيب سيطر على عقول رجال الصاعقة ، وقادة الحوّامات المقاتلة الثلاث ..

وقدرته المدهشة ، على إيقاف الأجهزة الإليكترونية ، شلّت وسائل الدفاع الجوى تماماً ..

وهذا يعنى ، بالتعبير العسكرى ، أنه قد سيطر على سماء المعركة ..

الآن يمكنه أن يوجّه صواريخه إلى أى هدف يشاء ..

أى هدف ..

كان القائد الأعلى يهتف في توتر :

ـ فلتخرج طائرات مقاتلة لمواجهتها إذن .. نعم .. نسفها في سماء العاصمة بكل ما سيحدثه من فزع وهلع ، أقلّ ضرراً من أن تظفر بأى هدف حيوى .

انطلق عقل (نور) يعمل بكل قوته ، وهو يستعرض كل ما حدث منذ البداية ، محاولاً استنباط الهدف ، الذى يطلق نحوه خصمهم الرهيب تلك الحوّامات الثلاث المقاتلة ، التى سيطر على عقول قادتها تماماً ..

أما القائد الأعلى ، فقد بدا شديد العصبية ، وهو يهتف ، عبر جهاز الاتصال الخاص :

ـ نعم .. لو تركناه ، يمكنه أن يظفر بأى هدف يشاء .. حتى القصر الجمهورى نفسه ..

ثم هزّ رأسه في شدة ، مواصلاً :

- نعم .. أنا أدرك أنه من الصعب تصور أن خصمنا مجرد شخص واحد ، ولكن هذه هى الحقيقة .. إنه شخص واحد ، ولكنه شخص قادر على تحطيمنا ، والسيطرة علينا جميعًا .. بل وربما السيطرة على العالم كله ، هذا يتوقف على توجيهات عقله الوحشى المريض ، و ..

قاطعه (نور) ، وهو يهتف فجأة :

- الأقمار الصناعية يا سيدى .

رفع القائد الأعلى عينيه إليه فى تساؤل ، فتابع فى انفعال :

- الحوامات موجهة بوساطة أقمارنا الصناعية ، وكذلك الصواريخ ، ولو أننا قطعنا تلك الصلة ، بينها وبين الأقمار الصناعية ، لن يمكنها تحديد اتجاهها ، أو تصويب أسلحتها .

هتف القائد الأعلى فى حماسة :

- فكرة عبقرية يا (نور) .

وبسرعة نقل الفكرة إلى وزير الدفاع ، فقال هذا الأخير فى مرارة ، عبر جهاز الاتصال الخاص :

- الفكرة ذاتها خطرت لطاقم مساعدىّ ، أيها القائد الأعلى ، ولكننا عجزنا عن وضعها موضع التنفيذ .

وعلى الرغم من أن القائد الأعلى قد استنتج السبب ، إلا أنه سأل فى توتر بالغ :

- ولماذا ؟

أجابه الوزير ، فى مرارة أكثر :

- لقد فقدنا سيطرتنا على الأقمار الصناعية أيضًا .

تراجع القائد الأعلى كالمصعوق ، وهو يهتف :

- مستحيل !

لم يكد يطلق هتافه ، حتى قال (نور) فى حزم ، وهو يندفع نحو الباب :

- لقد عرفت أى هدف انتخب ، لتوجيه ضربته القادمة .

هتف به القائد الأعلى :

- أى هدف يا (نور) ؟ أى هدف ؟

ولكن (نور) لم يسمعه ..

لقد أدرك طبيعة الهدف ..

وخطورته ..

بالنسبة إليه على الأقل ..

لذا فقد انطلق يعدو نحوه ، بأقصى سرعته وقوته ..

أما القائد الأعلى ، فقد انبعث من شاشته الراصدة صوت آلى ، يقول :

ـ ثلاث حوّامات تتجه نحونا .. لا استجابة للتحذير .. الحوّامات اخترقت المجال الجوى المحظور ، لإدارة المخابرات العلمية بالفعل .. وسائل الدفاع الجوى كلها لا تستجيب .. الهجوم متوقّع ، خلال ست ثوان فحسب ..

اتسعت عينا القائد الأعلى عن آخرهما ، مع بدء العد التنازلى للهجوم ..

ستة ..

خمسة ..

أربعة ..

وعلى الرغم من أن (نور) لم يعرف الزمن

المتبقى ، فقد انطلق يعدو ، فى محاولة للعودة إلى حطام إدارة الأبحاث العلمية ، حيث بقى رفاقه مع الراهب التبتى ..

ثلاثة ..

اثنان ..

وفى تنسيق قتالى بارع ، حاصرت الحوّامات المقاتلة الثلاث مبنى المخابرات العلمية ، وبقايا مبنى الأبحاث ..

وعبر عقول قادتها ، صدر الأمر ..

الأمر بالهجوم ..

واحد ..

صفر ..

ودون أدنى تردد أو مقاومة ، ضغط قادة الحوّامات الثلاث أزرار الإطلاق فى حوّاماتهم ..

وانطلقت الصواريخ ، الموجّهة بوساطة إحداثيات الأقمار الصناعية نحو أهدافها ..

ولأن نسبة الخطأ ، فى نظام كهذا ، لاتتجاوز ثلاثة فى كل ألف ، فقد أصابت الصواريخ أهدافها بمنتهى الدقة ..

ودوت انفجارات رهيبة ..

رهيبة إلى أقصى قدر يمكن تصوره .

وفى هذه المرة ، كان الدمار كاسحًا شاملاً ..

بحق .

* * *

انتهى الجزء الثالث بحمد الله

ويليه الجزء الرابع بإذن الله

(البقعة المظلمة)

روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جداً !!

د. نبيل فاروق

146

البقعة المظلمة


Looloo
www.dvd4arab.com

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ قلب الظلام ..

انتقلت إشارة اتصال رقمية قوية ، بين سلسلة الأقمار الصناعية الإعلامية ، المحيطة بكوكب الأرض ، لتربط شبكة الإعلام الدولية بعضها ببعض ، فى نفس الوقت الذى التف فيه سكان الكوكب كله تقريبًا ، حول أجهزة التليفزيون المجسمة ، التى حملت كلها إشارة واضحة ، استعدادًا لبث خبر جديد بالغ الأهمية والخطورة ، من خلال بث عالمى مباشر ..

وفى قلوب وعقول مليارات المشاهدين فى كافة أنحاء الأرض ، تولدت تساؤلات قلقة مذعورة ، حول ذلك الخبر المنتظر الذى حظى بكل هذا الاهتمام العالمى البالغ ، وربما لأول مرة ، فى العقد الثانى من القرن الحادى والعشرين ..

والعجيب أن الغالبية العظمى من الأذهان قد اتجهت إلى فكرة واحدة مخيفة ..

الاحتلال ..

فعلى الرغم من أن الأرض تنعم بأزهى عصور حريتها ، لم تكن ذكرى الاحتلال القديم قد فارقت الأذهان ، والعقول ، والقلوب بعد(*) ..

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

وكان الكل يرتجف ، من مجرد احتمال تكرار هذا ..

على أى نحو كان ..

لذا فقد ظلت العقول خائفة ، وجلة ، ترتجف ، وتنتظر ..

وتنتظر ..

وتنتظر ..

ثم فجأة ، ظهر وجه إعلامى شهير ، على كل الشاشات ، فى كافة أنحاء العالم ، وتولت أجهزة الترجمة الإليكترونية الفورية نقل كلماته ، بكل لغات الدنيا ، فى آن واحد ، وهو يقول :

ـ أخبار خطيرة للغاية ، من (مصر) أيها السادة .

الجملة الأولى وحدها ، أسقطت القلوب بين الأقدام ، فى حين تابع هو ، بلهجة تشف عن مدى خطورة الموقف :

ـ فى تطور لا مثيل له ، قامت ثلاث من مقاتلات القوات الجوية المصرية ، بالهجوم على مبنى المخابرات العلمية ، فى (القاهرة) الجديدة ، ونسفته بالصواريخ الموجهة بالليزر ، فى أعنف هجوم تشاهده مدينة معاصرة ، منذ رحيل غزاة الفضاء .

تصاعد رعب المشاهدين إلى أقصى حد ، والرجل يواصل فى توتر :

ـ حدث هذا عقب هجوم غير مفهوم ، على أحد أرقى أحياء العاصمة المصرية ، بوساطة فرق من قوات الصاعقة ، التى اشتبكت فيما بينها ، وقامت بتدمير مساحة واسعة ، جعلت المعلقين يميلون إلى حدوث انقلاب عسكرى مفاجئ ، لولا أن المقاتلات الثلاث قد عادت إلى قواعدها ، فور هجومها الساحق على المخابرات العلمية المصرية ، ومركز الأبحاث التابع لها ، وقام قادتها بتسليم أنفسهم إلى القيادة ، معلنين أنهم لم يقصدوا ما فعلوه أبدًا ، وطالبوا بمحاكمتهم عسكريًا ، على نحو أثار ألف علامة استفهام ، حول ما حدث فى قلب العاصمة المصرية ، التى لم يصدر عنها بيان رسمى ـ حتى هذه اللحظة ـ على الرغم من أن كل رموز الحكم مازالت فى مراكزها ، وتحظى بالتأييد الشعبى والسياسى ، والعسكرى أيضًا .

نقلت كلماته حيرة بلا حدود ، إلى قلوب وعقول المشاهدين ، فى كافة أنحاء الأرض ، وضاعفت من قلقهم وخوفهم المبهم ، فى حين اعتدل هو ، فى وقفة ثابتة ، وقال فى قوة ، لم تخل من ذلك التوتر ، الذى يملأ كل ذرة فى كيانه :

ـ السؤال الآن هو : ما الذى يحدث هناك ، فى (القاهرة) الجديدة ؟! وما تفسير ذلك العنف المخيف ؟! هذه أسئلتنا ، ولكن الأجوبة لم تتوافر لنا هنا ، وإن كنا واثقين من أنها معروفة هناك .. فى (مصر) .

انطلقت زفرة قوية ، من صدر رئيس الجمهورية المصرى ، عندما بلغ الرجل هذه النهاية ، وأشار إلى وزير الدفاع ، قائلاً فى توتر :

ـ الكل يتصوَّر أن لدينا أجوبة لما يحدث ؟!

هزّ وزير الدفاع رأسه ، قائلاً :

ـ لا أحد يمكن أن يتخيَّل أننا نسعى للحصول عليها ، بكل ما فى طاقتنا ، وخاصة مع هذه التطورات الرهيبة ، التى لو تواصلت ، على النحو نفسه ، لأصبحنا مضطرين للاستسلام رسمياً .

زفر الرئيس مرة أخرى ، ونهض من خلف مكتبه ، ولوَّح بيده ، وهو يقول :

ـ مازلت أعجز عن تصديق أن خصمنا مجرَّد رجل واحد ، يقولون إن باستطاعتنا تحديد موقعه ، ولكننا لانستطيع حتى الوصول إليه ، بكل ما لدينا من قدرات عسكرية وتكنولوجية ،

فما بالك بالانتصار عليه .. رباه ! هذا يبدو أشبه بالكابوس !

تمتم وزير الدفاع :

ـ بل الكابوس ينتهى باستيقاظ المرء ، وخروجه منه يا سيادة الرئيس ، أما ما نواجهه ، فهو كارثة .. كارثة حقيقية .

أشار الرئيس بيده ، وهو يسير فى مكتبه ، قائلاً :

ـ دعنا نراجع الموقف كله ، منذ بدأت هذه الأحداث الرهيبة ، عندما تلقَّى رجل الأعمال (شريف صابر) ذلك التهديد ، الذى انتهى به إلى الانتحار ، أمام عدسات المصورين ، وعيون رجال الشرطة والإعلام .

غمغم وزير الدفاع :

ـ كانت هذه مجرَّد بداية .

وافقه الرئيس بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ نعم .. وبعدها كشفنا أننا أمام خصم رهيب ، يمتلك عقلاً جبارًا ، قادرًا على السيطرة على كل شىء .. وأى شىء .. عقل أمكنه أن يهزم أقوى فريق علمى لدينا .. فريق المقدَّم (نور الدين) .

أشار وزير الدفاع بسبابته ، قائلاً في حزم :

- لانستطيع أن نقول : إنه قد هزمهم بعد ياسيادة الرئيس ؛ فقد قاوموه باستماتة ، ووجدوا أكثر من سبيل لمواجهته .. بل وكادوا ينتصرون عليه أيضًا ، بمساعدة ذلك الراهب التبتي النحيل ، الذي انضم إليهم ، وقلب الأحداث كلها رأسًا على عقب .

هزّ الرئيس رأسه ، قائلاً :

- ثم ماذا ؟! صحيح أنه أنقذهم من موت محقق ، عندما دفع ذلك العقل الشيطاني أحد خبراء المتفجرات لدينا ، لينسف مبنى إدارة الأبحاث العلمية ، على الرغم من استحالة هذا عمليًا وعلميًا ، إلا أنه وهم تحت الأنقاض الآن ، بعد ذلك الهجوم الرهيب ، الذي دفع خصمنا مقاتلاتنا لشنّه ، بمنتهى القسوة والعنف ، على مبنى المخابرات العلمية ، وما تبقى من مبنى إدارة الأبحاث(*) ..

جاء دور وزير الدفاع ، ليطلق زفرة ملتهبة ، من أعماق صدره ، قبل أن يقول في أسى :

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الأجزاء الثلاثة الأولى : (بلا جسد) ، (العقل) ، و(الخصم الرهيب) المغامرات أرقام (١٤٣) ، (١٤٤) ، (١٤٥) .

- هذا صحيح .. للأسف .

وأطلق زفرة أخرى ، قبل أن يتابع في مرارة :

- ذلك الهجوم الأخير كان أعنف مما توقعنا ، وأسرع من كل تصوراتنا ، حتى إن أحدًا لم يجد الوقت الكافي ، لاتخاذ الخطوات اللازمة ، قبل أن ينهدم المكان ، فوق رءوس الجميع .

سأله الرئيس ، في مزيج من القلق والاهتمام :

- أليس من المفترض أن الطابق تحت الأرض ، الذي يضم مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، محصّن ضد أي هجوم عنيف .

وافقه وزير الدفاع بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

- طابق القيادة محصن ضد هجوم بالقنابل النووية ، وهذا يرجّح بقاء القائد الأعلى ، وطاقم القيادة الرئيسي على قيد الحياة ، إلا أن الاتصالات كلها قد انقطعت تمامًا بالمبنى الأساسي ، وكل المباني المحيطة به ، ورجال الإنقاذ يشقون طريقهم الآن إلى داخله ، في محاولة لإنقاذ كل من يمكن إنقاذه .

هزّ الرئيس رأسه في توتر ، مغمغمًا :

- من الواضح أن الأمر بالغ الخطورة ، حتى إنني أتساءل : تُرى ما الخطوة التالية .

سأله وزير الدفاع فى حذر :

ـ من جانبنا ، أم من جانبه ؟!

بدا الأسف على وجه الرئيس ، وفى نبرات صوته ، وهو يقول :

ـ من جانبه بالطبع ، فلم يعد ما نفعله سوى ردود أفعال ، لما يواجهنا هو به .

لم يكد الرئيس يتم عبارته ، حتى اهتزت صورة الإعلامى الشهير ، على كل شاشات البث ، فى كافة أنحاء العالم ، ثم امتزجت بصورة أخرى ، لوجه غارق فى ظلام رهيب ، على نحو ارتجفت له قلوب المشاهدين ، فى أركان الدنيا الأربعة ، فى حين اتسعت عينا وزير الدفاع المصرى ، وهو يهتف :

ـ رباه ! ما هذا بالضبط ؟!

أدار رئيس الجمهورية عينيه فى سرعة ، إلى حيث ينظر الوزير ، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة وتوتر ، مع ذلك الصوت العميق الرهيب ، الذى انبعث من الشاشة المجسمة ، والذى ترجمته الآلات الإليكترونية الفورية ، إلى كل لغات العالم ، وهو يقول :

ـ ما حدث فى (مصر) مجرد مثال بسيط .

هتف وزير الدفاع ، فى انفعال جارف :

ـ إنه هو !!

استوقفه الرئيس بإشارة صارمة حازمة من يده ، وهو يستمع إلى ذلك الصوت شبه الآلى ، وهو يتابع فى لهجة مخيفة ، بثت رعبًا مبهمًا رهيبًا ، فى قلوب الجميع :

ـ مثال لما يمكننى أن أفعله بكم ، فى كل مكان من العالم .

خيل للكل أن صورته تتحرك على الشاشات المسطحة والمجسمة ، على نحو عجيب ، فى حين تدور الخلفية المظلمة لها ، كما لو أنها دوامة مهيبة ، وهو يتابع فى عمق مخيف :

ـ يمكننى أن أحيل حياتكم إلى جحيم .. جحيم متصل ، لا ينتهى ولا ينقطع أبدًا .. جحيم لا سبيل لتفاديه ، أو الخروج منه ، سوى إجراء واحد .

وتضاعف دوران الدوامة المظلمة ، على نحو رهيب ، وهو يضيف :

ـ الاستسلام .. الاستسلام التام ، دون قيد أو شرط .

ومع آخر حروف كلماته ، التى حملت قدرًا رهيبًا من الشراسة ،

والوحشية ، والعنف بلا حدود ، دون فرقعة مكتومة ، رددتها شاشات البث ، فى كل أنحاء العالم ، على نحو جعلها أشبه بفرقعة فضائية مخيفة ..

ثم تلاشت الصورة دفعة واحدة ..

وعاد وجه الإعلامى الشهير يحتل الشاشات ، وينتقل عبر شبكة الاتصالات الإعلامية الدولية ..

ولكن بعد أن أفصح الخصم الرهيب عن هدفه الرئيسى ..

السيطرة على العالم كله ..

بلا حدود ..

* * *

« أين نحن بالضبط ؟! » ..

نطقت (سلوى) العبارة ، بكلمات مرتجفة مذعورة ، وهى تتلفت حولها فى فزع ، محاولة اختراق ذلك الظلام الدامس الرهيب ، المحيط بها وبرفاقها ، من كل جانب ..

كان الكل مجتمعًا ، داخل ما يشبه فقاعة من الضوء الخافت ، تسبح وسط بحر من ظلام دامس ، لا تخترقه لمحة واحدة من الضوء ، على نحو يستحيل حدوثه ، وفقًا لكل المقاييس والمعايير العلمية المعروفة ..

والكل كان يجمعهم ذهول مهيب ، مع ما يشعرون به ، داخل ذلك المكان ، الذى يجهلون هويته تمامًا ..

(مشيرة) احتضنت زوجها (أكرم) ، بكل رعب الدنيا ، وجسدها يرتجف كطائر مبتل ، فى ليلة قارسة البرودة ..

و(نشوى) التصقت بزوجها (رمزى) ، الذى تلفت حوله فى عصبية ، وألف ألف سؤال يعربد فى رأسه ..

أما (نور) ، فقد ضمّ زوجته (سلوى) إليه ، وكأنما يحاول حمايتها من خطر مجهول مبهم ، فى حين هتف الدكتور (جلال) ، فى ارتياع جارف :

ـ هل .. هل تعتقدون أنها النهاية ؟!

سألته (مشيرة) مرتجفة :

ـ ما الذى تعنيه بكلمة النهاية ؟!

أجابها فى عصبية :

ـ وما الذى يمكن أن أعنيه ؟! لقد كنا داخل أطلال مركز الأبحاث ، عندما انطلقت تلك الصواريخ نحونا ، وسمعنا كلنا الانفجارات الرهيبة ، وارتجت أجسادنا معها بمنتهى العنف ، ثم وجدنا أنفسنا هنا ! أعتقد أن الأمر أوضح من أن نناقشه .

امتقع وجه (مشيرة) ، وهى تهتف فى ارتياع :

- رباه ! هل تعنى أننا قد متنا ...

قاطعها (أكرم) فجأة ، فى حزم صارم :

- كلا .

ثم شد قامته ، وكأنما يحاول أن يستمد بعض القوة ، وهو يضيف :

- إننا لم نمت .

التفت إليه الجميع فى تساؤل ، وغمغم (رمزى) فى توتر :

- لا أحد يعرف ما هو الموت ، ولا ما ...

قاطعه (أكرم) ، فى شىء من العصبية :

- ولكننى أعرف أين نحن بالضبط .

اتسعت عيونهم جميعاً ، وهم يحدقون فيه ، بكل دهشة الدنيا ، فأضاف ، وقد تضاعفت عصبيته :

- لقد كنت هنا من قبل .

انفجرت العبارة كألف قنبلة ، وسط ذلك الفراغ الرهيب ، فاتسعت العيون أكثر وأكثر ، فى حين قال (نور) فى توتر :

- (أكرم) .. أتعنى أننا الآن فى ...

قاطعه صوت بعيد مألوف ، يقول :

- نعم يا (نور) .. أنتم داخل الفراغ الزمنى المتعادل (*) ..

استدار الجميع إلى ذلك الظلام الدامس ، خارج فقاعة الضوء الخافت ، حيث انبعث الصوت ، وهتفت (سلوى) :

- رباه ! أهذا معقول ؟!

برز جسد مألوف فجأة ، من قلب الظلام الدامس ، وارتسمت على وجه صاحبه ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

- نعم يا (سلوى) .. هو أنا .

ثم تهللت أساريره ، مع استطرادته :

- يا إلهى ! كم اشتقت إليكم يا رفاق .

تراجع الدكتور (جلال) بحركة حادة ، وانعقد حاجبا (رمزى) فى شدة ، فى نفس الوقت الذى اتسعت فيه عينا (مشيرة) عن آخرهما ، وهتف (نور) و(سلوى) و(نشوى) فى آن واحد :

- (محمود) !!

(*) راجع قصة (التعادل) .. المغامرة رقم (١٤١) .

أما (أكرم) ، فقال فى شىء من التوتر :

ـ مرحبًا يا (محمود) .. ها نحن أولاء نلتقى مرة ثانية ، خلال فترة زمنية قليلة .

كانت (سلوى) تندفع نحو (محمود) ؛ لتصافحه فى حرارة ، إلا أنه هتف بها فى ذعر شديد :

ـ لا .. لا تتجاوزى هذه الفقاعة .

تراجعت فى توتر ، هاتفة :

ـ لماذا ؟!

وتساءل (نور) فى حذر :

ـ (محمود) .. أأنت هنا حقًا ؟! أمن الممكن أن نلتقى ثانية ، بعد ما فقدناك فى نهر الزمن ؟! (*) ..

قال (محمود) ، بصوت تهدّج انفعالاً :

ـ لا يمكنك أن تتصورّ كم ظللت أتمنى هذا يا (نور) .

اندفعت (نشوى) ، تسأله فى لهفة :

ـ قل لى يا (محمود) : كيف أتينا إلى هنا ؟!

(*) راجع قصة (الزمن ـ صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

أجابها فى سرعة :

ـ إنه ذلك الراهب التبتى .

هتف الدكتور (جلال) ذاهلاً :

ـ هو فعل هذا ؟!

أجابه (محمود) :

ـ لم يكن أمامه سوى هذا .. ولم يكن باستطاعته حتى أن يفعله وحده .. لقد اشترك بعقله ، بكل ما يمتلك من قوة ، مع عقول زملائه المجتمعين هناك ، فى معبدهم العتيق فى التبت ، حتى يرسلوكم جميعًا ، عبر حاجز الزمان والمكان ، إلى حيث لا يطيح بكم الانفجار .

كرّر الدكتور (جلال) ، فى ذهول أكبر :

ـ هو فعل هذا ؟!

هزّ (محمود) رأسه ، قائلاً فى أسى :

ـ صدقونى يا رفاق .. لم يكن هذا هيّنًا أبدًا .. لقد استنفد ما فعلوه كل طاقاتهم العقلية ، حتى إن ذلك الفريق من الرهبان فى معبد (التبت) العريق ، قد سقطوا جميعًا فاقدى الوعى ، فور وصولكم إلى هنا .

ردّدت (سلوى) مبهوتة :

ـ جميعهم ؟!

زفر (محمود) ، وهو يقول :

ـ كان هذا يفوق كل قدراتهم ، فلو أنهم يتعاملون مع شخص واحد ، لأمكنهم نقله ، بقوتهم العقلية المجتمعة ، إلى أى مكان يشاءون ، أما مع عددكم هذا ، فكل ما أمكنهم فعله ، هو نقلكم إلى فراغ زمنى متعادل ، خارج حدود العالم المادى ، الذى يمكن للقنابل أن تفتك بكم فيه ، وستعودون جميعكم إلى عالمكم التقليدى ، فى أية لحظة الآن ، دون أن تفقدوا ثانية واحدة من أعماركم ، أو...

قاطعه (نور) ، فى توتر شديد :

ـ وماذا عنه ؟!

التفت إليه الجميع فى تساؤل ، فأضاف فى قلق واضح :

ـ ماذا عن ذلك الراهب التبتى ؟! أين هو ؟! لماذا لم ينتقل معنا ، إلى هذا الفراغ الزمنى المتعادل ؟!

انخفض صوت (محمود) ، وهو يجيب ، فى أسى بالغ :

ـ كان من المستحيل أن ينقلكم إلى هنا ، دون أن يبذل نفسه ، فى سبيل هذا .

شهقت (مشيرة) ، وهى تهتف فى ارتياع :

ـ هل تعنى أنه ...

قاطعها (محمود) ، وقد اكتسى صوته فجأة بالتوتر :

ـ لاوقت للحزن يا (مشيرة) .. لاوقت لأى شىء .. إنكم هنا لفترة محدودة جدًا ، ولابد أن نستغل كل لمحة منها ، لأخبركم بوسيلة التغلب على خصمكم الرهيب هذا .

سأله (نور) ، بكل اللهفة والاهتمام :

ـ كيف يا (محمود) ؟! كيف ؟!

التقط (محمود) نفسًا عميقًا ، وهو يقول فى انفعال :

ـ العقل لايهزمه إلا العقل يا (نور) ، وعقولكم قادرة على هزيمة ذلك العقل الشيطانى الجبار ، ولكن ليس على هذا النحو المنفرد .

سألته (نشوى) ، بمنتهى الاهتمام :

ـ هل تعنى أنه لابد أن نجتمع جميعًا يا (محمود) ؟!

أشار بيده ، قائلاً بنفس الانفعال :

ـ نعم يا (نشوى) .. لابد أن تتآزر عقولكم كلها فى مواجهته .. أنتم وأولئك الـ ....

قاطعته شهقة مباغتة من (سلوى) ، قبل أن تهتف :

ـ رباه ! ما هذا بالضبط ؟!

التفت الكل إلى حيث تنظر (سلوى) ، وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين وثبت يد (أكرم) إلى حزامه ، وكأنما يحاول انتزاع مسدسٍ وهمىٍّ منه ، عندما وقع بصر الكل على فقاعة أخرى ، بدت بصعوبة ، وسط الظلام الدامس ، وهى تتدحرج بسرعة مخيفة ، نحو (محمود) مباشرة ..

ولسبب ما ، بدا للجميع أنها تستهدفه لغرض ما ..

غرض شرير جداً ..

الانفعال الذى ارتسم على وجه (محمود) ، والذى حمل مزيجاً من الدهشة ، والذعر ، والانزعاج ، والهلع ، أيد تماماً هذا الشعور ، مما جعل (نشوى) تصرخ :

ـ احترس يا (محمود) .. احترس .

ولكن تلك الفقاعة المظلمة ، كانت تندفع نحوه بسرعة رهيبة ، حتى إنها ارتطمت به ، قبل حتى أن تكتمل صرخة (نشوى) ..

ثم ابتلعته دفعة واحدة ..

ومع ابتلاعها له ، دوت فرقعة قوية ، فى الفراغ الزمنى المحدود ..

ومع الفرقعة ، شعر الكل بصدمة قوية ، ارتجّت لها كل ذرة من أجسادهم ، قبل أن يتلاشى ذلك الضوء الخافت المحيط بهم ، لينطبق عليهم الظلام الدامس من كل صوب ..

فجأة .

* * *

٢ ـ الكارثة ..

سعل القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، فى توتر بالغ ، ورجال فريق الإنقاذ يعاونونه على مغادرة مكمنه ، فى أعماق المبنى ، الذى دمرته صواريخ المقاتلات المصرية الثلاث ، وهتف متسائلاً ، فى صوت متوتر مبحوح :

ـ كيف حال الباقين ؟! ما نسبة الخسائر حتى الآن ؟!

أجابه قائد فريق الإنقاذ ، فى مرارة واضحة :

ـ الخسائر رهيبة ياسيّدى .. الرجال انتشلوا عشرات الجثث ، قبل أن يصلوا إلى هذا المكمن الحصين ، أسفل المبنى .. كل شىء تم تدميره بمنتهى العنف .. كل المبانى والمنشآت ، وكل قاعات التدريب .. كل شىء .

هتف القائد الأعلى :

ـ وماذا عن الأفراد ؟!

هزّ قائد فريق الإنقاذ رأسه ، مجيبًا فى أسى :

ـ الأحياء يمثلون ندرة ، بين من عثرنا عليهم ياسيّدى ، وحتى هؤلاء ، تحول إصاباتهم بينهم وبين ممارسة حياتهم

العادية ، وربما لفترة طويلة من الزمن ... صدقنى ياسيّدى .. إنها كارثة .. كارثة بكل المقاييس .

استنفر القائد الأعلى كل إرادته ، ليسيطر على انفعاله الجارف ، الذى يكاد يلتهم أعماقه التهامًا ، وهو يقول :

ـ أيشمل هذا (نور) ورفاقه ؟! إنهم أفضل فريق مخابرات علمى ، ليس هنا فحسب ، ولكن فى العالم أجمع ، وفقدانهم يعتبر كارثة حقيقية .. كارثة بلا حدود .

عاد قائد فريق الإنقاذ يهز رأسه ، قائلاً :

ـ الواقع أننا لم نعثر بعد على أى أثر لهم .. سواء أحياء أو موتى .

قال القائد الأعلى فى سرعة :

ـ رباه ! هناك أمل إذن .

حدق فيه قائد فريق الإنقاذ ، قائلاً بمنتهى الدهشة :

ـ أمل ؟! أى أمل ؟! قلت لك : إن كل شىء انسحق تمامًا ، ولايمكن أن يصمد مخلوق واحد ، مع كل هذا الدمار ، وتحت كل هذه الأنقاض .

شدّ القائد الأعلى قامته ، وسعل مرة أخرى ، قبل أن يقول :

ـ لو أن الأمر يتعلق بأفراد عاديين ، لكان قولك هذا صحيحًا ، أما مع (نور) وفريقه ، فالأمر حتمًا يختلف .

أجابه قائد فريق الإنقاذ فى عصبية :

ـ الكل يتساوى أمام الموت يا سيدى .

أجابه القائد الأعلى فى سرعة :

ـ بكل تأكيد .

ثم أشار بسبابته ، مستدركًا فى حزم :

ـ ولكن ليس أمام الحياة .

لم يفهم قائد فريق الإنقاذ ما يعنيه القائد الأعلى بالضبط ، لذا فقد حدّق فى وجهه بضع لحظات ، قبل أن يهزّ رأسه فى قوة ، وكأنما ينفض الأمر كله عن ذهنه ، قائلاً :

ـ فليكن .. إنها مسألة وقت ، قبل أن نجد كل الأجوبة اللازمة ، أما الآن ، فلدى أوامر ، من رياسة الجمهورية ، لابد من إبلاغها لسيادتكم ، فور خروجك من مكمنك .

سأله القائد الأعلى ، فى شىء من الحذر :

ـ أية أوامر ؟!

مال الرجل نحوه ، مجيبًا فى حزم :

ـ أن تذهب لمقابلة السيد الرئيس ، مباشرة .

لم تمض على عبارته هذه دقائق عشر ، حتى كان القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ينضمّ إلى رئيس الجمهورية ، ووزير الدفاع ، فى اجتماع مغلق خاص ، بدأه الرئيس بقوله :

ـ أظن أن ما حدث يعنى فشل جهازك ، فى إنقاذ ما يمكن إنقاذه ، أيها القائد الأعلى .

شدّ القائد الأعلى قامته ، قائلاً :

ـ ليس بعد يا سيادة الرئيس .

انعقد حاجبا الرئيس فى شدة ، وهو يتطلّع إليه فى تساؤل حائر ، فى حين قال وزير الدفاع ، فى خشونة متوترة :

ـ ليس بعد ؟! أى قول هذا يا رجل .. الكل يعلم أن إدارة المخابرات العلمية قد أزيلت فعليًا من الوجود .

هتف القائد الأعلى فى صرامة :

ـ محال .

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وهو يواصل بمنتهى الحزم :

- لو أن هجومًا واحدًا ، مهما بلغت قوته ، ومهما هدم من مبان ومنشآت ، يكفى لمحو المخابرات العلمية من الوجود ، فهذا يعنى أنها لم تستحق أبدًا أن توجد .. المخابرات العلمية أقوى من هذا .. أقوى بكثير .. ومنذ ذلك الاحتلال البغيض ، الذى سيطر على كوكبنا كله ، فى حقبة مظلمة من تاريخنا ، وضعنا خطة محكمة ، تضمن عدم تكرار هذا قط ، وصنعنا أكثر من موقع احتياطى ، يمكننا أن ننطلق منه ، لنعيد بناء كل شىء ، فى أسرع وقت ممكن ، إذا ما اقتضت الأمور هذا .

سأله وزير الدفاع فى صرامة :

- وماذا عن الأفراد ؟! لقد خسرت أقوى فرقك .. أليس كذلك ؟!

شد القائد الأعلى قامته أكثر ، وقال :

- هذا لم يتأكد بعد .

هتف به الوزير فى حدة :

- وهل سننتظر حتى ...

قاطعه رئيس الجمهورية فى صرامة حازمة :

- كفى .

ثم أشار إليهما بالجلوس ، متابعًا فى قوة :

- نحن هنا ؛ للبحث عن مخرج ما من هذه الأزمة ، التى تبدو وكأنه لا مخرج منها ، ولسنا نجتمع للبحث عن وسائل التفوق بعضنا على البعض ، أو إلقاء المسئولية على الآخرين .

وضرب سطح المائدة براحته ، مضيفًا :

- إننا أمام لوحة شطرنج أيها السادة .. لوحة لا تمنح الفوز للأكثر سطوة ، أو للأفضل عقيدة ، أو حتى للأحسن نوايا ، بل تمنحه لمن يتبع قواعدها ببراعة فقط .. هل تستوعبون هذا المبدأ ؟!

أجاب الاثنان ، فى آن واحد :

- بالتأكيد يا سيادة الرئيس .

تراجع الرئيس فى مقعده ، قائلاً فى حزم :

- نحن الآن أمام تهديد واضح مباشر ، من خصم جبار ، لم نجد وسيلة واحدة لهزيمته بعد ، وإما أن نجد تلك الوسيلة ، التى مازلنا نجهل ماهيتها ، أو نضطر لتنفيذ مطالبه ، وهنا تصبح كارثة حقيقية .. كارثة لن ننهض منها أبدًا .

قال القائد الأعلى :

- أعتقد أن فكرة الاستسلام لوغد مثله ، غير واردة على الإطلاق ، يا سيادة الرئيس .

تنهّد الرئيس ، قائلاً :

ـ ربما ليس هنا .. وربما ليس حول هذه المقدة فحسب ، ولكن هناك دول أخرى ترتجف هلعًا الآن ، بعدما رأت ما فعله بنا هذا الـ... هذا الشيء ، ولو طالت مقاومتنا له ، دون أن نظفر بنتائج واضحة ، ستنهار تلك الدول ، وتستسلم لإرادته ، وعندئذ سيصبح استسلام الباقين مسألة وقت فحسب .

غمغم القائد الأعلى في توتر بالغ :

ـ إنني أفضل الموت على الاستسلام .

قال الوزير في صرامة :

ـ كلنا هذا الرجل ، ولكننا نحتاج إلى طرف خيط ، يمكن أن يقودنا إليه .. مجرّد طرف خيط ..

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

ـ وماذا عن موقعه ؟! ألم يتم رصده ، في تلك المنطقة الراقية ، التي شنّ أحد قادتكم هجومه العشوائي عليها ، وتسبّب في كل ما حدث ؟!

احتقن وجه الوزير ، وهو يهزّ رأسه ، قائلاً :

ـ هذا ما تصورناه جميعًا ، ولكن بعض رجالنا نجحوا في الوصول إلى المكان ، فلم يجدوا أمامهم سوى منزل قديم مهجور ، خالٍ تمامًا ، من أي نوع من الحياة .

سأله القائد الأعلى :

ـ هل فحصوه جيدًا ؟!

أومأ الوزير برأسه إيجابًا ، وقال في حزم :

ـ فحصوه بمنتهى الدقة ، واستخدموا ثلاث كشافات ميدان قوية ؛ لإضاءة ظلامه الدامس ، ولكنهم لم يجدوا شيئًا .. أي شيء .

سأله القائد الأعلى في سرعة :

ـ أي شيء ؟!

كرّر الوزير ، في حزم صارم :

ـ نعم .. أي شيء .

التقى حاجبا القائد الأعلى ، وهو يفكّر في عمق ، فسأله الرئيس في اهتمام :

ـ ألا ينبغي أن تشاركنا أفكارك ؟!

قال الوزير في حدة :

ـ ربما يفضّل الاحتفاظ بها لنفسه .

رفع القائد الأعلى عينيه إليه ، قائلاً في صرامة :

ـ وأي فارق يمكن أن يصنعه هذا في رأيك ؟! أنسيت أن

خصمنا رجل يخترق العقول .. كل العقول ؟! إنه قادر على معرفة ما تخفيه ، عبر الغوص فى أعمق أعماق تلك الخلايا الرمادية فى مخك ، والأفضل فى هذه الحالة أن يفصح كل منا عن أفكاره للآخر ، قبل أن ينتزعها هو ، أو يدمّر أمخاخنا وأجسادنا ، ويحذفنا من قائمة خصومه .

أشار رئيس الجمهورية بسبّابته ، قائلاً فى حزم واهتمام :

– ولماذا لم يفعل هذا ؟!

التفت الرجلان إليه ، فتابع فى انفعال :

– لماذا لم يحاول السيطرة على عقولنا ، باعتبارنا القيادات الرئيسية لهذه الدولة ، أو حتى السيطرة على عقول قادة الدول الأخرى ؟! هذا وحده كان كفيلاً بمنحه السيطرة الكاملة ، التى يسعى إليها ، دون الدخول فى معارك عنيفة كهذه !!

تنهّد القائد الأعلى ، قائلاً :

– الدكتور (رمزى) ، عضو فريق (نور) ، والخبير النفسى الشهير ، قدّم تقريراً فى هذا الشأن يا سيادة الرئيس .

سأله الرئيس فى اهتمام بالغ :

– وماذا قال فى تقريره هذا ؟!

أجاب القائد الأعلى فى سرعة :

– الدكتور (رمزى) قال : إن هذا لا يحقّق أهدافه ، فلو سيطر على عقول القادة ، ودفعهم إلى القيام بما يرغب ، سيبدو هذا وكأنه جنون قيادة ، أو نزعة عدوانية لدى بعض القادة ، أو سيؤدى إلى شن حروب قومية أو دولية ، على أقصى تقدير ، ولكنه لن يمنحه ما يسعى إليه فعليًا ، وهو السطوة والقوة والسيطرة ، لذا فقد ركز جهوده كلها على تحطيم المخابرات العلمية المصرية ، وسحق أقوى وأشهر فريق فيها ، وبالذات ذلك الفريق ، الذى يربط العالم كله بينه ، وبين هزيمة الغزاة ، الذين نجحوا فى احتلال الأرض كلها يومًا ، بحيث يرى العالم كله ، أو يدرك ضمنيًا ، أنه وحده أكثر قوة ، من قوات كوكب كامل ، وأنه سحق بعقله وحده ، من قاوموا احتلالاً فضائيًا كاملاً ، وهذا وحده يمنحه كل ما يحتاج إليه نفسيًا ومعنويًا .

تساءل الرئيس فى اهتمام :

– أتعنى أنه يفعل كل ما يفعله ؛ ليداوى مشكلة نفسية فى أعماقه ؟!

أشار القائد الأعلى بسبّابته ، قائلاً :

– بالضبط .

كان يهم بالاستطراد ، عندما ارتفع أزيز جهاز الاتصال الخاص به فجأة ، فالتقطه فى سرعة ، وقال عبره فى لهفة :

- هنا القائد الأعلى .. هل من جديد ؟!

امتقع وجهه بشدة ، وهو يستمع إلى محدثه ، فالتقى حاجبا رئيس الجمهورية ، فى توتر ، فى حين تساءل وزير الدفاع فى عصبية :

- ماذا حدث بالضبط ؟!

رفع القائد الأعلى إليه عينين زائغتين ، وهو يقول :

- لقد عثروا عليهم .

وقبل أن يسأله أحدهما ، عن سر امتقاع وجهه الشديد ، أضاف بكل مرارة الدنيا :

- على جثثهم .

واتسعت العيون فى ذهول مذعور ..

فقد كانت المفاجأة رهيبة ..

رهيبة بحق ..

وبكل معنى الكلمة ..

* * *

فجأة ، استعاد فريق الرهبان ، فى ذلك المعبد التبتى القديم ، وعيهم ...

فجأة ، اعتدلت رءوسهم ، وانتصبت أعناقهم ، واستعادت عقولهم صفاءها ، ونشاطها ..

وقوتها ..

كان من الواضح أن العقول كلها قد تلقت رسالة قوية ..

وربما أقوى من المتصوَّر ..

لذا ، فقد عادت الدائرة العقلية تكتمل ..

وتنطلق ..

وعلى الرغم من حاجزى الزمان والمكان ، أدرك الكل ، فى لحظة واحدة ، أن الزميل ، الذى تم نقله زمكانيًا ، إلى قلب (القاهرة) الجديدة ، لم يعد هناك ..

لم يعد فى عالمنا كله ..

ولكن هذا لم يوقفهم لحظة واحدة ..

ولم يفت فى عضدهم ..

أو قلوبهم ..

أو عقولهم ..

فالثقافة التى نشئوا عليها ، وقضوا فيها عمرهم كله ، لم تكن

قابلة للانحناء ، أمام الأحزان والهموم ، أو الاهتمام بمتاعب والفعالات الدنيا ، وإنما تقتصر على تطوير الروح والعقل ، من دون الجسد ..

لذا ، فقد تجاوزوا الموقف على الفور ، وراحت عقولهم تستوعب الخطر الجديد ، الذى يواجهه العالم أجمع ، والذى اعتبروا أنفسهم المسئولين الأساسيين عنه ..

ولأنهم قد ضبطوا عقولهم على موجة ذلك العقل الشيطانى الجبار ، فقد أدركوا على الفور ، أنه قد انطلق ، بكل طاقته ، إلى آفاق جديدة تماماً ..

آفاق خلف حاجز الزمان والمكان ..

انطلق إلى حيث أرسلوا (نور) ورفاقه ..

إلى الفراغ الزمنى المتعادل ..

ولأنه لن يتراجع هذه المرة ، قبل أن يحقق الانتصار ، الذى ظلّ يحلم به ، لعقدين كاملين من الزمان ..

الانتصار الساحق ..

ولأنه أدرك أن الخطر الحقيقى ، الذى يواجه وجوده ، يكمن فى (محمود) ، عضو فريق (نور) السابق ، الذى ضاع

فى نهر الزمن ، ونجح فى تطوير قدراته وخبراته هناك ، حتى صار باستطاعته تجاوز حدود الزمان والمكان بدوره ..

وهذا يعنى أن باستطاعته كشف مواطن ضعفه ..

وإبلاغ رفاقه بها ..

فقد قرّر أن يبدأ الجولة الجديدة من المعركة ، بسحق ذلك الخصم القوى ، خارج حدود الزمان والمكان ..

وعلى الرغم من أن هذا يحتاج إلى استنفار كل طاقاته وقوته ، فقد أطلق لعقله العنان ، وانطلق به إلى أقصى الحدود ..

أقصى حدود الزمان ..

والمكان ..

والعقل ..

وهناك ، فى ذلك الفراغ الزمنى المتعادل ، حيث الزمن يساوى صفراً ، وكل شىء بلا حدود ، انطلق عقله الشرير ..

انطلق فى شكل فقاعة مظلمة رهيبة ، انقضت بكل الشر الشيطانى الكامن فيها ، على الخصم القوى ..

على (محمود) ..

ولأن الرهبان يدركون أن قدرات (محمود) ، مهما بلغت قوتها ، محدودة تمامًا ، أمام القوة الشيطانية لخصمه ، فقد قرّروا أن يتدخلوا لمواجهة الأمر ..

ولمؤازرة (محمود) ..

وعبر الدائرة ، التي صنعتها أجسادهم ، اتصلت عقولهم ؛ لتصنع شبكة عقلية مدهشة ، راحت تنمو ..

وتنمو ..

وتنمو ..

ثم دوت فرقعة مكتومة ، في مركز الدائرة بالضبط ..

وهنا ، انطلقت طاقتهم العقلية المشتركة ، عبر الزمان ..

وعبر المكان ..

وعبر عالمنا كله ..

بلا حدود ..

* * *

لأول مرة ، منذ هوى كيانه في نهر الزمن ، شعر (محمود) بجسده بغتة ، ودون مقدمات ..

شعر به يرتجف ..

وينتفض ..

ويقشعر ..

ويئن ..

ويصرخ ..

وينهار ..

وكم أذهله هذا ..

وآلمه ..

وأربكه ..

فوفقًا لخبراته السابقة ، لم يعد لجسده وجود فعلي ..

الذوبان في نهر الزمن حوّل كيانه كله إلى طاقة ..

مجرّد طاقة ..

وهذا وحده يمنحه القدرة على الانطلاق بلا حدود ..

عبر الزمان ..

والمكان ..

ولكنه الآن يشعر بجسده كله ، منذ سقط أسير تلك الفقاعة المظلمة المخيفة ..

يشعر به ، كما لو أنه قد استعاده كله دفعة واحدة ..

أو كأنه يهوى به ، فى بئر عميقة مظلمة ..

بئر بلاقرار ..

وهناك قوة ما تعتصر عقله ..

وتعتصره ..

وتعتصره ..

شىء هائل يضغط خلايا مخه ، من كل جانب ، حتى لتكاد تذوب داخل جمجمته ، و...

ولكن مهلاً ..

هذا مستحيل !

مستحيل تماماً !

جسده لن يعود مرة أخرى أبداً ..

لقد فنى ، وانتثر ، وتلاشى ، منذ زمن طويل ..

لو أنه هناك قيمة للزمن ، فى مكان كهذا ..

استعادته الشعور به إذن هى مجردُ خدعة ..

وهم ..

محاولة من خصمه الرهيب ؛ لإرباكه بشعور جديد ، غير منطقى ، يثير حيرته ، ويلتهم مشاعره ، ويجتذبه بعيداً عن مشكلته الرئيسية ..

محاولة للالتفاف حول طاقته ..

والهجوم على كيانه الجديد ..

كيانه اللاجسدى ..

ولو أنه استسلم للفكرة ، وانشغل فى البحث عن تفسير لما يشعر به ، سيجد خصمه الفرصة لتدميره ..

وبلا رحمة ..

لابد له إذن من أن يقاوم ..

ويقاوم ..

ويقاوم ..

و...

وفجأة ، شعر بأنه يدور فى دوامة مظلمة رهيبة ..

دوّامة تجذبه خارج حدود الوطن ، الذى اعتاد التواجد فيه ، لفترة طويلة .. طويلة جداً ..

وتجذبه بسرعة تتزايد أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم لاح له ذلك المشهد بغتة ..

حجرة مظلمة ، يجلس فى منتصفها رجل أصلع ، له جمجمة مزدوجة مخيفة ، ووجه غارق تماماً فى الظلام ..

رجل يجلس القرفصاء ، وعيناه تلتمعان فى قلب الظلمة ..

وكانت العينان تنظران إليه مباشرة ..

وبنظرة مخيفة ..

مخيفة إلى أقصى حد ..

ولقد توقّفت تلك الدوّامة عن الدوران بغتة ..

واعتدل جسد (محمود) ..

وتضاعف إحساسه به أكثر وأكثر ، عندما وجد نفسه يقف أمام ذلك الخصم الرهيب مباشرة ، وظلام عجيب يحيط

بهما من كل جانب .. ظلام لا يخفى جسديهما ، أو يحجب أحدهما عن الآخر ..

ولكنه يحيط بكل ما حولهما ..

وفى توتر بالغ ، حدّق (محمود) فى وجه خصمه ، محاولاً أن يستشف ملامحه ، التى غرقت فى ذلك الظلام الرهيب ..

ولقد لمح أمراً واحداً ..

تقطيبة الجبين الحادة ..

الحادة جداً ..

تقطيبة سميكة ، فى منتصف الجبهة مباشرة ، فى المسافة بين العينين ، على نحو لم يره قط ، فى أى كائن بشرى ..

وبكل حواسه واهتمامه وانتباهه ، تطلّع (محمود) إلى تلك التقطيبة ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

أو ينبس خصمه ببنت شفة ..

لم يكن يرى عينيه ، الغارقتين فى ظلام رهيب ، ولكنه كان واثقاً من أنه يتطلّع إليه ، على نحو ما ..

أو بوسيلة ما ..

وسيلة بصرية مباشرة ..

أو وسيلة عقلية غير مباشرة ..

المهم أنه يفعلها ..

والسؤال هو لماذا ؟!

لماذا يكتفى بالتطلُع إليه ؟!

لماذا ؟!

ما الذى يسعى إليه بالضبط ؟!

ما الذى ...

توقفت أفكاره دفعة واحدة ، عندما شعر بتلك الطاقة الرهيبة ، التى أحاطت به من كل جانب ، و...

وبكل قوته ، قاوم (محمود) ..

قاوم ..

وقاوم ..

وقاوم ..

ولكن فجأة ، تحركت تلك التقطيبة السميكة ، فى جبين الخصم الرهيب ..

وانفرجت ..

وعندئذ ، انتفض كيان (محمود) بأكمله ..

انتفض مع ذلك المشهد الرهيب ، الذى بدا أمامه ..

الرهيب جداً ..

جداً .

* * *

٢ ـ ضائعون ..

« لابد وأن نفعل شيئاً .. لايمكننا أن نقف ساكنين ، و(محمود) يواجه هذا الخطر .. » ..

هتفت (سلوى) بالعبارة ، بكل توتر الدنيا ، وهى تحدق فى تلك القاعة المظلمة ، المحاطة بإطار رفيع متألق ، ميّزها عن الظلام الدامس المحيط بها ، وهى تتموّج على نحو عجيب ، بعد أن ابتلعت جسد (محمود) ، فغمغم (رمزى) فى عصبية :

ـ وما الذى يمكن أن نفعله ؟!

هتفت (نشوى) :

ـ أى شىء ؟!

غمغم (أكرم) فى عصبية ، وهو يتحسس حزامه :

ـ آه لو أن مسدسى معى .

حدقت فيه (مشيرة) بدهشة مستنكرة ، قبل أن تقول فى حدة :

وماذا كنت ستفعل به ، فى مثل هذه الظروف أيها المتحذلق ؟! هل تتصوّر أن رصاصاته هى العلاج لكل شىء ؟!

قال فى غضب :

ـ لقد أنقذتك من الموت أكثر من مرة على الأقل .

هتفت :

ـ وكم أرقت من الدماء ، فى سبيل هذا ؟!

صاح الدكتور (جلال) يستوقفهما ، فى انفعال شديد :

ـ كفى .. لن أحتمل هذه السخافات طويلاً .. ربما اعتدتم أنتم ، كفريق علمى ، التواجد فى مثل هذه المواقف العجيبة ، أما أنا فلم يحدث لى هذا من قبل قط ، وليس من السهل علىّ أن أتآلف معه ، خاصة وأنتم تتشاجرون هكذا كالأطفال .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وهو يراقب تموّجات القاعة المظلمة ، فى اهتمام قلق ، فى حين قالت (مشيرة) فى حدة عصبية :

ـ أنا أيضاً لم أعتد هذه الأمور العجيبة ، وكنت أتمنى لو أن ...

قاطعها (أكرم) ، فى سخرية متوترة :

ـ لو أنك تحملين آلة التصوير .. أليس كذلك ؟!

التفتت إليه بحركة حادة ، قائلة :

ـ وهل من العار أن يشغل عملى اهتمامى طوال الوقت ؟!

صاحت بها (نشوى) فى غضب :

ـ بل من العار أن يلتهم هذا الشىء (محمود) لمامنا ، ثم تنشغلين أنت بإثبات ذاتك ، على هذا النحو المستفز .

احتقن وجه (مشيرة) ، واحتبست الكلمات فى حلقها ، وارتجفت على شفتيها ، وهى لاتجد ما تقوله ، فى حين غمغم (نور) ، وحاجباه مازالا منعقدين فى شدة وتوتر :

ـ نعم .. يلتهمه .. هذا هو التعبير الصحيح .

التفتت إليه (سلوى) ، متسائلة فى قلق :

ـ ماذا تعنى يا (نور) ؟!

أشار (نور) بيده إلى الفقاعة ، التى تواصل تموُّجاتها البطيئة ، وهو يجيب :

ـ لاحظى حركتها يا (سلوى) .. إنها تشبه تمامًا حركة المعدة ، عندما تبدأ فى هضم طعامها .

هتف (رمزى) :

ـ رباه ! هذا صحيح يا (نور) .. هذه الحركة تشبه تمامًا عملية الهضم .

امتقع وجه (نشوى) ، وهى تهتف :

ـ هل تعنون أنَّ هذا الشىء يهضم (محمود) ؟!

لوَّح الدكتور (جلال) بيده ، قائلاً فى انفعال :

ـ بل دعونا نسأل أوَّلاً ، ما هذا الشىء ، ولماذا ظهر فجأة هنا ، وهاجم (محمود) على هذا النحو ؟!

ضاقت عينا (نور) ، وهو يتطلَّع إلى الفقاعة المظلمة المتموِّجة ، ويقول فى حزم :

ـ ألاتعرفون ما هذا الشىء بالضبط ؟!

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف فى توتر :

ـ إنه هو .

أدرك الكل ما يعنيه ، منذ اللحظة الأولى ، وعلى الرغم من هذا فقد انتفض جسد (مشيرة) فى عنف ، وهى تهتف مكرِّرة :

ـ هو ؟!

شَحبت وجوه الكل مع سؤالها ، وتعلّقت عيونهم بالفقاعة المظلمة ، وتمتمت (نشوى) :

ـ يا إلهى ! أهو الذى هاجم (محمود) ؟!

أجابها (نور) فى مرارة :

ـ ومن سواه ؟!

غمغم (أكرم) :

ـ يا للوغد الحقير !

وهتفت (سلوى) :

ـ لابد أن نفعل شيئًا .. أى شىء .

ضمّ (أكرم) قبضته ، وهو يقول فى غضب :

ـ لن يمكنك أن تتصورّى ، كم أتمنى هذا .

نطقها ، وهو يقرن قوله بحركة عنيفة ، كما لو أنه سيتجاوز حدود الفقاعة خافتة الضوء ، التى تحيط بهم ؛ لينقضّ على الفقاعة المظلمة ، فصاح به (نور) فى صرامة :

ـ إياك أن تفعلها .

هتف (أكرم) فى غضب :

ـ لا أحتملُ فكرة البقاء ساكنًا ، وهذا الحقير يفعل ما يفعله بـ (محمود) يا (نور) .

أجابه (نور) بكل الحزم :

ـ (محمود) حذّرنا من الخروج من هذه الفقاعة ، وخبرته فى الفراغ الزمنى المحدود ، تعنى أنه يدرك مدى الخطر الذى سيواجهنا لو فعلنا .

صاح (أكرم) :

ـ هل سنقف ساكنين إذن ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ كلاّ بالطبع .

سأله الدكتور (جلال) فى عصبية :

ـ وما الذى يمكننا أن نفعله ؟!

أشار (نور) إلى رأسه ، قائلاً :

ـ أن نفكّر .

بدت الدهشة على وجوه الجميع ، وهتف (رمزى) :

ـ نفكّر ؟!

أجابهم فى حزم ، دون أن يرفع عينيه عن تلك الفقاعة المظلمة :

ـ تذكروا عبارة (محمود) .. العقل لايدحضه سوى العقل .. والعقل وحده .. دعونا إذن نستخدم عقولنا ، بدلاً من انفعالاتنا واندفاعاتنا .. دعونا نستخدم عقولنا وحدها .

سألته (سلوى) فى اهتمام :

ـ وكيف يا (نور) ؟!

صمت بضع لحظات ، ثم أجاب فى قوة :

ـ (محمود) قال : إننا نستطيع هزيمة عقل خصمنا الوحش بعقولنا ، ولكن ليس على نحو منفرد ، وهذا يعنى أنه لو تآزرت عقولنا ، نستطيع أن نفعل شيئاً ما .

سأله (أكرم) فى توتر :

ـ وهل يمكننا أن نفعل هذا ؟!

قال فى حزم :

ـ يمكننا أن نحاول على الأقل .

ترددت (نشوى) لحظة ، قبل أن تقول :

ـ ألاتظن أن هذا يحتاج إلى خبرة ما يا أبى ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ ربما فى الظروف العادية .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ وليس فى الفراغ الزمنى المتعادل .

تساءلت (مشيرة) ، فى صوت مرتجف :

ـ هل .. هل تعتقد أن هذا الفراغ المظلم الرهيب ، يمكن أن يمنحنا قوة ما ؟!

غمغمت (سلوى) :

ـ هذا احتمال وارد .

ثم أضافت فى حزم :

ـ احتمال كبير .

وتساءل الدكتور (جلال) فى لهفة :

ـ قل لنا : ماينبغى أن نفعله يا (نور) ، وسنطيع كل أوامرك فوراً .

أجابه (نور) فى سرعة ، وقد تضاعف قلقه ، مع تسارع تموجات تلك الفقاعة المظلمة أمامهم :

ـ سنصنع دائرة صغيرة ، ويمسك كل منا بيد الآخر ، ثم نغلق عيوننا ، ونركِّز أفكارنا كلها على أمر واحد .

هتفت (مشيرة) :

ـ العودة إلى عالمنا .. أليس كذلك ؟!

نظر إليها الجميع فى غضب مستنكر ، فى حين أجابها (نور) فى صرامة :

ـ بل سنركِّز أفكارنا كلها ، على خروج (محمود) من تلك الفقاعة السوداء .. خروجه سالمًا .

احتقن وجهها فى حرج ، وهى تغمغم :

ـ بالتأكيد .

بدءوا فى اتخاذ ذلك الوضع ، الذى شرحه (نور) ، وتساءل (أكرم) فى قلق :

ـ هل تعتقد أننا سنستطيع أن نفعلها ؟!

أجابه (نور) :

ـ المهم أن نحاول .

سأله الدكتور (جلال) :

ـ وهل لدينا ما يكفى من الوقت ؟!

تنهَّد (نور) قائلاً :

ـ هنا ، لا قيمة للوقت .

تشابكت أيديهم ، وصنعت أجسادهم دائرة صغيرة ، وأغلقوا عيونهم ، وركزوا أفكارهم ، و...

وأطلقوا عقولهم ..

بأقصى طاقتهم ..

لم يكن هذا أمرًا مألوفًا بالنسبة لهم ..

لذا فقد بذلوا الكثير من الجهد ..

الكثير جدًا ..

فى البداية كان الأمر شاقًا ..

وكان التركيز صعبًا ..

وعسيرًا ..

إلى أقصى حد ..

ورويدًا رويدًا ، راحت أفكارهم تتركَّز ..

وعقولهم تصفو ..

وتنطلق ..

ومع انطلاقها ، استرخت أجسادهم ، كما لم يحدث من قبل ..

استرخت ..

واسترخت ..

واسترخت ..

ثم فجأة ، وجدوا أنفسهم ينطلقـون ، عبر دوامـة مظلمـة عجيبة ، بدت وكأنها تجذبهم إلى عالم آخر رهيب ..

عالم الفناء ..

التام ..

كان كل شىء حولهم مظلمًا ، صامتًا ، مخيفًا ، و...

وفجأة امتلأت كينوناتهم كلها بذلك الوجه المخيف ..

وجه خصمهم الرهيب ، الغارق فى ظلامه الخاص المرعب ..

لم تكن ملامحه واضحة ، إلا أنهم ميَّزوا جميعًا تلك الجمجمة المزدوجة المشقوقة ، وتلك التقطيبة السـميكة فى منتصـف الجبهة ..

كل هذا كان يشغل الفراغ كله ..

فراغ عقولهم ..

وعلى الرغم من الفزع ، الذى سرى فى عروق بعضهم ، لم تنفصل الأيدى ، أو تتوقف العقول عن التركيز ..

وعن الانطلاق ..

ودون مقدمات ، دوى صوت (محمود) بينهم ، وهو يصرخ :

ـ لماذا أتيتم ؟! تراجعوا .. تراجعوا بأقصى سرعة .. تراجعوا بالله عليكم .

كانت صرخته مباغتة أكثر مما ينبغى ، حتى إنها قد أطلقت فى أجسادهم جميعًا رجفة قوية ..

وكاد معظمهم يفقد تركيزه ..

وينهار تمامًا ..

ولكن شيئًا مـا ، أو قـوة مـا ، سـاعدتهم علـى التماسك ، والتآزر ، والتركيز ..

قوة من خارج المكان ..

وخارج الزمان ..

قوة جعلت وجه خصمهم الرهيب يتراجع وسط الظلام ..

ويتراجع ..

ويتراجع ..

وفى الوقت ذاته ، سمعوا صوت (محمود) بينهم ، يهتف :

ـ رباه ! لقد فعلتموها .. لقد فعلتموها يا رفاق .

ومع آخر حروف كلماته ، التى ترددت فى أعمق أعماق عقولهم ، تحركت فجأة تلك التقطية ، فى منتصف جبين خصمهم الرهيب ..

وانفتحت ..

وهنا ، لم تستطع (مشيرة) مواصلة التماسك والتركيز ..

ومن حلقها ، انطلقت صرخة رعب هائلة ..

صرخة ، انهار معها ذلك التآزر العقلى دفعة واحدة ..

وكانت النتيجة رهيبة مخيفة ..

بحق ..

* * *

التقى حاجبا القائد الأعلى للمخابرات العلمية فى شدة ، وهو يتطلع إلى جثة ذلك الراهب التبتى النحيل ، التى تم انتشالها من بين أنقاض مبنى الأبحاث العلمى ، وغمغم :

ـ أهذا كل ما عثرتم عليه ؟!

تنحنح قائد فريق الإنقاذ ، قبل أن يجيب فى توتر :

ـ نعم .. لقد عثرنا على جثته ، وسط مجموعة أخرى من الجثث ، ووفقًا لآخر المشاهدات ، تصوّرنا أنها جثث فريق المقدّم (نور) ، ولكنها كانت فى الواقع جثث بعض أفراد الجناح الطبى الخاص .

سأله القائد الأعلى فى اهتمام :

ـ وهل عثرتم على جـ ... أهم .. على (نور) وفريقه ؟!

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وهو يجيب فى سرعة :

ـ مطلقًا .

قالها ، وأطلق زفرة متوترة من أعماق صدره ، قبل أن يضيف ، فى شىء من العصبية :

ـ لقد نبشنا كل شبر من هذه الأنقاض ، ولم نجد أدنى أثر لهم ، ولست أدرى كيف يمكن أن يحدث هذا ؟!! المشاهدات كلها تؤكّد أنهم كانوا هنا ، حتى آخر لحظة ، و...

قاطعه القائد الأعلى ، وهو يقول فى انفعال :

ـ قلت لك : إنهم مختلفون يا رجل ،. ليسوا كأى أفراد عاديين .. هناك شىء ما يحيط بهم دومًا ، ويستبعدهم من قائمة

الموت ، فى أحلك الظروف ؛ لأن باستطاعتهم إنقاذنا ، من عدد هائل من الأخطار ، التى لاقبل لنا بها .

سأله قائد فريق الإنقاذ ، فى شىء من الحذر :

ـ شىء مثل ماذا ؟!

أجابه القائد الأعلى فى سرعة :

ـ العناية يارجل .. العناية الإلهية .. الله (سبحانه وتعالى) يحيطهم برعايته وعنايته ، ويرسل إليهم دومًا من ينقذهم من كل مأزق ، ويخرجهم من كل خطر ..

هزّ الرجل رأسه بعدم اقتناع ، مغمغمًا :

ـ ولماذا هم بالذات ؟! ما الذى يميّزهم عن سواهم ؟!

أجاب القائد الأعلى ، فى إجلال وتقدير :

ـ لأنهم يتقون الله (سبحانه وتعالى) يارجل ، ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب (*) .. هذا فى رأيى سر قوتهم ونجاحهم يا هذا .. ذلك المزيج المدهش من الخبرة العلمية الفريدة ، والإخلاص المهنى البالغ ، وتقوى الله (عزّ وجلّ) .. كيف يمكن أن ينهزم فتية مثلهم ؟!

(*) بسم الله الرحمن الرحيم : « ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ، ويرزقه من حيث لايحتسب » صدق الله العظيم ـ الآية رقم (٢) ، من سورة الطلاق ، القرآن الكريم .

تردّد قائد فريق الإنقاذ ، وهو يقول فى حذر :

ـ الموت لاينتقى حصاده .

قال القائد الأعلى فى سرعة :

ـ إذا ما حان موعده .

زفر الرجل فى توتر ، وهزّ رأسه فى صمت ، وهو يحاول استيعاب الموقف ، فى حين التقط القائد الأعلى جهاز الاتصال المحدود ، الخاص به ، وهو يضغط زره ، قائلاً :

ـ سيادة الرئيس .. إنهم بخير .

ارتفع حاجبا قائد فريق الإنقاذ فى دهشة ، فى حين تساءل الرئيس فى اهتمام بالغ ، عبر جهاز الاتصال :

ـ أأنت واثق من هذا ؟!

أجابه القائد الأعلى ، وقد تسللت نبرة حماسة إلى صوته :

ـ لايوجد أى دليل مادى على نجاتهم يا سيادة الرئيس ، ولكن لايوجد فى الوقت ذاته أى دليل على مصرعهم .. لقد اختفوا فحسب .

قال الرئيس فى قلق :

ـ وماذا لو أنهم انسحقوا مع الانفجار ، أو تلاشوا لسبب ما ، أو . . .

وعلى الرغم من تعارض هذا ، مع كل قواعد اللياقة ، وأسس التعامل العسكرى السليم ، غلب الانفعال القائد الأعلى ، وجعله يقاطع الرئيس ، قائلاً فى حماسة شديدة :

ـ أظنهم مازالوا يقاتلون خصمنا الرهيب ، ياسيادة الرئيس .

سأله الرئيس :

ـ وما دليلك على هذا ؟!

هتف القائد الأعلى :

ـ لقد توقَّف .

تمتم الرئيس ، فى حذر متسائل :

ـ توقَّف ؟!

أجابه القائد الأعلى بنفس الحماسة :

ـ نعم ياسيادة الرئيس .. خصمنا توقَّف تمامًا عن مهاجمتنا ، أو حتى تهديدنا ، منذ أذاع بيانه عالميًا ، على الرغم من أن كل القواعد العسكرية كانت تحتم عليه القيام بضربة ما ، بعد البيان مباشرة ، لتأكيد قوته ، وردع أية محاولة للتمرُّد عليه .

جذبت هذه الكلمات اهتمام الرئيس بشدة ، فتساءل فى لهفة :

ـ وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

أجاب القائد الأعلى فى سرعة :

ـ احتمالان لا ثالث لهما ، يا سيادة الرئيس .. إما أنه يستعد لضربة قوية عنيفة ، لا قبل للعالم كله بها ، أو... أو أنه منشغل الآن ، بكل طاقته وكل قوته ، فى صراع عنيف معهم .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

ـ مع فريقنا .

طال صمت الرئيس هذه المرة ، وهو يدرس الاحتمال فى ذهنه جيِّدًا ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ لو أن هذا الاحتمال صحيح ، فالأفضل لنا أن ...

قبل أن يتمّ الرئيس عبارته ، دوت فرقعة قوية ، وسط أطلال مبنى إدارة الأبحاث ، وشعر القائد الأعلى وكأن عاصفة عاتية قد ضربت وجهه فجأة ، وسط ضوء مبهر فى المكان ، و...

واتسعت العيون كلها عن آخرها ، أمام ذلك المشهد المذهل .. المشهد الذى لم يكن من الممكن أن يتخيَّل أحدهم حدوثه .. أبدًا .

* * *

٤ـ التمـــزُّق ..

مع صرخة (مشيرة) المباغتة، شعرت (سلوى) بارتجاجة قوية عنيفة، في كل ذرة من كيانها، فأطلقت صرخة مكتومة بدورها، ومدَّت يدها، محاولة التشبُّث بأي شيء، ولكنها سمعت صوت ابنتها (نشوى) تصرخ:

ـ أمي.

ومع الصرخة، تلامست أصابعها، مع أصابع ابنتها..

ثم تشبَّثت كل منهما بيد الأخرى..

وانطلقتا..

قوة هائلة سحبت جسديهما، في عنف مباغت، كما لو أن قبضة عملاقة قد انتزعتهما بغتة، في قلب الفراغ الزمني المتعال..

ومع ذعرهما وارتياعهما، امتزجت صرختاهما، وجسداهما يهويان ويهويان، عبر الزمن والمكان..

والفراغ أيضًا..

كان الظلام الدامس يحيط بهما من كل جانب، حتى إنه من المستحيل أن ترى إحداهما الأخرى..

أو أن ترى حتى نفسها..

ولكن جسديهما كانا يهويان..

ويهويان..

ويهويان..

فراغ هائل بلا حدود، انهار خلاله جسداهما، وهما تصرخان..

وتصرخان..

وتصرخان..

ثم فجأة، استوقفهما شيء ما..

شيء مخملي الملمس، رقيق كالشبح، قوي كالصخر، في مزيج يستحيل أن تصفه بدقة..

أو أن تجد مثيلاً له، في عالم الواقع..

شيء أوقف اندفاعهما، وانهيارهما، وسقوطهما اللانهائي، في أعماق ظلمة بلا حدود، و...

« إنه أنا.. » ..

سمعا الصوت في وضوح، وسط الظلمة الدامسة، فارتجف جسداهما، وهتفت (نشوى):

- يا إلهى .. (محمود) ؟!

وهتفت (سلوى) :

- أهو أنت حقاً ؟!

أحاط بهم فجأة ضوء باهت مزرق ، سمح للمرأتين برؤية نفسيهما بصعوبة ..

ورؤية (محمود) أيضاً ..

وبكل لهفة الدنيا وذعرها ، هتفت (نشوى) :

- ماذا حدث يا (محمود) ؟! أين نحن ؟! أين الباقون ؟! أين أبى ، و(أكرم) ، و...

قاطعها ، فى مرارة شديدة :

- لست أدرى !

امتقع وجه (سلوى) ، وهى تقول :

- لست تدرى ؟! ماذا تعنى يا (محمود) ؟! ماذا أصابهم ؟!

تنهد فى أسى ، وقال :

- صرخة (مشيرة) مزقت حالة التآزر العقلى ، التى نجحتم فى بلوغها ، والتى أنقذت حياتى ، من براثن ذلك الخصم الشيطانى

الرهيب ، ومع التمزق المفاجئ ، تناثرت أجسادكم ، وسط الفراغ الزمنى المتداخل ، كما لو أن قنبلة قد انفجرت وسطكم .

ساءلت (سلوى) بصوت مرتجف :

- أتعنى أنهم هنا ، فى مكان ما ؟!

صمت لحظة ، ثم قال فى خفوت :

- ربما .

هتفت (نشوى) مذعورة :

- ربما ؟!!

أشار بيده فى أسى ، قائلاً :

- هذا كل ما أملك قوله .. فى الوقت الحالى على الأقل .

سألته (سلوى) ، فى لهفة مذعورة :

- وهل .. هل توجد وسيلة للاجتماع بالآخرين مرة أخرى ؟!

تردد لحظة ، قبل أن يجيب :

- ربما .

هتفت (نشوى) :

- لست أحتمل هذا الجواب .

أجابها فى حزم :

ـ ولست أملك سواه الآن .

قالت (سلوى) فى عصبية :

ـ (محمود) .. لابد أن تساعدنا .

قال فى مرارة :

ـ وهل أفعل سوى هذا يا (سلوى) ؟!

قالت (نشوى) فى سرعة :

ـ أمى تقصد أن تساعدنا فى إيجاد أبى والآخرين .

أشار بسبابته ، قائلاً :

ـ لاوقت لهذا للأسف .. فمع تفرقكم ، تمزقت تلك الفقاعة العقلية ، التى أحاطتكم بها عقول رهبان التبت ، والتى كانت الضمان الوحيد ، لعودتكم سالمين إلى العالم ، والآن لابد أن نبذل قصارى جهدنا ، لإعادتكم إلى العالم المادى ، قبل أن يعاود ذلك الوحش هجومه .

سألته (سلوى) فى ارتياع :

ـ وماذا عن (نور) والآخرين ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ سأبذل قصارى جهدى للبحث عنهم ، والسعى لإنقاذهم .

بدا الخوف على وجهيهما ، فتابع فى حزم :

ـ هذا وعد .. ثقا بى .

تنهدت (سلوى) فى أسى ، قائلة :

ـ ثقتنا بك هى كل ما نمتلك يا (محمود) .

وأضافت (نشوى) :

ـ ولكن كيف يمكن أن تعيدنا إلى عالمنا ؟!

انتفض جسد (سلوى) ، وهى تهتف :

ـ لن أعود بدون (نور) .

أجابها (محمود) فى حزم :

ـ بل ستعودين يا (سلوى) .. ستعودين من أجل ابنتك .. كما سنعود كلنا من أجل (نور) ، و(أكرم) ، و(مشيرة) ، والدكتور (جلال) ... بل من أجل الأرض كلها .. من أجل بقائها ومستقبلها .. من أجل حريتها واستقلالها .. عودتكما إليها ، ستصنع الرابطة التى أحتاج إليها ، بينى وبين الأرض ..

الرابطة التى قد تساعدنا فى هزيمة خصمى وخصمكم ، وخصم كوكبنا كله .. بل خصم البشرية بأكملها .

انخفض صوت (سلوى) ، وهى تقول فى تأثُّر :

ـ وكيف سنعود إلى الأرض ؟!

أجابها بنفس الخفوت :

ـ بالوسيلة نفسها يا (سلوى) .. بتآزر عقولنا واتحادها ، وإطلاق طاقاتها المجتمعة دفعة واحدة .

أمسكت (سلوى) يد ابنتها (نشوى) ، ومدت كلتاهما أصابعها إليه ، فتنهَّد ، قائلاً :

ـ ما تريانه أمامكما ليس جسدى العادى .. إنها صورة وهمية له ، يصنعها خيالكما ، لاستيعاب وجودى معكما .. يكفيكما أن تمسكا بأيديكما معًا ، وسيشارك عقلى بكل طاقته معكما .

أمسكت كل منهما يدى الأخرى ، وأغلقتا عيونهما لحظة ، ولكن (نشوى) عادت تفتح عينيها فجأة ، هاتفة :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

سألتها أمها فى قلق شديد :

ـ ماذا حدث يا (نشوى) ؟!

لوَّحت (نشوى) بكفها ، قائلة :

ـ لقد استعاد ذهنى فجأة ، ذلك المشهد المخيف .. مشهد خصمنا الرهيب بتلك العين المفزعة .. رباه ! أهذا حقيقى ؟!

التقط (محمود) نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ نعم يا (نشوى) .. إنه حقيقى .

ردَّدت فى ارتياع :

ـ يا إلهى ! مستحيل ! يا إلهى !

قال (محمود) فى صرامة :

ـ لا وقت لهذا يا (نشوى) .. لا وقت .

أومأت برأسها فى توتر ، مغمغمة :

ـ لا بأس .. لا بأس .

عادت تمسك يدى أمها ، وتُغلق عينيها فى قوة ، وتطلق العنان لعقلها بلا حدود ..

وفى سرعة تفوق المرة الأولى ، ربما بحكم الخبرة ، صفت العقول ، وتركَّزت ، وانطلقت ..

وفى نفس الوقت ، الذى اتصلت فيه العقول ، وبدأ انطلاقها ،

عبر الزمان والمكان، برزت من وسط الظلام الدامس فقاعة سوداء رهيبة، راحت تتدحرج في نعومة وصمت، نحو (محمود) مباشرة، وتقترب منه رويدًا رويدًا..

وتقترب..

وتقترب..

وكان من الواضح أن الخصم الرهيب قد قرّر شن هجوم جديد..

هجوم شامل..

وعنيف..

ونهائي..

* * *

فجأة، وبلا مقدمات، ومع الضوء الساطع، والفرقعة القوية، سقطت أجساد (مشيرة) و(أكرم) والدكتور (جلال)، وسط حطام مركز الأبحاث العلمية..

أمام العيون الذاهلة، انشق عنهم الفراغ بغتة، على ارتفاع متر واحد من سطح الأرض، ليسقط ثلاثتهم في عنف، وكل منهم يلهث في شدة، كما لو أنهم قد انتهوا على الفور، من سباق عدو طويل..

ولثوان ران على المكان كله صمت رهيب مهيب، قطعه القائد الأعلى للمخابرات العلمية، وهو يندفع نحوهم، هاتفًا:

- يا إلهي! لقد عادوا.. لقد عادوا..

صاح به الرئيس، عبر جهاز الاتصال، الذي لم يُغلق بعد:

- عادوا؟! هل تعني أن (نور) وفريقه قد ظهروا مرة أخرى؟!

أجابه القائد الأعلى في انفعال:

- ليس جميعهم يا سيادة الرئيس.. (أكرم) و(مشيرة) والدكتور (جلال) فحسب.. ولكنها البداية.. البداية يا سيادة الرئيس.

هتف به الرئيس في حماسة:

- قم بعملك هناك يا رجل.. سنرسل إليك رجال الإسعاف، وطاقم فحص خاصًا، من معامل رياسة الجمهورية، وأبلغنا بالتطورات أوّلاً فأولاً.

أنهى الرئيس الاتصال، فسأله وزير الدفاع في لهفة:

هل عادوا بالفعل؟!

أشار الرئيس بيده، قائلاً:

- الأمور تتطوّر فى الاتجاه الإيجابى أيها الوزير ، بعد عاصفة سلبية طويلة .

تساءل الوزير فى حذر :

- وما علامات ذلك التطوّر الإيجابى ، يا سيادة الرئيس ؟!

التقط الرئيس جهاز اتصال محدود ؛ ليلقى أوامره عبره ، وهو يجيب فى حزم واثق :

- جزء من الفريق عاد .

ثم ضغط أزرار الجهاز مضيفاً فى حزم أكثر :

- وهذا يعنى الكثير .. والكثير جداً .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها الرئيس عبارته ، كان (أكرم) يهب واقفاً ، وسط الحطام والخراب ، وعلى الرغم من الجراح التى أصابته ، من جراء السقوط ، وهو يندفع نحو زوجته (مشيرة) ، هاتفاً :

- رباه ! لقد عدنا .. لقد عدنا يا (مشيرة) .

هتف به القائد الأعلى ، فى لهفة متوترة :

- أين الباقون يا (أكرم) ؟!

احتضن (أكرم) زوجته ، التى ارتجفت فى شدة ، وهتف :

- لست أدرى .. حقيقة لست أدرى .

أما الدكتور (جلال) ، فقد قاوم ذلك الدوار المحيط به فى شدة ، وهو يهتف ، بكل انفعال الدنيا :

- لقد عدنا ؟! رباه ! لقد عدنا ! عدنا !!

صاح به القائد الأعلى :

- وأين كنتم بالضبط يا دكتور (جلال) ؟!

هزّ الدكتور (جلال) رأسه فى عنف ، وهو يهتف فى انفعال :

- أين كنا ؟! وكيف يمكننى أن أصف لك أين كنا أيها القائد ؟! أنا نفسى أجهل أين كنا ؟!

هتف به القائد الأعلى فى غضب :

- أريد وصفاً علمياً يا رجل .. وصفاً علمياً ، يا مدير مركز الأبحاث العلمية .. وصفاً علمياً .

لوّح الدكتور (جلال) بذراعه ، هاتفاً :

- ما كنا فيه لا يشبه أى مجال علمى معروف .

بدت الحيرة على وجه القائد الأعلى ، فى حين ارتجف جسد (مشيرة) ووجهها فى شدة ، وهى تهتف فى رعب :

- لقد عدنا يا (أكرم) .. عدنا .

ضمها (أكرم) إليه أكثر ، وهو يقول :

- نعم يا حبيبتى .. لقد عدنا .. كل شىء انتهى ، بالنسبة لنا .

دفعته عنها ، وهى تصرخ :

- ألم تفهم ؟! قلت لك : لقد عدنا .

بدت الدهشة والحيرة فى ملامحه ، وهو يتطلع إليها متسائلاً ، فصاحت مكملة ، فى صوت أقرب إلى البكاء :

- عدنا إليه ؛ ليواصل محاولات القضاء علىّ يا (أكرم) .

قالتها ، وانهارت باكية ، وهى تلقى نفسها مرة أخرى بين ذراعيه ، وتغمر صدره بدموعها ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتمتم فى عصبية :

- نعم .. لقد عدنا .

قالها ، وضمها إليه فى قوة ، ثم أبعدها فى رفق ، ونهض يقول للقائد الأعلى فى حزم صارم :

- سيدى .. أريد فريقًا علميًا ، مع برنامج رسم رقمى متقدم ، وبأقصى سرعة ممكنة .

بدت الدهشة على وجه القائد الأعلى ، وهو يقول :

- فريق علمى ؟! أنت يا (أكرم) ؟!

أجابه (أكرم) بمنتهى الحزم :

- نعم .. أنا يا سيدى .. أنا الهمجى رقم واحد ، فى فريق المقدم (نور) .. وسيدهشك فى الواقع كم سيمكننى أن أمنحكم من معلومات ، بشأن ذلك الوغد .

ثم شد قامته ، مضيفًا فى اعتداد :

- وسأثبت لكم جميعًا ، أننى أستحق تمامًا كونى عضوًا فى أفضل فريق مخابرات علمى عالمى .. أستحقه عن جدارة .

نطقها بحزم شديد ، وقوة مدهشة ..

وبإصرار ..

منتهى الإصرار ..

* * *

على الرغم من القوة والعنف ، اللذين يندفع بهما جسد (نور) ، عبر ذلك الفراغ الزمنى المتعادل ، ووسط تلك الظلمة الدامسة الرهيبة ، لم يتوقف عقله عن الانطلاق لحظة واحدة ..

لقد أدرك على الفور أن صرخة (مشيرة) ستفسد كل شيء ..

ولكنه لم يتصور أبدًا أن تصنع هذا الانفجار الزمنى المخيف ..

لقد انفصل عن الجميع ، وها هو ذا يهوى وسط الفراغ ..

ويهوى ..

ويهوى ..

ويهوى ..

وبقدرة مدهشة ، يندر أن يتمتع بها شخص عادى ، فصل عقله تمامًا عن جسده ، وانطلق به يفكر فى عمق ، ويدرس الموقف كله منذ البداية ، وحتى هذه اللحظة ..

وهنا ، بدا له أن خصمهم ليس جبارًا منيعًا ، كما بدا لهم منذ البداية ..

صحيح أنه قادر على السيطرة على العقول ، والأجساد ، ودفع البشر إلى القيام بأعمال رهيبة ، لا يمكن أن تخطر حتى بأذهانهم ، إلا أنه مازال عاجزًا عن الانتصار عليهم ..

ما زال هناك ما يفصله عنهم ..

وما يمنعه من بلوغهم ..

أما هم ، فقد توافرت لديهم معلومات عديدة عنه ..

إنه طفل مشوّه ، يمتلك مخين متصلين بقاعدة واحدة ، وحبل شوكى واحد ..

طفل وُلدَ بقدرات تفوق أى بشرىٍّ عادى ..

ولقد نبذه المجتمع كله من أجل هذا ..

نبذه ..

ورفضه ..

وقاومه ..

وفى النهاية ، تحقق للمجتمع ما أراده ..

وانفصل الطفل ..

والصبى ..

والشاب ..

والرجل أيضًا ..

انفصل عن المجتمع ، وبغضه ، واعتبره عدوًا له ..

عدوًا رهيبًا ، لابد من القضاء عليه ..

وبأى ثمن ..

نبذ المجتمع له ، ومعاملته له بازدراء واحتقار ، ورفضه لوجوده الممسوخ فيه ، أصابه بجنون ..

جنون اضطهاد عنيف ..

ورغبة وحشية ، في القضاء على المجتمع ..

والبشر ..

كل البشر ..

وفي سبيل هدفه الشيطاني هذا ، سافر إلى (التبت) ، وقضى عقدين من الزمان ، وسط رهبانه ..

وثلوجه ..

وصمته ..

وهناك تضاعف جنونه ألف مرة ..

وتضاعفت قوته ، ألف ألف مرة ..

عقدان من الزمان ، وضع خلالهما خطته ..

خطة السيطرة على الأرض ..

وسحق البشر بلارحمة ..

ولقد بدأ هجومه على نحو منظَّم ، لينشر دعايته في كافة أنحاء الأرض ، ويخبر الجميع أنه قد جاء ..

جاء لينتقم ..

ويدمِّر ..

ويسحق ..

بلا هوادة ..

وبلا رحمة ..

وبلا ...

ولكن مهلاً ..

توقَّف عقل (نور) بغتة ، عند تلك النقطة ، ليثب إلى أعماقه سؤال جديد آخر ..

سؤال ، بدا له أكثر أهمية ..

ألف مرة ..

لماذا بدأ على هذا النحو ؟!

لماذا بدأ بسياسة الخطوة خطوة ، مادام يمتلك هذه القوة المدهشة ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

كان من الممكن أن يبدأ هجومه مباشرة ، بحدث عنيف قوى ، يجذب إليه كل الأنظار ..

وكل الأفكار ..

وكل المخاوف ..

ولكنه لم يفعل ..

لم يبدأ بحدث قوي ..

بل بحدث محدود ..

محدود ، على الرغم من كل ما ارتبط به ، من أمور عجيبة مخيفة ، تتجاوز كل حدود العقل ..

وحدود العلم ..

وحدود المنطق ..

ثم سعى بعدها لنشر ما حدث عالمياً ، وبثه عبر كل الأقمار الإعلامية الدولية ؛ ليصل إلى كل بشرى ، على وجه الأرض ..

كان يحتاج إذن إلى الدعاية ..

إلى الانتشار ..

إلى الخوف ..

نعم .. إنه الخوف ..

خوف الناس مما يفعله ، هو الذى يمنح عقله القوة ..

مخه الجبار قادر على امتصاص كل المشاعر السلبية ، التى تنطلق من عقول البشر ، مع الخوف ، والفزع ، والقلق ، والحيرة ..

لهذا تزايدت قوته ، مع تزايد انتشار أخباره ..

تزايدت أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

هو الخوف إذن ..

الخوف هو مفتاح قوته ..

ونقطة ضعفه أيضاً ..

وبسرعة مدهشة ، وعلى الرغم من أن جسده يواصل السقوط ، على نحو مخيف ، داخل الفراغ الزمنى المتداخل ، راح

عقله يرتب الموقف كله ، ويعيد تنسيقه ، لتتضح الصورة أكثر ، و...

وفجأة ، انتفض جسده فى عنف ..

ثم راوده شعور بأن الفراغ من حوله قد تلاشى ..

وأنه قد سقط ..

سقط على أرض رخامية صلبة باردة ..

وبعدها ، أحاط به فجأة ضوء خافت ..

ضوء متراقص ، كما لو كان ضوء مجموعة من المشاعل القديمة ..

ولوهلة ، عجز عن فتح عينيه تماماً ، على الرغم من شعور جسده بنوع من الاستقرار المتزن ..

ثم دفع نفسه إلى التوازن ، وفتح عينيه ، وتطلّع إلى ما حوله ، و...

وقفزت دهشته إلى الذروة ..

ففى اللحظة التى فتح خلالها عينيه ، أدرك (نور) أنه قد انتقل بالفعل ، عبر الزمان والمكان ، إلى آخر مكان يمكن أن يتصوره ..

على الإطلاق .

* * *

٥ ـ الفزع صورة ..

تراجع وزير الدفاع ، في حركة حادة ، فى نفس الوقت الذى انعقد فيه حاجبا رئيس الجمهورية فى شدة ، وكلاهما يحدّق فى شاشة الكمبيوتر ، التى تحمل تلك الرسم الرقمى ، الذى صنعه برنامج احترافى خاص ، لصورة الخصم الرهيب ، الذى أذاق (مصر) كلها العذاب ، منذ ساعات طوال ، بدت وكأنها أبدية ..

وبكل دهشة وتوتر الدنيا ، تساءل الرئيس :

ـ أهذا ممكن ؟!

بدا الدكتور (جلال) عصبياً ، إلى حدٍّ كبير ، وهو يقول :

ـ ليس من الناحية العلمية أو الطبية المعروفة يا سيادة الرئيس ، ولكن ما عهدته ، خلال الساعات القليلة الماضية ، جعلنى أؤمن أنه ليس بالعلم وحده ، يمكن أن يقيس المرء ما يمرّ به من أحداث .

قال القائد الأعلى فى صرامة :

ـ تقصد ليس بالعلم المعروف وحده .

لوّح الدكتور (جلال) بيده ، قائلاً :

ـ فليكن .. أعلم أن القاعدة العلمية تقول : إن ما يبدو لنا

كالمعجزات أو الخرافات اليوم ، قد تجد له قواعد علمية ثابتة غداً ، ولكن كل ما مرّ بى شخصياً ، أمور يعجز كل علم درسته فى حياتى عن تفسيرها .

عاد الرئيس يشير إلى الرسم الرقمى ، قائلاً فى صرامة ، لم تخل من نبرة توتر :

ـ سألتك عن هذا .

عاد الكل يتطلّع إلى الرسم ، قبل أن يهزّ الدكتور (جلال) رأسه ، ويجيب فى عصبية :

ـ ما أمامنا أيها السادة ، هو رسم تصورّى ، بناء على الوصف الدقيق ، الذى أدلى به (أكرم) ، عضو فريق (نور) ، مما شاهده (عقلياً) ، فى أثناء وجودنا فى ذلك الفراغ الزمنى المخيف .. إنه رسم لرجل ، غرقت معظم ملامحه الأساسية فى ظلام عجيب ، ولكن رأسه الأصلع يبدو واضحاً ، بشكله المزدوج ، كما لو أنه ثمرة كمثرى ، مشقوقة من أعلى ... انظروا أيها السادة .. هنا يقبع مخ مزدوج .. مخ يتكوّن من ضعف عدد فصوص المخ البشرى العادى ، باستثناء فص أمامى واحد ، وكل هذه الفصوص تجتمع مرة أخرى ، عند قاعدة مخ طبيعية ، ومخيخ واحد ،

له نفس حجم المخيخ البشرى العادى ، وجسم صنوبرى واحد ، وكل هذا ينتهى بحبل شوكى طبيعى .. ووفقاً لرأى الفريق العلمى ، الذى استعان به (أكرم) ، فهذا المخ المزدوج ، أو نصف المزدوج ، يمكن أن يمنح صاحبه مميزات إضافية مدهشة ، وبخاصة فيما يتعلّق بسرعة استجابته للظروف المحيطة ، وقدرة مخه على نقل الإشارات ، من وإلى كل أجزاء وأطراف الجسم .

بدا وزير الدفاع ، وكأنما يقاوم توتراً عنيفاً فى أعماقه ، وهو يشير إلى منتصف جبين الوجه مبهم الملامح ، المرسوم على شاشة الكمبيوتر ، قائلاً فى اشمئزاز واضح :

ـ وما هذا بالضبط ؟!

صمت الدكتور (جلال) لحظة ، ازدرد خلالها لعابه ، قبل أن يجيب :

ـ عين .

انعقد حاجبا الرئيس أكثر ، فى حين هتف وزير الدفاع ، بكل توتر الدنيا :

ـ عين ثالثة ؟!

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا ، وأشار بسبّابته إلى تلك العين الثالثة ، فى منتصف جبهة ذلك الخصم الرهيب ، مجيبًا :

ـ نعم .. عين ثالثة ، فى منتصف الجبهة تمامًا .. أمر لا يمكن أن يحدث فى الطبيعة أبدًا ، ولكن بعض الأساطير القديمة وصفت الشكل نفسه ، بدون العينين الطبيعيتين(*) .. ووصفت عملاقًا بعين واحدة ، فى منتصف جبهته .. (سيكلوب) ، كما أسمته الأساطير ، ولكن ما وصفه (أكرم) ، لو أنه دقيق كما نتصوّر ، يوحى بأن هذه العين الثالثة عمياء .

تساءل الرئيس فى حذر :

ـ عمياء ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى سرعة :

ـ نعم يا سيادة الرئيس .. لون القرنية ، وثباتها فى منتصف العين ، يوحيان بأنها عمياء ، ولكن ..

تنحنح فى توتر ، قبل أن يضيف ، فى صوت مختنق مبحوح :

ـ ولكن هذا لا يعنى أنها لا ترى .

التفت إليه الكل ، فى دهشة مستنكرة ، عبّر عنها وزير الدفاع ، وهو يقول فى حدّة :

(*) حقيقة ..

ـ أى قول متناقض هذا بالضبط ؟! كيف يمكن أن تكون هذه العين الثالثة العجيبة عمياء ، ولكنها ترى ؟!

أشار الدكتور (جلال) بسبّابته ، وبدا أكثر عصبية وانفعالاً ، وهو يقول :

ـ ربما بدا هذا القول متناقضًا ، من زاوية العلم التقليدى ، أو قواعد الطب المعتادة ، ولكن الخبراء لديهم رأى آخر ، فى هذا الشأن .

سأله الرئيس :

ـ أى رأى هذا ؟!

عاد الدكتور (جلال) يشير إلى الرسم الرقمى على الشاشة ، مجيبًا :

ـ لو أن الرسم صحيح ، وفقًا لوصف (أكرم) ، فمن العسير أن يكون لهذه العين الثالثة عصب بصرى تقليدى ، إذ إنه من العسير تشريحيًا ، فى هذه الحالة ، أن يتصل عصبها البصرى بالعصبين البصريين ، للعينين العاديتين ، ثم إنه لو حدث هذا ، فستبدو الرؤية مرتبكة مشوّشة ، مع استقبال مركز الإبصار لصورة من ثلاثة مصادر مختلفة ، يصعب مزجها على نحو طبيعى ، إلا لو تحوّرت كل وظائف ذلك المخ المزدوج ،

بشكل يربك كل شيء .. لذا فقد افترض الخبراء ، أن هذه العين الثالثة تتصل بعصب خاص ، عبر عظام الجبهة ، بفص المخ الأمامي مباشرة ، وأن هذا بالتحديد ، ما يمنحه تلك القوة العقلية الفائقة .

صمت الكل تماماً ، بعد أن انتهى الدكتور (جلال) من حديثه ، وكلهم يحدقون في ذلك الرسم الرقمي ، قبل أن يقول وزير الدفاع فجأة :

ـ هذا مستحيل !

استدار إليه الكل في دهشة ، وتساءل القائد الأعلى :

ـ لماذا مستحيل ؟!

أجاب الوزير في توتر :

ـ هل تريدون إقناعي بأنه من الممكن أن يولد طفل ما بمخ مزدوج ، وعين ثالثة في منتصف جبهته ، دون أن تمتلئ الصحف ، في العالم أجمع ، بألف ألف خبر عنه ، أو تسجل المراجع الطبية حالته الفريدة الـ ..... المخيفة هذه !

أشار الدكتور (جلال) بيده ، قائلاً :

ـ مراجعتنا للسجلات أثبتت أن كل شيء قد تم على نحو دقيق

ورسمي تماماً ، وتم عمل كل الفحوص اللازمة للطفل ، باعتباره حالة تحوّر جنيني خاصة جداً ، وغير مسبوقة ، في أي مرجع طبي معروف ، ولكن الأمور تطوّرت على نحو عجيب للغاية بعدها .. الطبيب الذي أشرف على عملية الولادة ، لقي مصرعه في حادثة سير ، والأطباء الثلاثة ، الذين فحصوا الحالة وسجلوها ، التهمهم حريق غامض ، مع كل ما سجلوه من ملاحظات طبية ، ولم يتبقَّ سوى سجلّ الحالة الرئيسي ، والذي لم تعد له أهمية ، بعد أن اختفى الطفل وأبواه فجأة ، ولم يعثر لهم أحد على أثر .

قال الوزير في حدة :

ـ وماذا عن مسار حياته ؟! كيف لم يثر الاهتمام والانتباه ، بجمجمته المشقوقة ، وعينه الثالثة ، في منتصف جبهته ؟!

أجابه الدكتور (جلال) :

ـ نمو الشعر أخفى شق الجمجمة ، وجعل الأمر يبدو أشبه برأس مشوّه فحسب ، أما تلك العين الثالثة ، فقد تدرّب على إخفائها طوال الوقت ، بحيث تبدو مثل تشوّه ملحوظ ، في منتصف الجبهة .. تشوّه أشبه بتقطيبة سميكة ..

ثم التقط نفساً عميقاً ، قبل أن يضيف في توتر :

ـ من الواضح أنه قد قضى عمره كلــه ، يعانـــى من نبذ المجتمع له ، ونفوره الشديد منه .. وأنه الآن ينتقم .

ردّد الرئيس فى توتر :

ـ ينتقم ؟!

تنهّد القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ نعم ياسيادة الرئيس .. ينتقم منا جميعًا .. وبمنتهى العنف .

ران عليهم الصمت ، بضع لحظات أخرى ، قبل أن يغمغم الرئيس :

ـ يبدو أنه من العسير استيعاب أمر كهذا .

وافقه الكل بإيماءة رأس صامتة ، باستثناء الدكتور (جلال) ، الذى قال فى توتر :

ـ أمر طبيعى ياسيادة الرئيس .

هزّ الرئيس رأسه ، وقال :

ـ أريد استيضاح بعض الأمور ، من شاهد العيان نفسه .

ثم التفت إلى القائد الأعلى ، مستطردًا :

ـ من (أكرم) شخصيًا .

التقط القائد الأعلى جهاز الاتصال المحدود فى سرعة ، وهو يقول فى حزم :

ـ كما تأمر ياسيادة الرئيس .

وانشغل بإجراء الاتصال مع (أكرم) ، فى حين قال وزير الدفاع فى قلق واضح :

ـ الواقع أننى أتساءل ياسيادة الرئيس : لماذا نمرّ بحالة السكون المخيفة هذه ؟! إننى أشعر وكأنه ذلك السكون ، الذى يسبق العاصفة ، وأن ذلك الـ .. الـ .. المسخ الرهيب سيباغتنا بهجوم ساحق ماحق ، لا قِبل لنا به .

غمغم الدكتور (جلال) ، فى اضطراب واضح :

ـ هذا أخشى ما أخشاه ، وأكثر ما ...

قاطعه رئيس الجمهورية فجأة ، قائلاً :

ـ مهــلاً ..

قالها ، وهو يتطلّع فى قلق إلى القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، فاستدار إليه الجميع بحركة غريزية ، ورأوا تلك الانفعال العجيب على وجهه ، والذى جعل الرئيس يسأله فى توتر :

ـ أهناك أمر ما ، يتعلّق بـ (أكرم) ؟!

استدار إليه القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ لن يمكنك أن تصدّق ، ما فعله ذلك المجنون يا سيادة الرئيس .. لن تصدّق أبدًا ..

وكانت صدمة جديدة ..

وعنيفة ..

★ ★ ★

أفكار عديدة ، تدفّقت في عقل (أكرم) ، على نحو شديد التوتر ، وهو يضمّ زوجته الخائفة المرتجفة إلى صدره ، بعد أن أدلى بكل ما لديه لفريق الأطباء والخبراء ، وخبير الرسم الرقمي الإليكتروني ، حول ذلك الخصم الرهيب ..

كان يشعر بغضب لا محدود في أعماقه ، وهو يستعيد كل ما حدث ..

المواجهات العنيفة ..

السيطرة التامة على عقل (مشيرة) ..

وعقل (نور) ..

وعقول الآخرين ..

دماء الضحايا ..

تدمير مبنى إدارة الأبحاث العلمية ..

الهجوم على المخابرات العلمية نفسها ..

الراهب التبتي ، الذي دفع حياته ، في سبيل واجبه ..

الفراغ الزمني المتعادل ..

الضياع في نهر الزمن ..

التمزّق ..

وصرخة الرعب ، التي أطلقتها (مشيرة) ..

وتضاعفت موجة الغضب في أعماقه أكثر وأكثر ..

صحيح أنه قد عاد إلى عالمه ، ولكنه فقد الباقين ..

فقد (نور) ، و(سلوى) ، و(نشوى) ، و(رمزي) ..

ربما يعودون ..

أو لا يعودون ..

لم يعد هناك أمر واضح ..

أو مؤكّد ..

أو مضمون ..

إنهم يواجهون خصمًا رهيبًا ، حقيرًا ، لا يمكنك أن تأمن جانبه ، مهما حدث ، ومهما تطوّرت الأمور ..

خصم حاول باستماتة أن يقتل زوجته (مشيرة) ، ليدفن معها سره إلى الأبد ..

ربما هو ذلك السر ، الذى كشفته عقولهم ، فى رحلتهم الذهنية ، مع ذلك الراهب التبتى ، أو عبر انطلاقتهم العقلية ، داخل الفراغ الزمنى المتعادل ..

أو هو سر آخر ..

سر لم ينكشف بعد ..

سر هو من القوة ، بحيث يحتاج إلى حماية مستميتة ..

أو إلى القتل ..

قتل كل من يكشفه ..

وبلا رحمة ..

وهذا يعنى أنه لن يترك (مشيرة) وحالها أبدًا ..

سيعاود المحاولة حتمًا ..

محاولة القضاء عليها ..

سيحاول مرة ثانية ..

وثالثة ..

وعاشرة ..

ولن يتوقّف حتى يظفر بها ..

أو يظفر هو به ..

تحوّل غضبه كله إلى طاقة هائلة ، عربدت فى عروقه ، وبعثت فيها قوة بلا حدود ، جعلته يضمّ زوجته إلى صدره أكثر ، وهو يتمتم فى حزم صارم :

ـ نعم .. هذا هو الحل الوحيد .

سألته (مشيرة) ، فى ذعر واضح :

ـ عن أى حل تتحدث يا (أكرم) .

تطلّع إلى وجهها بضع لحظات ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ لا يبدو لى هناك حل سواه يا عزيزتى .

سألته مذعورة ، وقد أخافتها صرامة ملامحه الشديدة :

ـ حل لماذا ؟!

تطلّع إلى عينيها مباشرة هذه المرة ، وهو يقول :

ـ لابد أن أظفر به .

ردّدت فى حيرة هلعة :

ـ تظفر به ؟!

أومأ برأسه ، مجيبًا بكل الحزم :

ـ نعم يا عزيزتى .. هذا هو الحل الوحيد .

قبّلها ، وأبعدها عن صدره فى رفق ، ثم نهض يسأل أقرب رجال الأمن إليه :

ـ إنكم لم تجدوا ذلك الوغد ، عندما اقتحمتم وكره .. أليس كذلك ؟!

أومأ رجل الأمن برأسه ، قائلاً :

ـ بلى يا سيدى .. المكان كان خاليًا تمامًا ، ومظلمًا إلى حد مخيف .. إلى حد .. إلى حد ..

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يسأله :

ـ إلى حد غير عادى .. أليس هذا ما تقصده ؟!

ازدرد الرجل لعابه ، وقال فى توتر ، وكأنه يستعيد ذكرى تلك اللحظات الرهيبة :

ـ بلى يا سيدى .. كان ظلامًا رهيبًا ، مخيفًا ، يبدو وكأن أضواء الدنيا كلها لا تكفى لتبديده .

ازداد انعقاد حاجبى (أكرم) ، وهو يغمغم :

ـ بالتأكيد .

هتفت به (مشيرة) ، بكل توتر الدنيا :

ـ ماذا هناك يا (أكرم) ؟!

تطلّع إليها لحظة فى صمت ، قبل أن يقول فى هدوء عجيب .. هدوء لم تعتده منه قط :

ـ اطمئنى يا عزيزتى .. لن يظفر بك ذلك الوغد قط .

سقط قلبها بين قدميها ، وهى تسأله :

ـ ماذا تعنى ؟!

ارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة ، ومدّ راحته ، يربّت بها على خدها ، قائلاً :

ـ مهما كان الثمن .

ارتجفت كل ذرة من كيانها ، وهى تسأله فى رعب :

ـ (أكرم) .. ماذا تنوى أن تفعل ؟!

مال نحوها ، حتى شعرت بأنفاسه الحارة ، وهو يجيب :

ـ لن أنقذك من ذلك الوغد يا حبيبتى .

هتفت به :

ـ ماذا تعنى بالله عليك ؟!

اعتدل بحركة حادة ، والتفت إلى طاقم رجال الأمن ، المسئول عن حمايتهما ، وقال فى صرامة شديدة :

ـ اعملوا على حمايتها بأرواحكم .

ثم أضاف فى مرارة :

ـ لو أن هذا ممكن .

اعتدل الرجال بحركة عسكرية واحدة ، ورفع أكبرهم رتبة يده بالتحية ، وهو يقول فى قوة :

ـ اطمئن يا سيدى .

مط شفتيه ، متمتمًا :

ـ سأحاول .

قالها ، واندفع خارج المكان ، فصاحت به (مشيرة) فى ارتياع :

ـ (أكرم) .. أرجوك .

ولكنه لم يسمع صيحتها ..

أو لم يتوقّف عندها ..

لقد اندفع خارج المكان ، ووثب داخل سيارته ، وانطلق بها مبتعدًا ، وذهنه لا يحمل سوى فكرة واحدة ..

القضاء على ذلك الخصم الرهيب ..

وبأى ثمن ..

ومع تلك الفكرة الواحدة المنفردة ، قاد سيارته إلى منزله ، وأوقفها أمامه ، ووثب منها إلى داخله ، واتجه إلى حجرة مكتبه مباشرة ، وتوقّف أمام لوحة قديمة على أحد جدرانه ، مغمغمًا :

ـ اعترف يا (أكرم) أنك همجى بالفعل ، بالنسبة إلى هذا العصر ، الذى سيطر فيه العلم على كل شىء .. اعترف بأنك مازلت تعشق الوسائل القديمة ، وتميل إليها دومًا .

ثم ضغط زرًا مجاورًا للوحة القديمة ، مستطردًا :

ـ حتى فى إخفاء مقتنياتك الشخصية .

تزاحت اللوحة القديمة ، لتكشف خلفها تجويفًا بالجدار ، وهو يتابع فى هدوء عجيب للغاية :

- لوحة تخفي مقتنياتك .. فكرة استهلكتها أفلام السينما ، منذ قرن كامل من الزمان ، ولكنك مازالت تميل إليها ؛ لأنك في أعماقك همجي يا (أكرم) .. همجي حقيقي ..

مدّ يده داخل ذلك التجويف ، والتقط منه مسدسين ، دسّهما في حزامه من الجانبين ، ثم جذب مدفعًا آليًا قصيرًا ، وحزامًا من القنابل اليدوية الصغيرة ، قبل أن يلتقط نفسًا عميقًا ، ويقول في حزم :

- هيا أيها الوغد .. استعد لهذه المواجهة الجديدة مواجهة بين عقلك .. وعقلي .

حمل أسلحته ، واندفع بها إلى خارج المنزل ، وتوقّف لحظة أمام سيارته ، ثم رفع رأسه إلى أعلى ، وهتف :

- لست أدري أين أنت الآن يا (نور) .. لست أدري أين أنتم جميعًا يا رفاق ، ولكنني سأفعلها من أجلكم .. من أجلكم جميعًا .. سأواجه ذلك الخصم الرهيب ، بأسلوب لم يتوقّعه أو يتخيّله ..

والتقط نفسًا عميقًا آخر ، ليضيف بمنتهى الحزم والصرامة :

- أسلوبي أنا .

قالها ، ثم وثب داخل سيارته ، وأدار محركها ، وانطلق بها نحو هدف حدّده مسبقًا ..

وبهدف ، حدّده بكل إصراره ..

وحزمه ..

وإرادته ..

وكل ما ركّز عليه ذهنه ، وهو ينطلق نحو هدفه ، هو أن يمحو من عقله كل الأفكار ..

أن يوقف كل لمحة ، تنبت في أعمق أعماق مخه ..

وهذا حتى تحين المواجهة ..

المواجهة التي قرّر أن يدفع فيها ثمنًا باهظًا ، دون ذرة واحدة من التردُّد ..

حياته .

* * *

٦ ـ العقـــول ..

فى صمت مهيب ، التف رهبان ذلك المعبد البوذى القديـم ، فى أعماق جبال وثلوج (التبت) ، فى دائرة منتظمة واسعة ، حول ساحة المعبد الرخاميـة ، واتجهت عقولهم كلها نحو مركزها ..

حيث استقر (نور) ..

ولدقيقة كاملة أو يزيد ، لم ينبس (نور) ببنت شفة ، وهو يجلس على الأرضية الباردة كالثلج ، ويدير عينيه فى وجوه الرهبان ، وفى أرجاء المعبد العريق ، وكل ذرة فى كيانـه تتساءل ، عما إذا كان ما يراه من حوله حقيقة ، أم أنها صـورة ذهنية أخرى ، أو ...

« إنها حقيقة .. » ..

دوى الجواب فى عقله ، فور سريان التساؤل فى أعماقـه ، فشعر بقشعريرة باردة تسرى فى جسده ، وهو يقول فى خفوت :

ـ أين أنا بالضبط إذن ؟!

« فى معبد تبتى .. » ..

أتى الجواب إلى عقله أسرع مما ينبغى ، وبدت له الوجوه

كلها من حوله جامدة متشابهة ، حتى ليستحيل أن يدرك من منها يخاطبه بالضبط ، لذا فقد تنحنح ، محاولاً إزالة توتره ، وهو يتساءل فى حذر :

ـ أهو نفس المعبد ، الذى نشأ هو فيه ؟!

« لقد طوَّر قدراته فى مكان مماثل .. » ..

كم يدهشه هذا الأسلوب التخاطرى ، الذى يمنحـه أجوبـة واضحة جلية ، فور إلقائه السؤال ، وعلى نحو لا يمكنه معـه تحديد صوت أو هوية ..

فقط يأتى الجواب إلى عقله ..

وإلى أذنيه ..

وإلى كيانه كله ..

ولثوان أخرى ، لاذ بالصمت ، محاولاً ترتيب أفكاره ، قبل أن تنفرج شفتاه ؛ ليقول شيئًا ما ..

ثم لم يفعل ..

فكرة ما ، وثبت إلى ذهنه ، وجعلته يطبق شفتيه مرة أخرى ، ليتساءل عبر عقله وحده :

ـ وكيف أتيت إلى هنا ؟!

انساب الجواب إلى عقله هادئاً هذه المرة ..

« نحن أحضرناك إلى هنا .. » ..

أغلق عينيه فى استرخاء ، متسائلاً بعقله :

ـ ولماذا ؟!

قبل حتى أن يكتمل تساؤله ، برز الجواب فى أعماقه ..

« أنت الزعيم .. ونحن نحتاج إلى همزة وصل .. »

تساءل عقله ، فى حذر قلق :

ـ وما المقصود بهمزة وصل ؟!

« عقل جيد ، ننقل عبره موجاتنا ، من هنا إلى (مصر) ، ومنه إلى عقل خصمكم وخصمنا .. »

تضاعف قلقه ، وعقله يتساءل :

ـ وهل تعتقدون أن عقلى يصلح لهذا ؟!

« إنه يصلح بالتأكيد .. »

أدهشته تلك الثقة الشديدة ، فى الجواب الذى استقبله عقله ، فتساءل :

ـ وما الدليل على هذا ؟!

« ما فعلته بإرادتك الآن .. » ..

لوهلة ، لم يفهم ما يعنيه هذا ، ثم لم يلبث أن استوعب الموقف كله دفعة واحدة ..

نعم .. هو فعلها الآن ..

وبإرادته ..

شىء ما ، دفعه إلى أن يفعلها ..

أن يستخدم عقله ، بدلاً من لسانه ..

« غريزتك دفعتك إلى استخدام عقلك .. موروث جينى قديم ، فى أعماق خلايا مخك ، جعلك تدرك أنك قادر على هذا .. » ..

لم يكن هذا يحمل تفسيراً منطقياً للموقف ..

ولكن (نور) اكتفى به ..

اكتفى بما حمله من كلمات غير واضحة ..

وغير مباشرة ..

هذا لأن شيئاً ما ، فى أعمق أعماق عقله ، أو حتى أعمق أعماق كيانه ، أنبأه بأن ما فعله كان غريزياً بالفعل ..

شىء ما ، أخبره أنه قادر على هذا ..

قادر على التخاطب بعقله وحده ..

ولكنه ، وعلى الرغم من هذا ، تساءل فى اهتمام :

ـ ألا يستطيع البشر كلهم هذا ؟!

ألقى التساؤل بعقله ، وهو يدفع جسده كله إلى الاسترخاء ، فى مركز تلك الدائرة ، وشعر وكأن عقله قد تحرّر ، وانطلق ، على نحو لم يحدث بإرادته من قبل ..

« بدرجة أو بأخرى .. ولكن عقلك يختلف .. عقلك اعتاد استنفار كل طاقاته ، إذا ماحتمت الظروف هذا .. اعتاد الترتيب ، والتدبير ، والتنسيق .. اعتاد الاستنتاج ، والاستنباط والتحليل .. وككل أعضاء الجسم الأخرى ، كل شىء ينمو بالاستخدام ، ويضمر بالإهمال ، وأنت وضعت عقلك فى حالة من التدريب المستمر ، والنشاط المتواصل ، فنما ، وتطوّر ، وأصبح مؤهلاً لتفجير كافة طاقاته ، عندما تستلزم الأمور هذا .. »

استرخت حواسه كلها ، مع هذا التفسير الطويل ، وراح عقله يرتب الموقف كله كعادته ..

وينسّقه ..

ويحلّله ..

و ...

« أرأيت !! » ..

التقط نفساً عميقاً ، فى محاولة للحفاظ على استرخاء جسده ، وهو يتساءل ، من تلافيف مخه :

ـ وبِمَ يمكن أن يفيد هذا ، فى مواجهتنا ، مع ذلك الخصم الرهيب ؟! كيف يمكن أن نستغل تلك التطورات فى عقلى ، لهزيمته ، أو تحجيمه ، أو السيطرة على وحشيته اللامحدودة ؟!

« لدينا وسيلة .. » ..

لم يرق هذا الجواب المقتضب لـ (نور) ، فتساءل فى سرعة :

ـ أية وسيلة ؟!

« إنه يستنفر كل قواه وطاقاته الآن ، للصراع مع رفيقكم (محمود) ، داخل الفراغ الزمنى المتفاعل ، وهذا لا يمنحه قدرة إضافية ، على السيطرة على الأمور هنا ، فى هذا العالم .. وهذا يمنحنا فرصة مثالية للانقضاض عليه .. »

خفق قلب (نور) فى قوة ، وهو يتساءل بعقله :

ـ أتعنى أن باستطاعتنا أن نشن هجوماً عليه الآن ، قبل أن يستعيد سيطرته على الأمور .

« ليس بهذه البساطة .. »

بدا الجواب محبطاً إلى حد ما ، فتساءل فى ضيق :

ـ كيف إذن ؟!

« إنه أقوى مما تتصور ، وقدرته على حماية نفسه تفوق قدراتنا مجتمعين ، كما أن عقله قادر على القفز إلى مستويات ، يستحيل أن يبلغها سواه ، لذا فحتى مع انشغاله بتلك المعركة ، خارج حدود الزمان والمكان ، مازال قادراً على حماية وجوده ، وإحاطة نفسه بكل ما يلزم ؛ لضمان البقاء ، واستعادة السيطرة عند اللزوم .. »

تضاعف شعور الإحباط فى أعماقه ، فكرّر فى مرارة :

ـ كيف إذن ؟!

« سنخبرك .. »

وعلى نحو عجيب ، ومع نهاية تلك الكلمة ، التى رددتها خلايا مخه الدفينة ، بدأ سيل من المعلومات ينساب إلى عقله ..

وينساب ..

وينساب ..

ومع جلسته الهادئة المسترخية ، أخذ عقله ينهل من فيض المعلومات ، ويستوعب ..

ويدرس ..

ويرتب ..

ثم شعر أخيراً بقوة عجيبة تسرى فى عروقه ..

فى عقله ..

فى كيانه كله ..

قوة المعرفة ..

والمعلومات ..

وبكل حماسه ، قال عقله :

ـ لو استطعنا تحقيق هذا ، ستنقلب الأمور كلها رأساً على عقب ..

« ولكن هذا يستلزم عودتك أولاً إلى هناك .. » ..

تساءل عقله فى قلق :

ـ هناك ؟!

« إلى (القاهرة) .. » ..

أراد أن يتساءل ، كيف يمكنهم إعادته إلى (القاهرة) ، وهو يجلس الآن ، فى أعماق جبال وثلوج (التبت) ..

ولكنه لم يفعل ..

شيء ما ، في أعمق أعماقه ، جعله واثقاً من أنه باستطاعتهم هذا ..

لقد انتزعوه من ذلك الفراغ الزمني المتعادل ، عبر الزمان والمكان ، وأتوا به إلى معبدهم ..

ولن يصعب عليهم نقله إلى (القاهرة) ..

كل ما عليه ، حسبما تلقى عقله ، هو أن يسترخي ..

ويسترخي ..

ويسترخي ..

أما هم ، فقد تركزت أفكارهم عليه ، وانطلقت عقولهم نحوه ..

بكل قوتها ..

وكل طاقتها ..

وكل إرادتها ..

وأغلق (نور) عينيه ، وجلس صامتاً ، ساكناً ، و ...

وفجأة ، دوت فرقعة محدودة في المكان ..

فرقعة أتت من مركز الدائرة بالضبط ..

وبعدها اختفى جسد (نور) ..

اختفى تماماً ..

* * *

تركزت أفكار (سلوى) و(نشوى) بشدة ، وكلتاهما تمسك يدي الأخرى ، داخل ذلك الفراغ الزمني المتعادل ، و(محمود) يشاركهما عقله وطاقته ؛ لتمتزج قوى ثلاثتهم ، و ...

وفجأة ، سيطرت على عقل (نشوى) صورة واحدة ..

كانت مغمضة العينين ، غارقة في ظلام دامس ، وعلى الرغم من هذا ، فقد رأت تلك الفقاعة المظلمة المخيفة ، وهي تنحدر نحو (محمود) .. نحوه مباشرة ..

كانت الصورة واضحة جلية ، حتى إنها وجدت نفسها تهتف :

ـ احترس يا (محمود) ..

لم تتجاوز العبارة شفتيها ، ولكنها انطلقت في أعمق أعماق مخها ..

ومن أعمق أعماق عقلها ..

انطلقت عبر تلك الشبكة ، التي صنعتها عقولهم المشتركة ، لتبلغ عقلي (سلوى) و(محمود) ..

كلاهما رأى الصورة نفسها ..

رأى الفقاعة المظلمة تتدحرج نحو (محمود) :

وثلاثتهم أدرك ما يعنيه هذا ..

وعلى الرغم من معرفتهم الواضحة ، وإدراكهم التام ، قال (محمود) فى حزم صارم ، عبر شبكة الاتصال العقلية :

ـ لا تباليا بما يحدث .. ركزا أفكاركما فحسب .. ركزاها على فكرة الخروج من هنا .. الخروج بأى ثمن ..

حاولت (سلوى) أن تلتزم بأوامره ..

حاولت ..

وحاولت ..

وحاولت ..

وكذلك فعلت (نشوى) ..

ولكن الفقاعة المظلمة كانت تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

لذا ، كان من الطبيعى أن تنهار تلك الشبكة العقلية ، مع ذلك الانفعال الجارف ..

الخوف ..

وفى آن واحد ، وبدون اتفاق مسبق ، تركّزت أفكار (سلوى) و(نشوى) على تلك الفقاعة المظلمة ..

وبكل توتره ، هتف (محمود) :

ـ لا .. لا تفعلا .

وفى نفس اللحظة ، التى انطلق فيها هتافه ، انقضت عليه تلك الفقاعة الرهيبة المظلمة ..

بمنتهى العنف ..

ومنتهى الشراسة ..

ومع انقضاضتها ، التقت (نشوى) إحدى يدى أمها ، صائحة :

ـ لا .

انتفض جسد (سلوى) فى عنف ، مع صيحة (نشوى) ، واتسعت عينيها عن آخرهما ، وحدقت فى تلك الفقاعة الوحشية المظلمة ..

حدقت فيها لحظة واحدة ..

ثم انسحب جسدها فجأة ..

وبمنتهى العنف ..

وبكل قوتها ، تشبثت بيد (نشوى) ، التى أطلقت صرخة أخرى مذعورة ، وهى تشعر بجسدها ينسحب فى وحشية ، عبر الفراغ الزمنى المتعادل ..

كان شعوراً عجيباً عنيفاً ، يختلف تماماً عن المرة السابقة ، وجسداهما يندفعان فى اتجاه مبهم ، نحو شىء ما ، و ...

وفجأة ، ظهر (محمود) بينهما فى وضوح ..

وعندئذ .. عندئذ فقط ، أدركت (سلوى) و(نشوى) أين هما بالضبط ..

إنهما داخل تلك الفقاعة المخيفة ..

ثلاثتهم داخلها ..

وبكل رعب الدنيا ، هتفت (سلوى) :

ـ لقد ظفر بنا !

هتف (محمود) فى إصرار :

ـ ليس بعد .

صاحت (نشوى) :

ـ كيف ؟! إنه يبتلعنا بالفعل .

هتف (محمود) :

ـ إنه يحاول أن يبتلعنا .

صاحت (سلوى) :

ـ وما الذى يمنعه ، أو يمكن أن يمنعه ؟!

هتف بكل قوته :

ـ نحن .

على الرغم من إصراره وثقته ، شعرت (سلوى) و(نشوى) بأنهما تهويان فى أعماق سحيقة ..

سحيقة ..

سحيقة بلا قرار ..

وأن قوة هائلة تضغط على عقليهما ..

وتعتصر مخيهما ..

بلا توقُّف ..

وبلا رحمة ..

ولكن (محمود) هتف :

- قاوما .. قاوما خوفكما .. الخوف والانفعال هما سلاحه ، للسيطرة على عقولنا ومشاعرنا .

ارتجفت كل ذرة فى جسد (نشوى) ، وهى تهتف :

- نقاوم خوفنا ؟! كيف ؟!

مع آخر حروف كلماتها ، ظهر ذلك الوجه الرهيب فجأة ..

وجه خصمهم ..

ذلك الوجه ، الذى تغرق ملامحه فى ظلام مبهم ، فى حين تبدو جمجمته المشقوقة المزدوجة واضحة ، مع تلك القطبية السميكة ، فى منتصف الجبهة تماماً ..

وهتف (محمود) بحزم أكثر :

- قاوما .

ولكن تلك العين الثالثة ، انفتحت فجأة ..

وتطلّعت إلى ثلاثتهم مباشرة ..

وشهقت (سلوى) ، على الرغم منها ..

وانتفض جسد (نشوى) ..

وصرخ (محمود) :

- لاتساعداه على هزيمتنا .. إنه مجرّد وهم .. ماترياه مجرّد وهم .. وهم ..

مع صرخته ، تضاعف حجم الوجه الرهيب أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وتعاظمت تلك العين الثالثة المخيفة ، فى منتصف الجبهة ..

العين العمياء بصرياً ..

والحادة ذهنياً ..

وعقلياً ..

ووحشياً ..

ومع تعاظمها ، اتسعت عيون (سلوى) و(نشوى) بشدة ..

اتسعت بكل رعب الدنيا ..

وفى يأس مرير ، صاح (محمود) لآخر مرة :

- قاوما ..

كان يدرك أن صيحته لاقيمة لها ، وأن ذلك الخصم الرهيب

المخيف قد نجح تمامًا ، فى السيطرة على الموقف هناك ، فى عالم الأرض ، وهنا أيضًا ، فى الفراغ الزمنى المتعادل ..

وهو لايدرى كيف اكتسب هذه القوة المذهلة ..

كيف تجاوز كل حدود القوة ، وكل أسوار العقل ، وكل مستوى بلغه أى بشرى من قبل ..

وخصم كهذا ، تصبح هزيمته عسيرة ..

بل مستحيلة ..

مستحيلة تمامًا ..

ولكنه لن يستسلم ..

لن يسمح له بالتهام (سلوى) و(نشوى) والسيطرة على مقادير كوكب الأرض ..

لن يسمح له أبدًا ..

ومن حوله وحولهما ، بدأت الصورة تتشكَّل ، وعاد يشعر بجسده ، الذى فقده منذ فترة طويلة ..

وبدأ الضوء يتسلَّل إلى الظلمة الدامسة ..

وفى ذعر ، هتفت (سلوى) :

ـ أين نحن الآن ؟!

كانت تشعر وكأنها تلامس الأرض بقدميها بالفعل ، وأنها تقف داخل حجرة ما ، أو قاعة ما ..

قاعة يحيط بمعظمها ظلام عجيب مخيف ، لايبدِّد أطرافه سوى ضوء باهت خافت ، لايكاد يكشف ذلك الجالس فى المنتصف ..

واختفت تلك العين الثالثة الرهيبة ، التى كانت تحتل الفراغ كله ، وتهيمن على المشاعر كلها ..

وغمغمت (نشوى) فى ارتياع :

ـ لقد جلبنا إلى مكمنه .

قال (محمود) فى حزم :

ـ وهم .. مجرَّد وهم ..

سألته (نشوى) فى ارتياع ، وهى تحدِّق فى ذلك الخصم الجالس القرفصاء فى صمت :

ـ وهم ؟! أأنت واثق ؟!

لم تكد تتم تساؤلها ، حتى فتح ذلك الخصم عينيه فجأة ..

وحدقت العيون الثلاث فى وجهى (سلوى) و(نشوى) ..

ثم تألقت ..

العيون الثلاث تألقت بغتة ، على نحو انتفض له جسد (سلوى) ، وتجمّد معه جسد (نشوى) ، و ...

« لا .. لن تفعلها أيها الوغد .. »

انطلقت صرخة (محمود) بغتة ، ورأته (سلوى) و(نشوى) ، فى الصورة الوهمية المحيطة بهما ، وهو يندفع نحو تلك الخصم ، الجالس القرفصاء ، ثم ينقضّ عليه بمنتهى العنف ..

واستدارت عيون الخصم الثلاث إليه ..

وتألقت أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ولكن (محمود) وثب نحوه ..

وغاص فى جسده ..

نعم .. غاصت ذرات جسده الوهمى ، فى صورة الخصم الرهيب ، كما لو أنهما صورتان هولوجراميتان تمتزجان فى الهواء ..

وصرخت (سلوى) ..

وشهقت (نشوى) ..

وتألقت عيون الخصم الرهيب ..

وتألقت ..

وتألقت ..

ثم انطلقت فى الفراغ الزمنى المتعادل صرخة ..

صرخة حملت كل ألم ، وعذاب ، وذعر الدنيا كله ..

صرخة حملت صوت (محمود) ..

وعلى الرغم من أن جسده قد ذاب تمامًا ، داخل جسد خصمه ، أدركت (سلوى) و(نشوى) أنه يتعذّب ..

ويتعذّب بشدة ..

وهذا يعنى أن الخصم قد انتصر ، فى معركة العقول ، داخل الفراغ الزمنى المتعادل ..

انتصر انتصارًا ساحقًا ..

للغاية ..

* * *

٧ـ الانطلاقة ..

انهمرت الدموع من عينى (مشيرة) فى غزارة ، وهى تقف أمام الدكتور (جلال) ، فى أحد المقار الاحتياطية للمخابرات العلمية المصرية ، وتلوّح بكفيها ، قائلة :

ـ لست أدرى أين ذهب (أكرم) بالضبط .. كل ما قاله هو أنه سيفعل هذا من أجلى .

سألها الدكتور (جلال) فى لهفة متوترة :

ـ سيفعل ماذا ؟!

بكت فى حرارة أكثر ، مجيبة :

ـ سيظفر به .

ردّد الدكتور (جلال) مبهوتًا :

ـ يظفر به ؟! بمن .

لوّحت بكفيها فى الهواء ، محاولة البحث عن جواب ما ، ثم لم تلبث أن هتفت فى عصبية :

ـ به ؟!

لم يكد الدكتور (جلال) بحاجة فعلية إلى الجواب ، إلا إنه ، وعلى الرغم من هذا ، لم يكد يسمع ما قالته ، حتى تراجع بحركة حادة ، وامتقع وجهه بشدة ، وهو يكرّر :

ـ به ؟! يا إلهى ! يا إلهى !

ثم أمسك ذراعيها فجأة ، صائحًا :

ـ ولكن كيف سيفعل هذا ؟! وأين ؟!

هزّت رأسها فى قوة ، هاتفة :

ـ لست أدرى .. لست أدرى .

تراجع الدكتور (جلال) فى توتر بالغ ، ولكن أحد رجال الأمن اتجه نحوه ، وأدى التحية العسكرية فى قوة ، قائلا :

ـ تقرير تتبُّع السيِّد (أكرم) يا سيدى .

التفت إليه الدكتور (جلال) فى لهفة ، فى حين هتفت (مشيرة) :

ـ هل عثرتم عليه ؟!

أجاب رجل الأمن فى سرعة :

ـ لقد انطلق بسيارته إلى منزله ، وقضى هناك بضع دقائق ، ثم انطلق بعدها إلى جهة مجهولة .

سأله الدكتور (جلال) فى عصبية :

ـ ما الذى تعنيه بجهة مجهولة ؟! (أكرم) يقود سيارة عتيقة الطراز ، سهل تعقبها ورؤيتها ، أيًا كان موقعها ، والمفترض أن حوامات المراقبة يمكنها رصدها ، حتى ولو أخفاها أسفل جبل هائل !

أجابه رجل الأمن :

ـ السيارة تم العثور عليها يا سيدى ..

هتفت (مشيرة) فى انزعاج :

ـ ماذا إذن ؟!

أجابها الرجل فى سرعة :

ـ لم يكن السيد (أكرم) داخلها .

انعقد حاجبا الدكتور (جلال) فى شدة ، فى حين امتقع وجه (مشيرة) فى شدة ، وهى تقول :

ـ أين هو إذن ؟!

هز الرجل رأسه فى توتر بالغ ، قائلاً :

ـ لا أحد يدرى .

شعرت (مشيرة) بساقيها تعجزان عن حملها ، فتركت جسدها يسقط على المقعد الوثير خلفها ، وعادت تبكى فى عنف ، فى حين قال الدكتور (جلال) فى توتر :

ـ ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟! إنه لم يختف .. أليس كذلك ؟!

ظل رجل الأمن صامتًا ، معلنًا بأسلوب سلبى ، أنه لايمتلك جوابًا ، و ....

وفجأة دوت تلك الفرقعة المكتومة فى المكان ..

دوت فجأة ، مصحوبة بضوء ساطع ، ورياح قوية ، هبت فى وجوه الجميع ، الذين أغلقوا عيونهم لحظة ، ثم عادوا يفتحونها فى توتر ، و ....

« (نور) ؟! »

هتف الدكتور (جلال) بالاسم فى ذهول ، وهو يحدق فى (نور) ، الذى ظهر فجأة ، وسط أكثر قاعات المبنى الاحتياطى أمنًا ، وانتفضت (مشيرة) على مقعدها ، وهى تحدق فيه بدورها ، وكذلك فعل رجال الأمن الداخلين ، فى حين بدا (نور) وكأن ظهوره المفاجئ هذا لايستوقفه لحظة واحدة ، أو كأنه اعتاد مثل هذه الأمور ، وهو يتحرك فى سرعة ، قائلاً بلهجة حازمة آمرة :

- دكتور (جلال) .. أحتاج إلى بعض المعاونة الفنية العاجلة .

هتف به الدكتور (جلال) :

- رباه ! إنه أنت بالفعل يا (نور) .. أين كنت ؟! أين كنتم جميعاً ؟! وأين الباقون ؟!

أجابه (نور) ، وهو يجذبه من ذراعه فى قوة :

- لا وقت للشرح الآن يا دكتور (جلال) .. سأخبرك كل شىء ، عندما تستقر الأمور .. لابد أن نتحرك فوراً ، وبأقصى سرعة ، قبل أن نفقد هذه الفرصة النادرة .

صاح الدكتور (جلال) :

- أية فرصة يا (نور) ؟!

أجابه (نور) بمنتهى الحزم والصرامة :

- الوقت يا دكتور (جلال) .. الوقت .

هتفت به (مشيرة) ، وهما يغادران الحجرة :

- (أكرم) اختفى يا (نور) .. لا أحد يعلم أين هو .

أجابها فى حزم ، قبل أن يختفى مع الدكتور (جلال) ، فى نهاية الممر المقابل للقاعة :

- اطمئنى يا (مشيرة) .. كل شىء سيصبح على ما يرام بإذن الله .. كل شىء .

لم تدرك ما الذى يعنيه بقوله هذا بالضبط ، لذا فقد تراجعت فى مقعدها ، متمتمة :

- (أكرم) يا (نور) .

أما الدكتور (جلال) ، فقد هتف به ، وهو يعود إلى جواره ، عبر الممر الطويل :

- هل تعرف أين الباقون ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- ما زالوا هناك ؟!

هتف الدكتور (جلال) :

- هناك أين ؟!

أجاب (نور) ، فى اقتضاب حازم صارم :

- حيث كنا جميعاً .

اتسعت عينا الدكتور (جلال) عن آخرهما ، وهو يهتف فى ارتياع :

- ربما ! ما زالوا هناك ؟! ألا يقلقك هذا ؟!

توقف (نور) بغتة، واستدار يمسك كتفى الدكتور (جلال) فى قوة، وهو يقول فى صرامة شديدة:

- اسمعنى جيدًا يا دكتور (جلال) .. كلنا خبر خصمنا، ويدرك مدى خطورته ووحشيته، ورغبته المستميتة فى السيطرة على الأرض كلها، بكل ما عليها، ومن عليها، وفى الظروف العادية، لن يمكننا هزيمة خصم مثله أبدًا، ولكن لدينا الآن فرصة نادرة، لن تستمر سوى عدة دقائق، انشغل خلالها ذلك الخصم الرهيب، فى مد سيطرته إلى حدود جديدة، خارج الزمان والمكان، واستنفد فى سبيل هذا، كل طاقاته وقدراته، بحيث لم يعد باستطاعته رصدنا، أو تحجيمنا لبعض الوقت، فإما أن نضرب ضربتنا الآن، أو نخسر معركتنا إلى الأبد، لذا، دعنا لانضيع ثانية واحدة، إذ قد يكون ثمن هذه الثانية، هو عمر الأرض كله.

حدق فيه الدكتور (جلال) فى ذهول، وغمغم:

- كيف عرفت كل هذا يا (نور) ؟!

واصل (نور) اندفاعه، عبر الممر الطويل، وهو يقول فى حزم صارم قاس:

- فيما بعد يا دكتور (جلال) .. فيما بعد.

لحق به الدكتور (جلال)، وهما يتجهان إلى منطقة الأبحاث التجريبية، وهتف فى توتر:

- لابد أن نبلغ القائد الأعلى، وسيادة رئيس الجمهورية، و....

هتف به (نور):

- فيما بعد يا دكتور (جلال) .. سنستغل كل ثانية أولاً، وبعدها نقوم بكل الإجراءات الرسمية.

سأله الدكتور (جلال)، عندما بلغا المكان:

- ما الذى تسعى إليه بالضبط يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى سرعة، وهو يندفع داخل قاعة التجارب:

- أريد جهاز رسم مخ إليكترونى، وخبير من خبراء البث والاتصالات.

سأله الدكتور (جلال) فى حيرة، وهو يتبعه داخل القاعة:

- ولماذا ؟!

أشار إلى رأسه ، مجيبًا فى حزم :

ـ أريد أن أصنع من عقلى محطة .

توقَّف الدكتور (جلال) ، هاتفًا فى دهشة :

ـ محطة ؟!

أجاب (نور) ، بكل الحزم والحسم :

ـ نعم يا دكتور (جلال) .. محطة استقبال .. وبث .

وهنا ، اتسعت عينا الدكتور (جلال) عن آخرهما ..

فهذه المعلومة كانت تفوق قدرته على الاحتمال ..

ألف مرة ..

* * *

بكل الخبرة ، والخفة ، والمهارة ، التى اكتسبها (أكرم) طوال حياته القاسية ، عبر سنوات صباه الخشنة ، ومن خلال تدريباته القوية المكثفة ، منذ التحاقه بالمخابرات العلمية المصرية ، تسلَّل إلى ذلك الحى الراقى ، الذى شن رجال الصاعقة حربًا طاحنة فيه ، تحت تأثير السيطرة العقلية الرهيبة ، لذلك الخصم الوحشى ..

وفى براعة مدهشة ، تجاوز كل نطاقات الأمن ، حتى بلغ ذلك الوكر الصغير ، الذى فتشه رجال الأمن جيدًا ، قبل أن يؤكدوا خلوه التام ، وتوقَّف عنده ، يغمغم :

ـ أعلم أنك هنا أيها الوغد .

جذب مشطى مسدسيه ، وأعادهما مرة أخرى إلى حزامه ، ثم تأكَّد من وجود حزام القنابل اليدوية حول وسطه ، قبل أن يجذب إبرة مدفعه الآلى القصير ، مكملاً :

ـ ربما أمكنك أن تخدع الجميع ، ولكنك لن تخدعنى أنا ..

ألصق ظهره بجدار المنزل الصغير ، ثم انحنى فى خفة ، وتسلَّل إلى مدخله ، وهو يتابع :

ـ هم لن يفهموا أسلوبك ؛ لأنهم عقلانيون علميون .. أما أنا وأنت ، فكلانا همجى وحشى ، عانى كثيرًا من المجتمع ، وتعلَّم كيف يتعامل معه .. كلانا يفهم بعضنا البعض ، ونعرف كيف تسير الأمور فى العالم السفلى ..

والتقط نفسًا عميقًا ، ليتمتم :

ـ وكلانا نعلم أنك هنا .

كان واثقًا من أن خصمه لم يغادر مكمنه ..

لم يغادره أبدًا ..

حتى عندما تسلل رجال الأمن إليه ..

وفحصوه ..

وفتشوه ..

وحتى عندما أضاءوه ..

فكل ضوء الدنيا ، لن يبدد تلك الظلمـة ، التي يحيط بها نفسه ..

أو تلك الظلام ، الذي ارتجفت له قلوب الجميع ..

وهذا ـ في رأيه ـ هو الدليل الأكيد على وجوده ..

إنها لعبة شوارع يحفظها جيدًا ..

اتركهم يفحصون مخبأك ، بكل سبيل متاح ، ثم استقر فيه ، بعد أن يرحلوا عنه ..

لذا فهو واثق من أنه هنا ..

في مكان ما هنا ..

أمسك مدفعه الآلي الصغير بكل قوته ، وتحرك بحذر بالغ ، داخل ذلك المنزل الصغير ، الخالي تمامًا من الأثاث ..

كان الضوء خافتًا بشدة ..

والظلام مخيفًا بحق ..

ولكن (أكرم) وضع على عينه منظارًا خاصًا للرؤية الليلية ..

منظارًا بسيطًا ، مباشرًا ، لايحوى أية تطورات تكنولوجية فائقة ..

منظارًا من ذلك الطراز ، الذي تم استخدامه في حروب السنوات الأخيرة ، من القرن العشرين ..

وفي بطء شديد الحذر ، أدار عينيه في المكان كله ، قبل أن يتوقف عند حجرة واسعة ، مواجهة للباب تمامًا ..

حجرة شديدة الإظلام ، حتى إن منظار الرؤية الليلية لم يكشف ظلمتها أو يبددها ..

ولولا المنظار ، لبرقت عينا (أكرم) ، وهو يتمتم في خفوت شديد :

ـ أنت هنا أيها الوغد .

تساءل في أعماقه ، وهو يتحرك نحو تلك الحجرة ، في حذر بالغ ، لماذا سمح له بالدخول ..

والاختراق ..

والاقتراب ..

كيف تركه يبلغ هذا القدر ، دون أن ينطلق للسيطرة على عقله ؟!

أو حتى لتدميره ..

أو سحقه سحقًا ..

كيف ؟!

كيف ؟!

بل ولماذا أيضًا ؟!

حتى التساؤل ، لم يسمح له بالسيطرة على عقله ، فى تلك اللحظات شديدة الحساسية ، بل بذل جهدًا خرافيًا ، ليوحّد ذهنه كله ، فى فكرة واحدة ..

(مشيرة) ..

حتمية إنقاذ (مشيرة) ..

وبأى ثمن ..

أى ثمن ..

وبكل الحذر والتحفّز ، أمسك مدفعه الآلى القصير ، واقترب من تلك الحجرة ..

واقترب ..

واقترب ..

وعلى الرغم من اقترابه ، لم تتبدّد ظلمتها ..

ولم يكشف منظار الرؤية الليلية أعماقها ..

أبدًا ..

وعند باب الحجرة ، توقّف (أكرم) ، ودار بعينيه داخلها ، قبل أن يتمتم فى عصبية :

ـ أنت هنا أيها الوغد .

كل شىء ظلّ صامتًا ساكنًا ، بعد أن نطق عبارته هذه ، فكرّر بصوت مرتفع نسبيًا :

ـ أنت هنا .

جاوبه نفس الصمت والسكون ، فازدرد لعابه فى توتر ، وبدأ الشك يراوده فى قراره ، وراح قلبه يخفق فى شىء من القوة ، و ...

ولكن كلاّ ..

بكل قوته وإرادته وإصراره ، نفض كل المشاعر والانفعالات عن نفسه ، وشدّ قامته فى قوة واعتداد ، قائلاً :

ـ لست أخشاك .

خيّل إليه أن زمجرة خافتة للغاية ، قد ترددت فى الحجرة المظلمة ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وهتف بملء فيه :

ـ لست أخافك .

بدا له كأن بقعة مظلمة ، داخل الحجرة ، قد تحركت على نحو عجيب ، فاندفعت من أحد جانبيها إلى الجانب الآخر ، ثم انقضت عليه ، و ...

وعبرته ..

نعم .. عبرته ، كما لو أن جبلاً من ثلوج القطب الجنوبى ، قد مرّ خلال جسده ، وأرسل فى أوصاله رجفة باردة ..

باردة إلى أقصى حد ..

رجفة مرّت بقلبه ، وحوّلته لحظة إلى قطعة من الجليد ، فصاح بكل طاقة التحدّى فى أعماقه :

ـ لست أخشاك .. أنت لا تساوى شيئًا .. هل تفهم ؟! لا تساوى شيئًا .

كان يمسك مدفعه الآلى الصغير بكل قوته ، وعيناه تدوران فى الحجرة بسرعة ، محاولاً تتبّع تلك البقعة المظلمة ..

كان غاضبًا ..

متوترًا ..

ساخطًا ..

ولكنه لم يكن خائفًا ..

لم يكن كذلك أبدًا ..

غضبه وثورته على كل ما حدث ، وكل ما أصاب زوجته ، وما أريق من دماء بريئة ، سيطر على كل مشاعره ، وأزاح عنها كل شعور آخر ، أيًا كان ..

ولكن صرخته القوية ، أطلقت زمجرة أخرى ، داخل الحجرة المظلمة ..

زمجرة مسموعة هذه المرة ، انطلقت من تلك البقعة المظلمة ، التى تجمّعت فى منتصف الحجرة ..

حتى تلك الزمجرة ، ذات الإيقاع الوحشى الرهيب ، لم تنجح فى تفجير الخوف فى أعماقه ..

كل ما فجّرته هو المزيد والمزيد من الغضب ..

والمزيد والمزيد من الثورة ..

لذا ، فقد صاح بكل قوته ، وهو يصوّب مدفعه الآلى القصير ، نحو تلك البقعة المظلمة :

ـ فليكن أيها الوغد .. دعنا نر كيف سيستقبل مخك المزدوج رصاصات مدفعى .

نطقها بكل الحزم ، والعزم ، و...

ولكن فجأة ، تبدّت تلك البقعة المظلمة ..

تبدّت بضوء خافت باهت مباغت ..

وظهر جسد بشرى ، يجلس القرفصاء ، ويتطلّع إلى (أكرم) مباشرة ..

وهنا .. هنا فقط ، انتفض جسد (أكرم) فى عنف ..

فذلك الجسد ، الذى ظهر فى موقع البقعة المظلمة ، لم يكن جسد ذلك الخصم الرهيب ، أو وجهه ذا الجمجمة المشقوقة ، والعين الثالثة ، فى منتصف الجبهة ..

بل كان جسدًا آخر ..

ووجهًا آخر ..

جسد ووجه آخر شخص ، يتوقّع (أكرم) رؤيته ، فى هذا المكان ، أو هذه اللحظة ..

(مشيرة) ..

زوجته (مشيرة) ..

* * *

« إننا لا نخافك .. »

فجأة ، ترددت الكلمات فى هدوء شديد ، وصوت حازم عميق ، وسط الفراغ الزمنى المتغافل ، على الرغم من الصورة الوهمية المخيفة ، التى تحيط بـ (سلوى) و(نشوى) ..

ومع العبارة تبدّدت فجأة الصورة الوهمية ، وعاد الظلام يحيط بكل شىء ، إلا من ضوء باهت للغاية ، يغلّف الأجساد ، ويميّزها من وسط الظلمة ..

وبكل دهشة الدنيا ، هتفت (نشوى) :

ـ (رمزى) ..

أشار إليها زوجها (رمزى) بالصمت ، وهو يقول ، بمنتهى الحزم والهدوء ، وبذلك الصوت الدافئ العميق :

- أنا وأنت لا نخشاه يا (محمود) .. لا تسمح له بالسيطرة على عقلك وعزيمته .. لا تسمح له أبدًا .

هتفت (سلوى) في توتر :

- رباه ! هل تعتقد يا (رمزى) أنه ؟!

استوقفها (رمزى) بإشارة من يده، وهو يمد يده إليها، ويلتقط أصابعها بيمناه، ثم يلتقط أصابع (نشوى) بيسراه ..

وفهمت المرأتان المطلوب على الفور ..

ودون كلمة واحدة، تشابكت أصابعها ..

وصنعت الأجساد الثلاثة دائرة صغيرة ..

ومع تكوّن الدائرة، انبعث صوت (محمود) مرة أخرى ..

انبعث بصرخة تحمل كل ألم وعذاب الدنيا ..

وانخلع قلبا (سلوى) و(نشوى)، ولكن (رمزى) قال، بنفس الصوت الدافئ العميق :

- نحن نعلم أن خوفنا هو سبيلك إلينا .. لذا فنحن لا نخافك ولا نخشاك .

انطلقت صرخة عذاب أخرى، من أعماق الظلمة الدامسة، تحمل صوت (محمود)، فتابع (رمزى) بنفس اللهجة :

- كل محاولاتك لن تُجدى نفعًا ؛ لأننا نعلم أن قدراتك هنا محدودة، وأن بلوغ هذا الفراغ الزمنى المتعادل، يستنزف كل قواك وطاقاتك، حتى إنه ليس باستطاعتك أن تؤذينا هنا أو هناك، ما لم نمنحك نحن طاقة سلبية كافية، بخوفنا منك، أو خشيتنا من قواك .

حدقت (سلوى) في وجه (رمزى)، هاتفة في انبهار :

- أحقًا ما تقول ؟!

أما (نشوى)، فقد انعقد حاجباها، وهى تقول في حزم :

- إنه تحليل منطقى .. منطقى للغاية .

أغلق (رمزى) عينيه، قائلاً، دون أن يفارقه صوته الدافئ العميق :

- لهذا لن نخافك .. ولن نخشاك .. ولن نمنحك الطاقة اللازمة للسيطرة علينا أبدًا .

أدركت (سلوى) و(نشوى) ما يرمى إليه بالضبط، فأغلقتا عيونهما بدورهما، وركزتا أفكارهما مع أفكار (رمزى) حول نقطة واحدة ..

لا خوف ..

لا مبرر للخوف ..

خصمهم ارتكب أكبر خطأ فى حياته ، عندما قرر أن يتجاوز حدود الزمان والمكان ، للقضاء على (محمود) ، الذى تصور أنه أخطر من يواجهه ، لوجوده فى الفراغ الزمنى المتعادل ، الذى يمنحه القدرة على رؤية الأمور من زاوية أكثر اتساعًا ..

وأكثر وضوحًا ..

ولأن عبوره هذا الحاجز الزمكانى الخطير ، استنزف قواه ، واستنفدها إلى حد كبير ..

صار من الممكن مواجهته ..

وتحديه ..

ونحره ..

ليس فى الفراغ الزمنى المتعادل وحده ، ولكن على الأرض أيضًا ..

كل المطلوب هو القضاء على الخوف ..

القضاء على الطاقة السلبية ، التى يلتهمها هو ، ليضاعف من قوته أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وعلى الرغم من صرخة (محمود) الجديدة ، التى ترددت فى الفراغ الزمنى المتعادل ، على نحو متصل غير محدود ، استرخى جسدا (سلوى) و(نشوى) ، وتآزر عقلاهما مع عقل (رمزى) ..

وراح الخوف ينزاح من أعماق ثلاثتهم ..

وينحسر ..

وينحسر ..

وينحسر ..

ومع انحساره ، لم تنطلق صرخة جديدة فى الفراغ ..

ولم يقفز ذلك الوجه المخيف إلى أذهانهم ..

بل ، على العكس تمامًا ، كانت هناك صورة أخرى تتكوّن ..

صورة جميلة ..

ومبهجة ..

(نشوى) راحت ترى صغيرها ، وهو يلهو بلعبه ، فى حديقة منزلها ، وشاركها (رمزى) تلك الصورة الذهنية الرقيقة ..

و(سلوى) صنعت إطارًا عائليًا بديعًا ، يضمها مع (نور) ، و(نشوى) ، و(طارق) الصغير ..

ومن ثلاثتهم ، تلاشت تلك الطاقة السلبية ، وحلت محلها تدريجيًا طاقة إيجابية رائعة ..

وعبر الفراغ ، دوت زمجرة وحشية رهيبة ..

ولكنها لم تنجح فى انتزاعهم من خيالهم ..

أو انتزاعه منهم ..

وفى نعومة مدهشة ، شعروا بـ (محمود) ينضمّ إليهم ..

شعروا بعقله يتآزر مع عقولهم ..

وطاقته تمتزج بطاقتهم ..

ودون أن يفتحوا عيونهم ، أدركوا أنه بينهم ..

وأنه قد نجا ..

وعاد ..

ومرة أخرى ، انطلقت تلك الزمجرة الوحشية الرهيبة ..

انطلقت أكثر غضبًا ..

أكثر عنفًا ..

وأكثر شراسة ..

فذلك الخصم الرهيب كان يمر بأكثر لحظات حياته غضبًا ..

لقد صنع ما يعجز عنه رهبان (التبت) أنفسهم ، وتجاوز حدود الزمان والمكان ، دون أن يتخلّى تمامًا عن سيطرته الأرضية ..

وذلك ليحقّق هدفًا واحدًا ..

هدفًا بدا له أساسيًا ؛ لتسيير خطته وفقًا لما قدّره لها مسبقًا ، وما درسه ألف مرة ، طوال عقدين من الزمان ..

ففى كل مرة ، أعاد فيها دراسة خطته ، لم يضع فى اعتباره قط ، ذلك القابع فى الفراغ الزمنى المتعادل ..

بل ولم يتصوّر لحظة واحدة ، أنه من الممكن أن يكون هناك شخص ما ، أو حتى شىء ما ، يمكنه التقاط موجات مخه الفائقة القصر ..

هذا فقط ، لم يضعه فى اعتباره قط ..

ولكن كل شىء بدأ بداية مرهقة ، مع تجربة ذلك الاختراع الجديد القادر على التقاط موجاته العقلية الفائقة ..

وحتى عندما تجاوز هذه النقطة ، ونجح فى تدمير الجهاز ، ومنع بث الموجة المضادة ، بقى (محمود) كشوكة مؤلمة ، فى ظهر خطته ..

شوكة كشفت طبيعته ..

وهويته ..

ونقطة ضعفه الوحيدة ..

وكان من المحتم أن يقضى عليه ..

وبأى ثمن ..

لهذا جازف بما فعله ..

جازف بإطلاق كل طاقاته ، ليثب عبر الزمان والمكان ..

ويظفر به ..

وكان من الممكن أن يفعل هذا ..

وأن يعود ..

وينتصر ..

ولكن أولئك الرهبان ، فى أعمق أعماق (التبت) ، أبوا أن يتركوه وشأنه ..

لقد طاردوه ..

وتآزروا ضده ..

ومنحوا خصومه قوة إضافية كبيرة ..

والآن ، فى هذه اللحظة بالذات ، أصبح موقفه شديد التوتر والحساسية ..

والخطورة أيضًا ..

فعلى الأرض ، وعلى الرغم مما تركه خلفه هناك ، من قوة كافية لحجب وجوده ، وحماية جسده وعقله ، نجح عضو الفريق الهندى فى كشف أمره ، وسبر أغوار خدعته ..

وهنا ، فى الفراغ الزمنى المتعادل ، تآزر الكل ضده ، ويحاولون تحطيم إرادته ، وهزيمة سيطرته العقلية تمامًا ..

وهو لن يسمح بحدوث هذا أبدًا ..

لا يمكن أن يسمح بحدوثه ، مهما كانت الأسباب ..

لقد تحدوه ..

وعليهم أن يدفعوا الثمن ..

سيواجههم بكل قواه وقدراته ..

سينقض عليهم بعقله ..

ويضربهم بقواه ..

ويدحرهم ..

بل سيسحقهم سحقًا ..

على الأرض ، سيربك عضو الفريق البدائى ، ويقهر مشاعره ، ويحطّم إرادته ؛ حتى يبقيه فى حالة سلبية ، إلى أن ينتهى من مهمته ؛ فى الفراغ الزمنى المتعادل ..

المهمة التى تحتاج منه إلى كل قوته ..

وكل طاقته ..

وكل رغبته فى الانتقام من الجنس البشرى كله ..

كانت الطاقة الإيجابية ، التى تنطلق من عقول أفراد الفريق ، داخل الفراغ الزمنى المتعادل تتضاعف فى كل لحظة ..

وتتضاعف ..

وتتضاعف ..

لذا ، فقد استنفر هو كل قوته ، وكل خبراته ، وكل الطاقة السلبية الوحشية فى أعماقه ..

وأطلق عقله داخل الفراغ ..

أطلقه بلا حدود ..

وعلى الرغم من قوتهم ، وطاقتهم الإيجابية ، شعر أفراد الفريق بأجسادهم ترتج فى قوة ..

وبعقولهم تتزلزل فى عنف ..

وعلى نحو عجيب ، راح (رمزى) و(سلوى) و(نشوى) يلهثون ..

يلهثون فى انفعال جارف ، وقلوبهم تخفق بقوة ..

بمنتهى القوة ..

وفى البداية ، تصور (رمزى) أن خفقان قلوبهم يرتبط بانفعالهم فحسب ..

ولكن سرعة خفقان القلب راحت تتزايد ..

وتتزايد ..

وتتزايد ..

وعندئذ ، أدرك (رمزى) ما الذى يحاول ذلك الوغد فعله بالضبط ..

لقد أطلق قلوبهم فى سباق وهمى رهيب ..

سباق ستتسارع فيه دقات قلوبهم ، حتى تبلغ حدًا لا يمكن أن تحتمله القلوب نفسها ..

وعندئذ ستنهار تمامًا ..

وهذا بالضبط ما يسعى إليه الخصم الرهيب ..

أن يقتلهم بسكتة قلبية إجهادية ..

يقتلهم هناك ..

فى الفراغ الزمنى ..

اللانهائى ..

* * *

٨- الختـــام ..

« أنت مستعد يا سيادة المقدّم ؟! »

نطق خبير الاتصالات العبارة فى توتر ، وهو يراجع أجهزته للمرة الثالثة ، فأجاب (نور) بمنتهى الحزم ، وهو يرقد على منضدة خاصة ، وقد اتصلت عدة أسلاك إليكترونية دقيقة برأسه :

- تمام الاستعداد .

بدا التوتر واضحًا ، فى صوت ولهجة وملامح الدكتور (جلال) ، وهو يسأل خبير الاتصالات :

- أنت واثق من أن الموقف آمن ؟!

هز خبير الاتصالات رأسه نفيًا ، وأجاب بنفس التوتر :

- لست أدرى .. لم أفعل شيئًا مماثلاً من قبل .

تساءل الدكتور (جلال) فى عصبية :

- هل تعنى أنه من المحتمل أن ..

قاطعه (نور) فى صرامة :

- ابدأ عملك يا رجل ، ولا تضع ثانية واحدة .. هيا .

أدار خبير الاتصالات عينيه إلى الدكتور (جلال) ، الذى تردَّد لحظة ، فهتف به (نور) فى غضب :

ـ لا تتردد يا دكتور (جـلال) .. مصير الأرض كلها قد يتوقَّف على ثانية واحدة .

انتفض الدكتور (جلال) من هول المسئولية ، وهتف بخبير الاتصالات فى حدة :

ـ ماذا تنتظر يا رجل ؟! هيا ..

ضغط خبير الاتصالات زر التشغيل ، قبل حتى أن يكتمل هتاف الدكتور (جلال) ، و ..

وانطلق الجهاز يعمل ..

« الاتصال ناجح .. »

تلقى (نور) تلك العبارة العقلية ، فور عمل الجهاز ، فـأغلق عينيه ، ودفع جسده كله إلى الاسـترخاء ، وهـو يقول ، دون أن يفتح شفتيه :

ـ على بركة الله ..

شعر بقوة عقلية هائلة ، تنساب عبر خلايا مخه ..

قوة لم يشعر بمثلها ، فى حياته كلها ..

فيض من القوة ، تسلل إلى خلايا مخـه ، وهيمن عليها تمامًا ، قبل أن يعاود الانطلاق نحو هدفه ..

نحو ذلك الخصم الرهيب ..

وعلى الرغم مـن استرخاء جسده ، كـان عقل (نـور) ينطلق بلا حدود ..

ولكن فى اتجاه آخر ..

كان يحاول البحث عن أجوبة بالغـة الخطورة ، فى هذه اللحظات الأخيرة ..

أجوبة لعشرات الأسئلة ، وعلى رأسها سؤال مهم جدًّا ..

تُرى هل سيفلح هذا ؟!

هل سينجح رهبان (التبت) ، فى استخدام عقله ، كمحطة بث أرضية ، لتركيز أفكارهم كلها على الهدف ؟!

على ذلك الخصم الرهيب ؟!

هل ؟!

أهناك بالفعل وسـيلة لهزيمتـه ، بعد كل ما أثبته ، عن قواه الخارقة الجبَّارة ، اللامحدودة ؟!

هل توجد وسيلة واحدة لهزيمته ؟!

وفقًا لخطتهم ، التى زرعوها فى عقله ، سيكفى هجوم مركزٌ عنيف ، يشنّ من كل الجبهات فى آنٍ واحد ، فى تلك الظروف ، التى فقد هو فيها تركيزه ، وشتّت خلالها قواه ؛ لتحطيم إرادته دفعة واحدة ..

وهذا قد يصيب عقله المزدوج بصدمة ..

صدمة عنيفة للغاية ..

لذا فقد أجرى الرهبان اتصالهم بعقل (رمزى) ، داخل الفراغ الزمنى المتعادل ، وأبلغوه كيفية تشتيت عقل ذلك الخصم الرهيب ..

وأعادوه هو إلى هنا ..

أعادوه ليصبح وسيلتهم ، فى تركيز أفكارهم ، وتجنيد طاقاتهم العقلية والهجوم على خصمهم بالقوة الكافية ..

وكل ما يتمناه ، فى هذه اللحظة ، هو أن تنجح الخطة ..

وأن تستعيد الأرض أمنها ..

وحريتها ..

واستقرارها ..

وأن يستعيد هو فريقه ..

زوجته ..

وابنته ..

و (رمزى) ..

و (أكرم) ..

توقفت أفكاره كلها عند الاسم الأخير ، ليتساءل فى قلق شديد : ترى أين هو ؟!

أين (أكرم) ؟!

لماذا لم تتضمنه خطتهم ؟!

لماذا لم يكن له دور مباشر فيها ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

كانت تلك القوة العقلية تنساب عبر عقله ، على نحو متصل ، يجبر جسده على الاسترخاء التام ، عندما تفجّرت تلك الرسالة المخيفة فجأة فى ذهنه ، دون مقدمات ..

« إنه أقوى مما كنا نتصور .. »

خفق قلبه بين ضلوعه فى عنف ، وعقله يهتف :

ـ ماذا يعنى هذا ؟! ألم يمكنكم هزيمته ؟!

« لن يمكننا تحقيق ما تصورناه .. »

كاد يصرخ فى ارتياع ، ولكن جسده المسترخى منع لسانه من الحركة ، فهتف بعقله :

ـ أى قول هذا ؟! لقد راهنت بكل حياة رفاقى ، ومستقبل الأرض كلها ، على قدرتكم المشتركة هذه .

« إننا نبذل قصارى جهدنا .. »

هتف عقله فى مرارة :

ـ هذا لا يكفى ..

« إنه يقاوم فى استماتة .. »

وارتجفت كل خلية ، فى جسد (نور) ..

ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

هل سيخسر معركته الأخيرة ، التى بذل فى سبيلها كل شىء ؟!

لا ..

مستحيل !

مستحيل ، وألف مستحيل !

ربما فشل الرهبان فى معركتهم ..

ولكنه لن يستسلم ..

لن يستسلم أبدًا ..

وبإرادة فولاذية ، اعتصر كل خلية فى مخه ، وأطلق عقله ..

أطلقه عبر جهاز الاتصال ..

وبكل قوته ..

أطلقه بلا حدود ..

أطلقه بفكرة واحدة ..

الانتصار على خصمه الرهيب ، واستعادة فريقه ..

وبأى ثمن ..

فى نفس اللحظة ، التى انطلق فيها عقله ، حاملاً كل طاقاته ، كان (محمود) يهتف ، داخل الفراغ الزمنى المتعادل :

ـ لا .. لا تستسلموا يا رفاق .. قلوبكم ملك لكم ، ولن تطيع سواكم .. قاوموا .. قاوموا ..

وعلى الرغم من خفقات قلوبهم العنيفة ، تشبث (رمزى) و(سلوى) و(نشوى) بأيدى بعضهم فى قوة ..

وانطلقت أفكارهم وطاقاتهم بلا حدود ..

انطلقت ..

وانطلقت ..

وانطلقت ..

ومن أعمق أعماقهم ، تصاعدت تلك الطاقة الإيجابية القوية ..

تصاعدت ..

وتصاعدت ..

وتصاعدت ..

وانطلقت فى الفراغ الزمنى زمجرة وحشية أخرى ..

زمجرة حملت كل غضب الدنيا ..

وكل ثورة الكون ..

لذلك الخصم الرهيب لم يحتمل ما يحدث ..

لم يحتمل ذلك الهجوم العنيف ، من كل الجبهات ..

موجات عقول رهبان (التبت) ، كانت تهاجم عقله فى عنف ..

والموجات الإيجابية ، التى تطلقها عقول (رمزى) و(سلوى) ، و(نشوى) تتصدّى له بشدة ..

وكل الطاقة ، التى اكتسبها (محمود) ، من بقائه الطويل ، داخل نهر الزمن اللامحدود ، تتصدّى له فى استماتة ..

وحتى عقل (نور) ، انطلق بطاقة مدهشة ، وعبرت المسار نفسه ، مع موجات عقول الرهبان ، عبر حاجزى الزمان والمكان ..

وهناك ، حيث استقر جسده ، وسط الظلام الرهيب ، الذى صنعه عقله ، فى ذلك الوكر ، فى الحى الراقى ، فى قلب (القاهرة) الجديدة ، وعلى الرغم من ذلك الوهم البصرى ، الذى حاول به إرباك (أكرم) ، أكثر أفراد فريق (نور) بدائية وهمجية ، تواجهه موجات غضب قوية ..

كل شىء يحاصره ..

ويقاتله ..

ويقاومه ..

ويعتصره ..

كل القوى فى آن واحد ..

وهذا يعنى أنها أكثر لحظات حياته خطورة ..

لحظة حاسمة ، بين بقائه واندحاره ..

نقطة الضعف ، التى لم يتصور أن يواجهها أبدًا ..

طاقات إيجابية بلا حدود ..

طاقات كافية لمواجهة طاقاته ..

ومعادلتها ..

بل والتفوق عليها أيضًا ..

وهذا مستحيل !

لا يمكن أن يسمح بحدوث هذا أبدًا ..

أبدًا ..

لقد قضى عقدين كاملين من الزمان ، يضع خطته هذه ..

عقدان من الزمن ، سد خلالهما كل الفجوات ..

كل الثغرات ..

كل نقاط الضعف ..

ولكن المشكلة الوحيدة ، هى أنه بنى خطته كلها ، باعتبار

أن عقول البشر ، فى المجتمعات الحديثة ، لا تطلق سوى الطاقات السلبية ..

والسلبية وحدها ..

القلق ..

التوتر ..

الحسد ..

الحقد ..

الاضطراب ..

الارتباك ..

الحيرة ..

والخوف ..

عشرات الصور من الطاقات السلبية ، التى يكفى انطلاقها ؛ ليكتسب عقله قوى هائلة ..

قوة لم يبلغها بشرىّ من قبل ..

ولن يبلغها بشرىّ من بعد ..

وفقًا لتقديره ..

لهذا بدأ خطته يبث الخوف فى القلوب ..

وإطلاق تلك الطاقات السلبية الكامنة ، التى امتصها عقله ، ثم عاد يفرزها فى شكل قوة تتطوّر فى كل لحظة ..

وتتطوّر ..

وتتطوّر ..

« لن تنجح فى خداعى أيها الوغد .. »

أطلق (أكرم) تلك الصرخة ، داخل الوكر المظلم الرهيب ، وهو يصوّب مدفعه الآلى القصير نحو صورة (مشيرة) الوهمية أمامه ، قبل أن يضغط زناد المدفع ، مستطردًا :

ـ لن تخدع مقاتل شوارع قديم مثلى ..

انطلقت رصاصاته فى المكان ، لتدوى بمنتهى العنف ، وهى تخترق صورة (مشيرة) الوهمية ، و ..

وهنا أدرك الخصم الرهيب أن (أكرم) قد انتقل إلى مرحلة خطيرة .. خطيرة جدًا ..

مرحلة تهدد وجوده نفسه بالفناء ..

صحيح أن جسده الفعلى لم يكن هناك ، حيث ترقد الصورة الوهمية لـ (مشيرة) ..

ولكنه ما زال داخل الحجرة نفسها ..

ما زال يختفى فى بقعة مظلمة أخرى ..

بقعة قد تصيبها رصاصات (أكرم) ولو من باب الخطأ ..

لذا فقد انطلقت فى الحجرة زمجرة وحشية رهيبة ، شعر معها (أكرم) بقوة هائلة تضرب صدره ، وتنتزعه من مكانه ، وتطيح به عبر الحائط ، ليرتطم بالجدار فى قوة ، قبل أن يسقط أرضًا ، ويطير مدفعه الآلى ، إلى الركن البعيد ..

وعلى الرغم من عنف الصدمة ، والآلام التى انتشرت فى كل ذرة من كيانه ، دفع (أكرم) جسده ، لينهض على ركبتيه ، قائلاً فى سخرية عصبية :

ـ إذن فأنت هنا أيها الوغد .. هيا .. تعامل كرجل شريف ، لمرة واحدة فى عمرك ، واظهر أمامى لحظة .. لحظة واحدة ، لو أنك تجرؤ ..

انطلقت زمجرة ثانية ، وطار جسد (أكرم) مرة أخرى ، وارتطم بجدار آخر ، فى عنف أكبر ، وسقط على وجهه ، إلا أنه اعتدل فى سرعة ، وهتف :

ـ مرة واحدة أيها الوغد الحقير ..

لم يدر لحظتها أن خصمه كان يشعر بكل غضب الدنيا ؛

لأن تشتيت قوته وقدراته يمنعه من مهاجمته بالعنف اللازم ..

يمنعه من مهاجمة أى مخلوق ، بما يستلزمه الأمر ..

ولولا هذا ، لانطلق إلى أعمق أعماق عقله ، ومزّقه إربًا بلا رحمة ..

بل ولسحقه سحقًا ..

ولكن الرهبان يهاجمون ..

ورفاق (نور) يصمدون ..

وطاقة (محمود) تقاوم ..

وعقل (نور) يضرب ..

وهذا البدائى يهاجم فى همجية عنيفة ..

ومن المؤكّد أنه لن يصمد أمام كل هذا ..

لابد أن ينسحب من بعض الجبهات ، ليواجه الجبهات الأخرى ، على نحو يضمن له النصر ..

هكذا تقتضى قواعد المنطق ..

وقواعد العقل ..

ولأن وجوده داخل الفراغ الزمنى المتعادل ، كان يستنفد معظم طاقاته ، ويستنزف معظم قواه ، فقد اتخذ قراره بالانسحاب منها على الفور ..

والتركيز على إنقاذ وجوده ..

وسحق (أكرم) ..

بلا رحمة ..

ومرة أخرى ، صرخ (أكرم) :

ـ لحظة واحدة أيها الحقير .

وبقوة لا حدود لها ، وغضب متفجّر هائل ، سحب ذلك الخصم الرهيب كل طاقاته العقلية ، من الفراغ الزمنى المحدود ، ليعود بكل وحشيته إلى العالم المادى المعروف .

إلى الأرض ..

كان المفترض أن يتم هذا على نحو سريع ومباشر ..

ولكن كل شىء امتزج بعضه بالبعض بغتة ..

كل شىء ..

كل الطاقات الإيجابية ..

عقول الرهبان ..

عقل (نور) ..

عقول (رمزى) و(سلوى) و(نشوى) ..

طاقة (محمود) ..

كل شيء فى آن واحد ..

لذا ، فقد كان انسحابه عنيفًا ، وقويًا ، و ...

ودوت فرقعة قوية ، داخل تلك الحجرة المظلمة ..

فرقعة سطع معها ضوء مبهر ، لجزء من الثانية ، قبل أن يسقط (رمزى) و (سلوى) و (نشوى) ، على مسافة متر واحد من (أكرم) ..

وفى نفس لحظة سقوطهم ، ظهر جسد ذلك الخصم الرهيب هناك ..

عند تلك البقعة المظلمة ، فى ركن الحجرة البعيد ، حيث سقط مدفع (أكرم) الآلى الصغير ..

ظهر لثانية واحدة ، وهو يتطلع إلى (أكرم) بعيونه الثلاث ، بكل غضب ومقت الدنيا ، و ...

ولم يضع (أكرم) هذه الثانية ..

بل لم يضع جزءًا واحدًا منها ..

فما إن برز جسد الخصم الرهيب ، حتى سحب (أكرم) مسدسيه من حزامه ، فى سرعة مدهشة ، وصرخ بكل الغضب فى أعماقه :

ـ لقد فعلتها أيها الوغد .

وقبل حتى أن تكتمل صرخته ، كانت رصاصات مسدسيه تدوى فى الحجرة ..

وتدوى ..

وتدوى ..

وأمام عيون الجميع ، تفجّرت الدماء من تلك الجمجمة المزدوجة المشقوقة ، وجحظت العيون الثلاث عن آخرها ، وكلها لا تصدق أن ينتهى الأمر على هذا النحو ، أو تضع رصاصات تقليدية قديمة ، نهاية لحظة عقلية وحشية ، استغرق إعدادها عقدين كاملين من الزمان ..

وعبر ذلك العقل الجبار ، انطلقت صرخة ..

صرخة لم تتجاوز شفتيه ، ولكن سمعها رهبان التبت ، عبر عقل (نور) .. صرخة أعلنت مشهد النهاية ، قبل أن يتراجع ذلك الرهيب إلى الخلف ، ثم يسقط على ظهره كالحجر ..

ولثوان ، حدّق فيه الجميع غير مصدقين ، قبل أن يطلق (أكرم) ضحكة عصبية ، وهو يتطلّع إلى مسدسيه ، مضغمًا فى زهوّ مرتبك :

ـ رباه ! لقد فعلتها .. فعلتها بهذه البساطة .

ثم أدار عينيه إليهم ، مضيفًا فى حيرة عجيبة :

ـ هل تصدقون هذا ؟!

ولم يجب أحدهم تساؤله ، أو ينبس ببنت شفة وكلهم يحدقون فى ذلك المسخ الصريع أمامهم ، وفى عقولهم جميعًا يدور تساؤل مخيف ..

تُرى هل انتهت تلك الأحداث الرهيبة بالفعل ؟!

هل حسمتها رصاصات (أكرم) إلى الأبد بالفعل ؟!

ولكن العجيب أنه ، وعلى الرغم من وجود جثة خصمهم أمامهم ، راودهم جميعًا شعور قوى ، بأن السؤال سيبقى بلا حسم ..

وبلا جواب ..

أبدًا ..

* * *

[تمت بحمد الله]

البقعة المظلمة

- ما مصير (نور) ورفاقه بعد الهجوم المدمر على مبنى المخابرات العلمية ؟!
- هل يواصل الخصم الرهيب سيطرته على الأمور، وعلى منطقة انعدام الزمن أيضا ؟!
- ترى هل تنحسم الجولة لصالح فريق (نور) ، أم يكون مصيره الضياع فى (البقعة المظلمة) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (نور) وفريقه، من أجل الأرض..



العدد القادم (الصحوة)





د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

146

